الرقم الدولي: ISSN: 2321-7928

مجلة الهند

مجلة فصلية محكّمة

المجلد: 2 العدد: 3
(عدد يوليو – سبتمبر 2013م)

مدير التحرير
د. أورنك زيب الأعظمي

نائب مدير التحرير
مهدي حسن القاسمي

تصدر عن

أكادمية كيشالايا، بنغال الغربية، الهند

المراسلات المتعلقة بالاشتراك في الطباعة والنشر توجه إلى:
عنوان البريد:
أكادمية كيشالايا،
بيراتشامبا سقط بادوريا،
كاؤكيبارا،
صندوق البريد: ديفالايا،
مطقة البوليس: ديغانغا،
المحافظة: 24 برغانا الشمالية،
رقم البريد: 743424، بنغال الغربية

أو

Dr. Aurang Zeb Azmi,
Asstt. Professor,
Dept. of Arabic, Persian, Urdu & Islamic Studies,
Bhasha-Bhavana,
Visva-Bharati,
Santiniketan,
W.B. Pin: 731235
India

موقع المجلة على شبكة الإنترنت: majallatulhind.blogspot.com
عنوان البريد الإلكتروني:
(1) aurang11zeb@yahoo.co.in
(2) azebazmi@gmail.com

الاشتراك السنوي:
للأساتذة ومكتبات الكليات والجامعات 1000 روبية هندية أو ما يعادلها
للطلبة 500 روبية هندية أو ما يعادلها

نشرها وطبعها السيد مهدي حسن نائب مدير مجلة الهند، أكادمية كيشالايا، بيراتشامبا سقط بادوريا، كاؤكيبارا، صندوق البريد: ديفالايا، مطقة البوليس: ديغانغا، المحافظة: 24 برغانا الشمالية، رقم البريد: 743424، بنغال الغربية

في هذا العدد

		الصفحة
الافتتاحية	د. أورنك زيب الأعظمي	5
مقالات وبحوث:		
تفسير تدبر القرآن (7)	الشيخ أمين أحسن الإصلاحي ترجمة: د. أورنك زيب الأعظمي	8
القرآن وعلومه في شبه القارة الهندية خلال القرن السابع عشر الميلادي	أ. د. ظفر الإسلام الإصلاحي ترجمة: مارية أجمل	22
تدليس أبي الزبير المكي عن جابر بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على صحيح ابن حبان (2)	د. ماجد محمد عبده الدلالعه	40
عناية العرب بالعلوم الهندية	الشيخ ضياء الدين الإصلاحي ترجمة: د. أورنك زيب الأعظمي	95
التأثير الصوفي في شعر إقبال ومواقف المترجمين العرب من ترجمته العربية	جاويد أحمد پال	121
البروفيسور أبو محفوظ الكريم المعصومي، حياته ومآثره	د. أورنك زيب الأعظمي	146
الفيـــــــــل	الشيخ بدر جمال الإصلاحي	177

قراءة في كتب:

الرحلة الصينية — علي العريبي — 193

أخبار وتقارير:

تدشين الموقع الألكتروني — أ. د. محمد نعمان خان — 204

قصص وحكايات:

الغيرة — الشيخ محمد أيوب الإصلاحي — 207

ترجمة: د. أورنك زيب الأعظمي

الهدية بالميلاد — أوهينري — 210

ترجمة: د. أورنك زيب الأعظمي

قصائد ومنظومات:

الشيخ ذو الفقار علي الديوبندي — فاكهة الهند — 215

الدكتور أورنك زيب الأعظمي — البيرياني — 216

المساهمون في هذا العدد — 218

الافتتاحية

بين أيديكم، أيها القرّاء الكرام، ثالث ثلاثة لأعداد المجلد الثاني، وبه ظفرنا بالرقم الدولي للمجلات والجرائد فنحمد الله على ذلك ونشكر كلّ من ساعدني في الفوز بهذا الرقم العالي. تأخر العدد شيئاً لأجل شغلنا الشاغل بالتدريس والتأليف فالمعذرة إليكم على أنكم لم تحظوا بمحتوياته في الميعاد ولكن نعدكم أن العدد القادم سيصدر في الوقت المحدّد إن شاء الله تعالى.

ونبشّركم بأنّ حولية باللغة العربية والإنجليزية قد صدرت في هذا العام من قبل هيئة جمعية المتخرجين لقسم اللغة العربية، جامعة آسام، سيلتشار، الهند وهي بأيدينا وتحمل الرقم الدولي كذلك. نحيّي بمن قام بإصدارها وبهيئة إدارتها لاسيما الأخ الفاضل الدكتور إشفاق أحمد الندوي، أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها لنفس الجامعة والحائز على جائزة رئيس الهند في مجال خدمة الدراسات العربية. هذا العدد يحتوي على سبع عشرة مقالة عربية وخمس مقالات إنكليزية قام بكتابة معظمها أساتذة اللغة العربية بينما القليل منها قد تمت كتابتها بأقلام الباحثين وطلبة القسم. مستوى طباعة المجلة جيّد إلا أن الصفحتين (السادسة والسابعة) قد طبعتا بدون أي كتابة عليهما. من أهدافها (1) نشر اللغة العربية وآدابها في شمال الهند بالخصوص وسائر الهند بالعموم، و(2) والتبادل الثقافي بين الهند والعالم العربي، (3) ورفع مستوى الدراسات العربية في شمال شرق الهند، (4) وتعزيز الاتصالات والتفاعلات الفكرية والثقافية بين مراكز اللغة العربية في الهند وخارجها، (5) وتقديم مساهمة الهنود في اللغة العربية وآدابها إلى القرّاء العرب. هذه أهداف مضبوطة ولكن الهدف الرئيسي، كما يلي، هو تدريب الأساتذة والطلبة على الكتابة والتأليف باللغة العربية فيقول مدير تحريرها:

"عرف أساتذة اللغة العربية في جامعة آسام جيداً أن نشر اللغة العربية وآدابها لا يمكن من خلال تدريسها في غرف الفصول المغلقة فحسب، بل يجب الاهتمام بأسره". (مجلة "الشروق الهندي"، ص ب)

ولكن حينما نعيد النظر في مستوى هذه المجلة علماً وفناً ولغة في ضوء الرقم الدولي نجدها أسفل بكثير فهي لا تبلغ مستوى المجلات العربية الصادرة عن الهند ولا تحدّث عن بلوغها مستوى المجلات العربية الصادرة عن خارجها. لغتها لا تبلغ درجة الجودة، وأما مستوى المقالات فهو ليس بدوليّ. اقرأ ما يلي من أخطاء لغوية وردت في افتتاحية هذه المجلة وستقدّر بها مستواها:

الخطأ	الصواب
عدة المناطق، ص ألف	عدة مناطق
مجلة عربية ليس لنشر ----، ص ب	ليست لنشر ---
خمسة مقالات، ص ج	خمس مقالات
وفي المقال الثاني فتحدّث، ص ج	وفي المقال الثاني تحدّث/وتحدّث في المقال الثاني
تناول للنقاش تطوّر الدراسات العربية، ص ج	تناول بالنقاش تطوّر الدراسات العربية،
ثم بحث في إسهام المدارس، ص ج	ثم بحث عن إسهام ---
إن هذا المقال يحوي معلومات كثيرة عن تاريخ الدراسات العربية في بنغال كلتيهما عبر القرون، ص ج	في بنغال بأسرها
فقمنا بإجراء التصحيحات الواسعة فيها، ص ز	فقمنا بالتصليح على نطاق واسع

وعندما قرّروا الهدف الكتابة بالعربية فلم ينشرون المقالات بالإنجليزية.

هذا، والعدد، بأيديكم، يحوي مختلف مقالات تحقيقية وبحوثاً علمية فالمقالة الأولى هي الحلقة السابعة لترجمة تفسير تدبر القرآن. في هذه الحلقة ننشر ترجمة التفسير من الآية الثالثة والستين لسورة البقرة حتى آيتها الثانية والثمانين. والمقالة الثانية تنطق عن تطوّر الدراسات القرآنية في شبه القارة الهندية خلال القرن السابع عشر الميلادي، كاتبها البروفيسور ظفر الإسلام الإصلاحي مدير

مجلة الهند

التحرير المساعد لمجلة "علوم القرآن" النصف سنوية، والمقالة الثالثة هي الحلقة الثانية الأخيرة لمقالة الدكتور ماجد محمد عبده الدلالعه حول "تدليس أبي الزبير المكي عن جابر بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على صحيح ابن حبان"، والمقالة الرابعة عن رغبة العرب في علوم الهند وعنايتهم بها. قام بكتابتها الشيخ ضياء الدين الإصلاحي صاحب كتاب "هندوستان عربوں کی نظر میں" (في مجلدين). والمقالة الخامسة دراسة نقدية لترجمات العرب لشعر محمد إقبال المصطبغ بالصبغة الصوفية. هذه دراسة قيّمة قام بها الأخ الفاضل جاويد أحمد پال، باحث قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، والمقالة السادسة عن حياة وخدمات البروفيسور أبو محفوظ الكريم المعصومي. والبروفيسور المعصومي شخصية دولية معروفة في مجال البحث والتحقيق، وقد نشرنا من قبلُ سيرته الذاتية والمقالة السابعة لأستاذي الجليل بدر جمال الإصلاحي حول "الفيل". قد جاء الأستاذ المكرّم بما هو يجدر بأن يستفيد به الباحثون في هذا الشأن.

وقد أتبعنا هذه المقالات والبحوث باستعراض للرحلة الصينية، وخبر تدشين الموقع الإلكتروني لـ"اتحاد أساتذة وعلماء اللغة العربية لعموم الهند"، وترجمة قصتين، ومنظومتين حول الأنبج والبيرياني. وقد نزعنا من فهرست المقالات مقالات قيّمة للغاية سننشرها في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

د. أورنك زيب الأعظمي

تفسير
تدبر القرآن
تفسير سورة البقرة (7)

- الشيخ أمين أحسن الإصلاحي

36- تفسير الآيات (63-82)

وفي الآيات التالية يتم تذكير كافة أنواع تولّي بني إسرائيل عن العهد، التي لم يزالوا مرتكبين لها بالنسبة لشريعة الله منذ فجر تاريخهم، والغرض وراء هذا توضيح السبب وراء استحقاقهم بعزلهم عن الإمامة من قبل الله جل وعلا وقيام أمة أخرى مقامهم، أمة تقوم بإحياء شريعته في الناس وإقامتها فيما بينهم. هذه السلسلة من الحديث تستمر لأمد بعيد ويعترضها الخطاب الملائم للأمة الجديدة أي المسلمين ولكن هذا الخطاب يأتي ضمن المباحث لا أصلاً فإن الخطاب موجّه أصلاً إلى اليهود والهدف، كما أشرنا إليه، توضيح قرار اتهامهم بالجريمة. يقول الله تعالى:

"وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون. ثم تولّيتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين. ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين. فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين. وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أ تتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. قالوا ادعُ لنا ربّك يبيّن لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون. قالوا ادع لنا ربك يبيّن لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسرّ الناظرين. قالوا ادع لنا ربك يبيّن لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون. قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلّمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون. وإذ قتلتم نفساً فادّارئتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون. فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم

آياته لعلكم تعقلون. ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة وإنّ من الحجارة لما يتفجّر منه الأنهار وإنّ منها لما يشّقّق فيخرج منه الماء وإنّ منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون. أ فتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون. وإذا لقوا الذن آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أ تحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجّوكم به عند ربكم أ فلا تعقلون. أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون. ومنهم أمّيّون لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ وإن هم إلا يظنّون. فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون. وقالوا لن تمسّنا النار إلا أياماً معدودة قل أ تّخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون. بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون".

37- تحقيق الكلمات وتوضيح الآيات

وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون (63)

الموثق أوالميثاق يعني العهد فروح هذه الكلمة هي الوثوق والإحكام فهي تستخدم خاصة للعهد الذي تم عقده لأمر مهمّ للغاية بكل وعي وشعور بالمسئولية وقد أكّد على الوفاء به، والمراد هنا هو العهد الذي عقد مع بني إسرائيل للامتثال بما تحتويه التوراة فالشريعة الإلهية تكون اتفاقية بين الله وعباده وعلى هذا فيتم اعتبارها ميثاقاً وقد أحيل إلى هذا الميثاق في سورة الأعراف كما يلي:

"أ لم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أ فلا تعقلون. والذين يمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلوة إنا لا نضيع أجر المصلحين. وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنّوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون" (سورة الأعراف: 169-171)

وقد أخذ هذا الميثاق، كما صرّح به القرآن والتوراة، من أئمة بني إسرائيل في سفح الجبل وقد تزامنه زلزلة حرّكت الجبل بأمر من الله وإن كان المرء قد

جلس، حين الزلزلة، تحت ظلال جدار طويل أو سفح من الجبل فيتخيّل له أن الجبل أو الجدار يطلّ عليه مثل الظلة وقارب أن يهدم وقد عبّر القرآن عن هذه الحالة بنتق الجبل فوقهم مثل الظلة.

ونتق هذا الجبل فوق بني إسرائيل لم يكن لأن يجبروا على أخذ الميثاق أن يدكّهم الجبل إن لم يأخذوه فأخذ الميثاق أو رفضه أمر خياريّ فلم يحبّ الله أي إجبار بالنسبة للدين فما وقع هنا فهو كان نوعاً من إراءة قدرة الله وجلاله لكي يتذكّر بنو إسرائيل أن الله الذي يأخذونه هذا الميثاق ليس بشيئ ضعيف أو عاجز بل قدرته لا حدّ لها فكما يعطون في هذه الدنيا والآخرة قدراً غير محدود من النعم إذا أوفوا بالوعد فكذلك سيلقون غضبه الذي لا يعادله غضب إذا لم يوفوا به فمن يقدر على أن ينتق الجبل مثل الطور على رؤوسهم فكيف لا يقدر على أن يؤطّأهم به أو أن ينزل عليهم بعذاب أكثر ألماً منه؟

خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون: أي خذوا هذه التوراة التي هي نعمة كبرى لكم من الله، بقوة وعزيمة وامتثلوا بأوامرها وإرشاداتها في كافة منازل الحياة بكل ثبات واستقلال فأحكامها سهلة كما هي صعبة، وإن في مسئوليتها يسراً كما أن فيها عسراً فلن يمكن أن يتمّ أداء حقها بالأيدي الضعاف والإرادات الغير مستقلات بل هو يتطلب القوة والعزيمة.

واذكروا ما فيه: والمراد من "اذكروا ما فيه" هي الأحكام والإرشادات كما هي التنبيهات والتهديدات التي قرأت على بني إسرائيل نتيجة عدم الوفاء بهذا الميثاق فقد نبّهوا فيها بكل تفصيل أنه لو ثبتوا على هذا الميثاق فسيتمتعون من الأفضال الربانية في هذه الدنيا كما في تلك الآخرة وإن لم يوفوا به فلم يقدروه فسيلقون عذاباً شديداً في الدنيا وفي الآخرة على السواء.

لعلكم تتقون: ويمكن أن نريد من هذا لكي تتقوا وذلك لأن الهدف الأصيل من الكتاب الرباني هو الدلالة على سبيل التقوى ولكن أردنا به، طبقاً لمحل الكلام وفي ضوء السياق والسباق، أن يتقوا قهر الله وغضبه، وقد ذهبنا إلى هذا لأنه قد نصحوا من قبل أن يذكروا التنبيهات والتهديدات خاصة، كما ذكرنا، التي قد قرأت عليهم في التوراة نتيجة عدم الوفاء بالميثاق الرباني والهدف وراء ذكرها لهم لم يكن إلا أن يتقوا قهر وغضب الله في حياتهم القادمة.

ثم تولّيتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين (66)

هذا الخطاب، كما يبدو، لبني إسرائيل زمن نزول القرآن والحال أن فعل الإعراض قد صدر من سلفهم ولم يكونوا هؤلاء ممن أوجدوه بل هم المتبعون خطوات أسلافهم فهذا الأسلوب الخطابي إشارة بليغة إلى الواقع أنه إذا اتبع الأخلاف خطوات أسلافهم في الضلالة أو الهداية فكأن تاريخهم وتاريخ أسلافهم سواء فتعزى أفعال المتأخرين إلى المتقدّمين أصلاً ولا حرج ويبتدئ تاريخ ضلالتهم منذ أن ابتدعها أسلافهم في المجتمع.

و"ذلك" في فقرة "من بعد ذلك" للإشارة إلى الشيئ الذي مضى وهذا كثير في كلام العرب الجاهلي وفي القرآن الكريم والمراد منها إشارة جامعة إلى تلك القصة بإسرها فمعناها أن أسلافكم لم يوفوا بهذا الميثاق بعدما عقدوا ميثاقهم لاتباع محتويات التوراة ورؤية جلال الله تعالى وخير عثورهم على كافة التنبيهات والتهديدات وأما أنتم فقد حذوتم حذوهم في هذا التقليد الباطل.

وقد أشير في "فلو لا فضل الله عليكم ---الآية" إلى أن أعمالكم تجدر، منذ البداية، بأن يلعن الله عليكم ولكن هذا من فضله ورحمته عليكم أنه لم يفعل كذلك بكم بل أمهلكم حتى اليوم ففضله ورحمته يوجبان عليكم أن تشكروه وتقيموا عوجكم ولكنكم بالعكس من ذلك تفتخرون بمعاملتكم، الأمر الذي كاد أن يضيع فرصتكم النهائية هذه التي لا فرصة بعدها لكم فتصلحوا أنفسكم وتقيموا عوجكم.

ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين (65)

وهذا مثال واحد من نقض العهد الذي قد أجمل ذكره في الآية السابقة فقد خصّ يوم السبت بعبادة بني إسرائيل وقد منعوا فيه عن أي خدمة أو صيد ولكنهم قد أوجدوا حيلاً عديدة لكي يتحرروا عن قيود الشريعة الإلهية حتى لم يتخلفوا في إيجاد شتى الحيل للصيد ففي هذه الآية أشير إلى حركاتهم تلك وبما أن أخبارهم هذه كانت مشهورة فيما بينهم فقد ذكرها القرآن كواقع معلوم وحقيقة ثابتة.

فقلنا لهم قردة خاسئين: هذه جملة لعنة أي قد لعن الله عليهم جزاءًا لما ارتكبوه من الجريمة بحيث خرقوا حرمة يوم السبت متبعين هوى أنفسهم.

قد اختلف أهل التأويل في هل تحوّلوا، ظاهراً، إلى القردة نتيجة لهذه اللعنة أو كان هذا المسخ روحانياً وعقلياً؟ ولكن هذا الاختلاف لا يهمّنا شيئاً فلا فرق كبيراً بين صورة الإنسان وما للقرد فالفرق الأصلي هو فرق العقل والإرادة فهذا من ميزات الإنسان أنه يرى قبل تلبية أيّ مما تهويه نفسه، هل تلبيته جائز أم لا وإن جاز فما هي القيود والشرائط التي تضعها الشريعة الغراء ومحاسن

الأخلاق وبالعكس من ذلك فلا مانع شرعياً أو خلقياً لأي مما يهويه نفس القرد أو يريد إتمامه فما تهويه نفسه يفعله فوراً فإن اتبع أي إنسان أو جماعة خطى هذه القردة في إتمام ما تهويه أنفسهم فلا يبقى أي فرق بينه وبين القرد إلا ما نسمّيه ظاهره الذي يبقى ما دام يبلغ الزوال العقلي والخلقي نهايته فلما يبلغ نهايته فلا يبقى هذا الفرق أيضاً ويتحوّل المرء إلى قرد روحاً وعقلاً وصورة.

فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين (66)

النكال تعني ما يكون عبرة للآخرين، وهنا أشير بها إلى القرية التي هتك أهلها عزة السبت فارتكبوا ما ارتكبوه من الجريمة الشنيعة المذكورة في الآية السالفة. وقد استعمل القرآن في غير موضع منه الضمائر، كما هنا، للقرى والأماكن والمعنى أن هذه القرية قد جعلت عبرة في العقاب للقرى التي كانت تقابلها وما كانت تقع وراءها وفي ضواحيها، يعتبر بها من لهم عقول أو هم يخافون الله جلّ جلاله.

يبدو من دراسة القرآن أن هذه القرية كانت حاضرة البحر فيقدّر من هنا أن أهل هذه القرية قد نالوا تقدّماً ملموساً في التجارة والحضارة ولكن هذه اللعنة هي التي أسقطتهم في انحطاط مسخ ظاهرهم كما مسخ باطنهم فهم أصبحوا عبرة لمن هم في ضواحيهم ومن تأخروا عنهم.

وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أ تتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين (67)

هذا مثل ثانٍ لنقض العهد من قبل اليهود، ولتقديم هذا المثال اختار القرآن أسلوباً قسم به قصة في جزئين؛ فيوضّح الجزء الأوّل أن بني إسرائيل كانوا، منذ فجر تاريخهم، أربابَ نفسية المطل والفرار بالنسبة لقبول الشريعة الإلهية وأما الجزء الثاني منه فهو يوضّح أنه لو قبلوا شيئاً ما فلم يمتثلوا به على طريقة صحيحة بل كانوا يبحثون عن مخارج للفرار منه.

ولتوضيح هذا الأمر استدلّ القرآن بحدث القسّامة من تاريخ بني إسرائيل فما بيّنه القرآن يبدو منه أن رجلاً من بني إسرائيل قد قُتِلَ ولم يكاوا يبحثون عمن قتله فأمر موسى عليه السلام أهل المنطقة التي قتل فيها الرجل طبقاً للشريعة أن يذبحوا بقرة فيقسموا فهم أولاً مارسوا عملية المطل في الامتثال بهذا الأمر فسألوا عن صورة البقرة، وعن لونها، وعن عمرها، وما شابهها من الأسئلة ولما رضوا عن ذبحها فيُرَى أنهم قد قسموا كذباً.

وأما وجود طريقة القسّامة في الشريعة الموسوية فهو يثبت من الآيات التالية لكتاب التثنية:

"إذا وجد قتيل في الأرض التي يعطيك الرب إلهك لتمتلكها واقعاً في الحقل لا يعلم من قتله. يخرج شيوخك وقضاتك ويقيسون إلى المدن التي حول القتيل فالمدينة القربى من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرث عليها ولم تجرّ بالنير وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة إلى وادٍ دائم السيلان لم يحرث فيه ولم يزرع ويكسرون عنق العجلة في الوادي ثم يتقدّم الكهنة بنو لاوي لأنه إياهم اختار الرب إلهك ليخدموه ويباركوا باسم الرب وحسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العجلة المكسورة العنق في الوادي ويصرّخون ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تبصر" (التثنية، الباب/21، الآيات/1-8)

قالوا أ تتخذنا هزواً: فاعتبر بنو إسرائيل أمر موسى هذا هزواً فلم يكادوا يفهمون أن هذا التدبير سيكون تدبيراً ناجحاً للبحث عن القاتل والواقع أنه لما عجزت كافة أنواع العملية للبحث عن القاتل فآنذاك يفضّل أن يجمع رؤساء المنطقة التي قتل فيها المرء فيقاسموا على ذلك ولتوكيد القسم يفضّل أن تذبح بهيمة فيقسم على دمها فقد راج بالنسبة للاتفاقيات والعهود منذ قديم الزمان، أنها كانت توخذ أمام المعابد لكي يجتنب الفريقان الكذب والنفاق كما اختير في بعض الأحيان أسلوب نشر دم الذبيحة على المقسمين فيمكن أن بني إسرائيل قد كانوا يمارسون هذه الطريقة للقسم ولو أن الآيات المذكورة أعلاه لا تشير إلى ذلك إشارة ما، وقد ذكر الإمام الفراهي في كتابه "إمعان في أقسام القرآن" بعض طرق هذا النوع من الأسلوب.

قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين: كلمة "الجهل" تضادّ "العلم" كما هي تضادّ "الحلم" وهنا جاءت كضدّ "الحلم" والمعنى أني أعوذ بالله من أن أمارس في أمر دين الله ما يكون هزواً فما آمركم به هو بأمر الله وفيه خير لكم فلم أختلقه من قبلي.

قالوا ادعُ لنا ربّك يبيّن لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون (68)

وما طرحه بنو إسرائيل من السؤال بعد الأمر بذبح البقرة هومما خلقه فساد مزاجهم وليس هذا بأمر واقع فإن كان مزاجهم سليماً فيذبحون بقرة مقتصدة

عمراً وبهذا امتثلوا بما أمرهم الله به وبما أن الله كان عارفاً بنفسيتهم التي كانت مختفية وراء سؤالهم هذا فأجاب على سؤالهم ما يزيل شبهتهم أي تكون البقرة مقتصدة عمراً ولكنه قال معاً بأن يفعلوا ما يؤمرون به بدون أيّ سؤال مزيد فلا تتفقدوا سبيلاً للفرار عن الشريعة ولا تعسّروا به ما أعطاكم من اليسر فيه.

قالوا ادع لنا ربك يبيّن لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسرّ الناظرين (69)

اللون الأصفر أجذب ألوان البقرة على هذا فقد وصف به الشعراء العرب حبيبتهم، وأما "فاقع" فهو يأتي صفة لزيادة مثل هذا اللون جذباً.

ولو أن السؤال السابق لم يكن ضرورياً ولم تكن الحاجة إلى سؤال آخر بعد ذلك ولكنهم سألوه بعد ذلك عن لونها الذي أجيب عليه بأجذب ألوان البقرة وأعزّها لدى الناس. والبديهي أن يجاب عن اللون الأجذب الأعزّ إذا سئل عنه ولكن هذا من نوع الأسئلة التي حرم بها بنو إسرائيل أنفسهم سعات ورخص الشريعة الربانية وبدّلوها في مجموعة الإصر والأغلال عليهم.

قالوا ادع لنا ربك يبيّن لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون. قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلّمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون (70-71)

وبعد أن اتضح لهم اللون لم يقتنعوا بل طلبوا مزيداً من التوضيح فأرشدوا إلى أن لا تكون البقرة ذلالاً تحرث الأرض ولا تسقي الحرث ولا يشوب لونها لون آخر.

وهكذا فلما أضافوا إلى قيودهم قيوداً أخرى متنوعة قالوا: الآن اتضح لهم الأمر تماماً.

استخدمت كلمة "الحق" في القرآن لمعانٍ عديدة بما فيها:

1. ما هو مقدّر حقه وعلى هذا فقد عبّر عن القيامة بالحق.
2. ما يجب نظراً للأخلاق وعلى هذا فقد عبّر عن العدل بالحق.
3. ما هو قول فصل عند الخصام والاختلاف وعلى هذا فقد عبّر عن القرآن بالحق من جانب.
4. للغاية والهدف وعلى هذا فقد عبّر عن خلق السماء والأرض بالحق.
5. ما هو واضح وبيّن بالنسبة لظهوره وبروزه.

ففي الآية التي نحن بصدد البحث عنها قد استخدمت كلمة "الحق" لهذا المعنى الأخير.

وقد تبع هذا السؤال كلمات "وإنا إن شاء الله لمهتدون" من لسانهم وهي تعكس باطنهم فيبدو منها أنه قد اتضح لهم تفاهة أسئلتهم التي قد طرحوها مرة بعد أخرى ولعل شعورهم هذا قد أجبرهم على لفظ هذه الكلمات ومن هنا وفّقوا للامتثال بهذا الأمر وإلا فالنفسية التي كانوا يبدونها لم يرج منها أنهم يمتثلون بهذا الأمر البتة.

وإذ قتلتم نفساً فادّارئتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون (72)

درء يدرأ درءًا: طرده وأخرجه ومنه تدارأتم الذي تحوّل إلى ادّارأتم على قاعدة الإدغام وهو يعني اتهام بعضهم البعض.

والله مخرج ما كنتم تكتمون: هذه جملة معترضة ثم ارتبطت الجملة بـ"فقلنا اضربوه ببعضها". فالجملة المعترضة تعني أنكم يمكن لكم أن تحالوا إخفاء جريمة القتل عن طريق اتهام بعضكم البعض ولكن لن يمكن أن يختفي ما قد أخفيتموه بل الله كاشف عما أنتم تحاولون إخفاءه.

ومن "وإذ قتلتم" يبتدئ الغرض الأصلي للأمر بذبح البقرة وقد بيّنا فيما سبق أن بني إسرائيل الذين يدّعون أنهم هم الورثة للشريعة الإلهية كيف كانت نفسيتهم في قبول هذه الشريعة فقد طرحوا أسئلة عديدة في كل خطوة من خطوات القبول والردّ والآن يبيّن من "وإذ قتلتم نفساً" أيّ غرض كان وراء الأمر بذبح البقرة وأيّ معاملة صدرت عنهم بشأنه؟

فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون (73)

وقد أوّل المفسّرون "اضربوه ببعضها" عامة بأن يمسحوا المقتول بقطعة من لحم البقرة، يبعث بها حيّاً فيسمّي قاتله. ولو أنه لا حرج في هذا التأويل فلا يبعد شيئ عن قدرة الله الكاملة ولكن يخطر ببالي بالنسبة للقسّامة أنه أشير به إلى أخذ اليمين أي انشروا دماء الذبيح على المقتول فخذوا اليمين ممن يحضرون. وقد كفت الإشارة تفصيل هذا الحدث لأن المراد من هذا ليس بيان الحدث أصلاً بل المراد منه مجرد تذكير بني إسرائيل حدثاً من أحداث تاريخهم.

فإن أردنا به ما ذكرناه فتكون فقرة "كذلك يحيي الله الموتى" ردّاً على ما تلفّظوه حينما سمعوا الأمر بذبح البقرة أي "أ تتخذنا هزواً" أي ولو أن هذا الأمر يبدو لكم هزواً ولكنكم لو عملتم عليه كما ينبغي وأخلصوا نياتكم في الذبح والقسم فهذا هو السبيل السوي للبحث عن القاتل وأخذ القصاص الذي هو حياة للناس كافة.

وأما القول بأن القصاص حياة للناس كافة فقد جاء عنه في القرآن الكريم "ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب" (سورة البقرة: 179) وكذا عبّر في التوراة عن قتل الواحد بقتل الكافة كما قيل أن القصاص حياة للناس كلهم. وأما القرآن فهو يحيل إلى هذا الأمر كما يلي:

"كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً" (سورة المائدة: 32)

فيبدو من هذه الآية أنه قد اتضح لبني إسرائيل فلسفة القصاص بأن المنع عن القصاص موت للناس جميعاً كما أخذه حياة للناس كلهم.

والآن فتبقى فقرة "ويريكم آياته" كجملة معترضة أي أن الله يريكم الآيات بأنما تخفونه لا يخفى شيئ منه بل سيبدو كل ما تخفون وهذه إشارة إلى ما حاول اليهود إخفائه وما لأجله قاموا بتحريفات عديدة في الدين ولكنها الآن كانت تنكشف بواسطة القرآن وعن طريق النبي الأمي صلّى الله عليه وسلّم وكانت هذه آية مبينة بأن محاولة إخفاء شيئ لله محاولة لا تعود بشيئ فإنه سيكشف عن كل مكنون يوماً ما.

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة وإنّ من الحجارة لما يتفجّر منه الأنهار وإنّ منها لما يشّقّق فيخرج منه الماء وإنّ منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون (74)

يبدو هنا من "ثم" أن حججكم السيئة ومحاولاتكم الفاشلة للفرار عن مسئوليات الدين قد أنتجت عن أن قلوبكم قد أصابها القسوة، ولو أنه لم يصرح هنا ولكن سياق الحديث يدلّ على أنه كما احتجّ بنو إسرائيل بطرق مختلفة في الامتثال بالأمر بذبح البقرة فكذلك لم يحترموا هذه الذبيح بعد أن ذبحوها بل أقسموا الزور وحاولوا أن يخفوا القاتل فإذا تبع جريمةً الاحتيالُ والاحتجاجُ السيّئ بالإضافة إلى العناد والجرأة فتنقلب قلوب مثل هؤلاء المجرمين قاسية مثل الأحجار فلا تصلح لخصب الخير والتقوى.

"فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة" أسلوب يشبه أسلوب "أولئك كالأنعام بل هم أضلّ" (سورة الأعراف: 179). ليس هذا مجرد أسلوب المبالغة فإن القساوة التي توجد في الحيوان والجماد لا تحرمه الصلاح الذي أودعه الله فيه وبالعكس من ذلك فإن يفسد الإنسان ذاته ففساده هذا يحرمه شيئاً فشيئاً، حسب سنة الله، عن كافة الجدارات التي قد أودعها الله فيه فالحجر يكون حجراً ولو كان قاسياً

للغاية فلا يحرم جريان الماء من خلاله إذا أودعه الله فيه وبالعكس من ذلك فلو أصبح قلب الإنسان قاسياً لأجل مرض خلقي فلا تبقى ينابيع قلبه إلا جافة من أصلها وعلى هذا فلن يمكن لشيئ دنيويّ أن يواجه فساد رجل تمّ فسادُه ولو هو قد كان بلغ نهايته في الفساد.

وأما قوله تعالى "وإنّ من الحجارة لما يتفجّر منه الأنهار وإنّ منها لما يشّقّق فيخرج منه الماء وإنّ منها لما يهبط من خشية الله" فهو إشارة إلى ذلك الصلاح الفطري للأحجار، الذي أودعه الله فيها والذي لا يزول عنها.

ولا ننسى هنا أن هذا ليس بأسلوب شعري ولا يمتّ إلى الواقع بصلة بل هذا تلميح عن المشاهد التي مرّ بها بنو إسرائيل في حياتهم الصحراوية فإنهم قد شهدوا أن اثنتي عشرة عيناً تتفجّر من صخرة كما شهدوا أن جزءًا من الطور قد تكسّر من تجلّي الرب تعالى له ولكن مع هذا كله بقيت قساوة قلوبهم كما هي فلا هي تخشع لآية يشهدونها بأعينهم والآن فلا يبقى شوب من الشك أن قلوبهم أشدّ من الأحجار قساوة.

وما الله بغافل عما تعملون: أي بما أن أسراركم غير خافية على الله وهو علّام الغيوب والأسرار فلا ينبغي لكم أن تفتخروا بشرفكم وقداستكم وكبريائكم وطهارتكم.

أ فتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (75)

والآن التفات إلى المسلمين وهو مثل التفات إلى النبي في الآيات (6-7) وإلى بني إسماعيل في الآيات (21-29). لهذا الالتفات غرضان؛ أولهما تسلية المسلمين أن لا تفتر عزيمتهم بمخالفة بني إسرائيل ولا يتعجبوا من أن مثل هؤلاء العلماء للدين والشريعة يخالفون هذه الدعوة فمن ثبتت عقولهم فاسدة بحيث يلوون ألسنتهم بما يقول لهم النبي وهم يفهمونه جيداً ويعنون به ما لا يريده هو كما سمعتم عن الأمر بذبح البقرة فهل ترجون من هؤلاء الفاسدين السوء أو من يتبع خطواتهم أنهم يحاولون فهم قولكم السديد لهم بأسلوب معقول؟ وآخرهما إخبارهم عن بعض أفعال اليهود الخفية عليهم فلا يغترّ المسلمون الساذجون بإيمانهم فيحسنوا بهم الظن ويعقدوا معم أواصر الودّ والإخلاص، إنما يقدّمونه إليهم اختلاق وزور.

يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعدما عقلوه: حرف الشيئ عن وجهه: تحويل الشيئ من جهته الصحيحة إلى جهة أخرى غيرها ومن هنا حرّف القول أو حرّف الكلام وهو يعني تبديل القول ولهذا التحريف وجوه عديدة منها:
أولها: أن يأوّل كلام تأويلاً عمداً يخالف ما يريد القائل أن يقوله.
وثانيها: أن يبدّل أسلوب تلفظ الكلمة وقراءتها تبديلاً يحوّل الكلمة من شيئ إلى شيئ آخر مثل "مروة" التي حرّفت فبدّلت إلى "موره" أو "مريا".
وثالثها: أن يزيد شيئاً إلى جملة أو فقرة أو ينقص منها بحيث يبقى غرضها الأصلي مختلطاً الحق بالباطل مثل أن اليهود قد بدّلوا حدث هجرة إبراهيم من حيث صعب إثبات علاقته مع بيت الله الحرام.
ورابعها: أن تترجم كلمة لها معانٍ عديدة إلى معنًى لا يلائم وسياق الكلام وسباقه مثل كلمة "ابن" العبرية التي ترجمت إلى "ابن" العربية والحال أن معناها عبد ورقيق.
وخامسها: أن يكون معنى كلام واضحاً للغاية فتثار أسئلة عنه تجعل ذلك الكلام الواضح غامضاً أو تحوّله إلى جهة أخرى غيرها.
وقد ارتكب أهل الكتاب كافة هذه الأنواع من التحريف وقد عدّهم القرآن مجرميها كلها وسنفصّل في هذا التفسير كلّ هذه الأشياء مبرهنة بالدلائل الضرورية حسب المحل، ولنحفظ هنا بالإجمال صوره المختلفة وأن لا يطلق التحريف على التحريف إلا حين يقوم به المرء متعمداً وبوعي. فقد قيّده القرآن بـ"من بعدما عقلوه وهم يعلمون" وهذا هو العلم والشعور اللذان يجعلان التحريف جريمة شنعاء يعاقب الله مرتكبيها بأن يحرمهم نورَ العلم.
وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أ تحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجّوكم به عند ربكم أ فلا تعقلون (76)
"وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا" أي لا يمتلك الدين والإيمان المسلمون فحسب بل نحن أيضاً نؤمن، والمراد من قولهم هذا، كما بيّنا لدى تفسير الآيتين (8-9)، لم يكن إلا خدع المسلمين. فهم كانوا يخدعون المسلمين بظاهر كلمات هذا القول لكي يجعل المسلمون يثقون بهم بينما كانوا يعنون بها أنهم حينما يؤمنون بأنبيائهم وصحفهم فلا حاجة إلى الإيمان بشيئ آخر فقد نبّه القرآن المسلمين هنا أن لا يقعوا في شبكة هذا النوع من الكلام المفتري ولا يرجوا منهم شيئاً ما فإن هناك فرقاً بيّناً بينما يجهرون به وبين ما هم يسرّون فهم يعلنون بأنهم آمنوا

ولكنهم حينما خلا بعضهم إلى البعض فيحاسب أحدهما الآخر حساباً شديداً فإن تكلّم أحدهم معكم لأجل المصانعة بما هو يؤيّد الإسلام فهم يحاسبونه شديداً في مجالسهم الخاصة بأن يكشف للمسلمين بالنسبة للنبي الخاتم ودينه الإسلام عما كشف عنه الله لكم عن طريق صحفكم ولا تعنوا بأن المسلمين سيستدلون به يوم القيامة كشهادة عليكم.

أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون (77)

ولو أن هذه الجملة عامة بأن الله يعلم ما ظهر وما بطن ولكن المحل يشير هنا بلطافة إلى أن هؤلاء لا يتفكرّون، حين خداع المسلمين، أن الله يعلم حقيقة إيمانهم الذي هم يعلنونه كما هو يعلم ما يقومون به من محاسبة أحدهم في مجالسهم الخاصة على الكشف عن الأسرار للمسلمين، وهذا يعني أن هؤلاء الحمقاء يمكن لهم أن يخفوهم على المسلمين في قناعهم الظاهري ولكن التدبير الذي اختاروه لإخفائهم على الله لا يخفى عليه بأنه يحضر خلائهم وجلائهم كما يعرف ما ظهر منهم وما خفي.

ومنهم أمّيّون لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ وإن هم إلا يظنّون (78)

أمّيّون جمع أمّيّ وهو يعني أن الذي لا يعرف الكتابة ولا يأنس إلى التعليم البدائي والمراد هنا من هذه الكلمة هم جهلاء اليهود.

يبدو من إفرادهم بالذكر أن الطائفة التي جاء ذكرها في الآيات السابقة باسم "فريق منهم" أريد بها علماء اليهود ومن لهم عقل وحجى وما ذكر من أشغالهم يجب أن يتصف بها علماؤهم العقلاء فالبديهي أن التحريف في كلام الله ومحاولة خداع المسلمين ليسا مما يقوم به العامة التي لا تعلم شيئاً فلا بد من أن يكون قد قام به الماكرون الماهرون في مكرهم وعلى هذا فبعد ذكرهم وإيئاس المسلمين عنهم جاء الآن ذكر عامة اليهود ومن ثم أوضح أن لا يرجو منهم المسلمون أن يقبلوا الحق وذلك لأن الطائفة الأخرى تخوض في الأوهام والآمال كما أن الطائفة الأولى غارقة في الشرّ والحيل.

ذكر من أمراضهم أنهم "لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ". الأماني جمع الأمنية التي تعني الأمل والرجاء والهوى. والمعنى أنهم لا يقفون على إرشادات كتابهم شيئاً سوى آمال وأماني في أذهانهم. ولو أن هذه الأماني لا أساس لها ولكن علمائهم قد لقّنوهم هذه الأماني بحيث أنهم يعتبرونه مجموعة أمانيهم الكاذبة

فهم يرون أن كتابهم لا يوجب عليهم شيئاً بل قد نزل لكي يصدّق ما هم يأملون وقد أشار القرآن إلى بعض أماني هذا النوع فقال مثلاً:

"وقالوا لن تمسّنا النار إلا أياماً معدودة" (سورة البقرة: 80)

"وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيّهم" (سورة البقرة: 111)

"قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خاصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين" (سورة البقرة: 94)

"وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه" (سورة المائدة: 18)

وقد ذكرنا طرفاً من تلك الأماني فالبديهي أن من يسقط في مثل هذه الأوهام ويحلمون هذه الأحلام الحلوة ومن لا يكلّفون من المسئوليات إلا قليلاً ومن تصان حقوقهم عند الله، كيف يمكن لهم أن يرضوا عن الإيمان بهذا القرآن الذي يوقظهم عن أحلامهم الحلوة ويعدّهم لمواجهة حقائق الحياة المرة ومسئولياتهم الباهضة.

وإن هم إلا يظنون: وهذا يعني أن كافة أمانيهم مما أوجدته عقولهم وعقول علمائهم فهي لا تمت إلى الواقع بصلة.

فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون (79)

وقد بيّنا حين شرح كلمة "الكتاب" في بداية هذه السورة أن هذه الكلمة قد استخدمت لأحكام وسنن الشريعة كما استخدمت لمعانٍ أخرى في القرآن، وهنا أريد بها تلك الفتاوى والأحكام التي كان علماء اليهود يصدرونها بدون أي أساس شرعي لمجرد أهدافهم الدنيوية وإرضاء عامة أشياعهم ثم يدعون أنها مما يأمر به الله ورسوله.

والمراد من "الكتابة بأيديهم" أن فتاواهم لم يكن لها أساس في الكتاب الإلهي فهي كانت مما افتلقوه وأجدوه من عندهم إلا أنهم كانوا ينسبونها إلى الله وشريعته. وهذه هي الفتاوى التي أغفلت عامتهم عن مسئوليات الشريعة الحقة فسقطوا في الأوهام التي أشارت إليها الآية السالفة، ومن ثم اختلط بدينهم ما لم تكن لها علاقة بالدين.

ليشتروا به ثمناً قليلاً: سمّاه بـ"قليل" بما أن شراء الدين لم يكن إلا للأهداف الدنيوية وإن يظفر بأكبر فائدة بشراء الدين فلا تكون إلا قليلة.

فويل لهم مما كسبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون: أي أن هذين الأشياء يثبتان ويلين لهم على حدة يوم الآخرة فكتابتهم الشريعة الإلهية حسب هواهم سبب للويل كما أن شرائها بثمن قليل سيوجب الويل.

وقالوا لن تمسّنا النار إلا أياماً معدودة قل أ تّخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون (80)

وهذا مثل واحد لتلك الأماني الكاذبة التي أشير إليها آنفاً فلم تكن اليهود يعترفون لهم بخلودهم في جهنم فبالرغم من اعتبارهم الجنة أو جهنم نتيجة للأعمال أو جزاء لها، أنهم عدّوا أنفسهم أحبّاء الله فلا يدعّون إلى نار جهنم ولو كانت أعمالهم سيئة للغاية وإن دعّوا إليها فلا ينزلون بها إلا لأيام معدودات يخرجون منها خلالها فيدخلون الجنة فهذا الوهم منهم قد أغفلهم عامة وخاصة عن أداء مسئوليات الشريعة فلم يبنوا النجاة على العمل والإيمان بل على نسبتهم إلى عشيرة الأنبياء وهذا من سوء الحظ أننا مسلمين قد وقعنا في مثل هذا الخطأ الفاحش.

أم تقولون على الله ما لا تعلمون: "لا تعلمون" أي لا أساس لقولكم هذا في الكتاب الرباني فقمتم باختلاق شيئ من عند أنفسكم وعزوتموه إلى ربكم والحال أنه قد أخذ منكم الميثاق على أنكم لا تعزون شيئاً غير الحق إلى الله. "أ لم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا تقولوا على الله إلا الحق" (سورة الأعراف: 168)

بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون" (82)

هذا ردّ على وهم اليهود الذي قد مضى ذكره أي الجنة أو النار لا تتعلق بالنسبة إلى العشيرة أو الجماعة بل هي تبنى على الأعمال فحسب فمن يرتكب سيئة ثم تحيط به تلك السيئة فهو خالد في النار ولو أنه ينتمي إلى طائفة ما وبالعكس من ذلك فمن يستقيم على الإيمان والعمل الصالح فهو خالد في الجنة ولو هو ينتسب إلى طائفة وضيعة ما.

وكما وردت الآية "إن الذين آمنوا والذين هادوا ---" على ختام سلسلة الحديث الأولى فكما وردت "بلى من كسب سيئة ---" على نهاية سلسلة الحديث الثانية، ويشبه محل وهدف الآية الأولى بمحل وهدف الآية الثانية فلنحاول أن نفهم إحداهما في ضوء الآخر وسنوضّح هذا مزيداً في مكان يلائم التوضيح.

ترجمة من الأردوية: د. أورنك زيب الأعظمي

القرآن وعلومه في شبه القارة الهندية (خلال القرن السابع عشر الميلادي)

- أ. د. ظفر الإسلام الإصلاحي

امتازت الهند في القرن السابع عشر الميلادي بوجود سلاطين وأباطرة مغول لهم شأن خاصّ مميّز أمثال جهانغير، وشاهجهان، وأورنغ زيب، ففي عهدهم بلغ النظام السياسي والاجتماعي والتعليمي والثقافي أوج عظمته. وبفضل محبّة هؤلاء السلاطين للعلم وإشرافهم عليه، ازدهرت مهامّ التصنيف والتدريس بينما لم تزل المدارس تروّج العلوم والفنون من جهة ومن جهة أخرى زادها الحلقات الذاتية للعلماء والمشائخ رقياً على رقيّ. ونجد كذلك أن التفسير كان كمادة إجبارية في مقرّرات المنهج الدراسي لمدارس هذا العهد. أما فيما يتعلق بالكتب المقرّرة عن التفسير فنجد أن تفسير الجلالين والبيضاوي كانا قد تصدّراها في ذلك الزمن ولو أن الكشاف قد عني بدرسه وتدريسه. وأما شهرة التفسير البيضاوي فيمكن تقديرها بدليل كثرة الشروح والحواشي التي ألّفت عليه كما أن بعضاً منهم كانوا يحفظونه في ذلك العهد مع حفظهم للقرآن[1].

كان عهد جهانغير (1605-1627م) قصيراً بالنسبة لغيره من الأباطرة إلا أنه يستحق الالتفات إليه نظراً لفعالياته العلمية والثقافية. فلقد كان جهانغير مشهوراً لتلوّن مزاجه وولعه بالتنعم واللهو إلا أن الحقيقة التي لا يعرفها إلا القليل من الناس أنه كان يطوي بين جنبيه ذوقاً علمياً رفيعاً[2] فقد كان من أساتذته من مهر في العلم والفن كأبي الفيض فيضي صاحب تفسير سواطع الإلهام والمحدث الكبير مير كلان، فالبديهي أن صحبة هؤلاء الأساتذة الأفاضل وتربيتهم، وعلاقته مع علماء بلاطه الآخرين قد صقل كلّ منها ذوقه العلمي ترويقاً. وكذا تبدو رغبة جهانغير في العلم جلياً من أنه كلما كان يخرج لسفر أو خطب عظيم كانت ترافقه المكتبة الملكية وهو لم يكن يستفيد منها فحسب بل كان يهدي

---

[1] تذكرة علماء هند، ص 213

[2] إقبال نامۂ جهانگيري، 129/2 وليراجع للتفصيل: بزم تيمورية، ص 128-150

الكتب الدينية والعلمية لأرباب العلم والفضل، وحسبما أوضح في سيرته الذاتية (تزك جهانغيري) أنه أهدى، أثناء سفره لغجرات (1618م)، لبعض مشائخه نسخاً موقّعاً عليها بيده من التفسير الحسيني، وتفسير الكشاف، وروضة الأحباب[1]. وهذا دليل ثابت على أن المكتبة الملكية كانت تملك ذخيرة من كتب التفسير. ومما يدل أيضاً على اهتمام جهانغير بنشر العلم أنه عني عناية تامة بتعمير المدارس القديمة وإنشاء المدارس الجديدة. ومما لا شك فيه أن لعلماء هذا العصر الأفاضل من أمثال مجدد الألف الثانية، والشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي ومير كلان المحدث، أنّ لهم دوراً مهمّاً في نشر وترويج العلوم الدينية إلا أنه لن يمكن لنا أن نصرف النظر عن رغبة السلطان في العلم والفن.

عهد جهانغير (1627-1658م) يعتبر عهداً زاهراً للسلطنة المغولية، وقد لعب كلّ من شوكة العرش الحكومي والرقيّ المعماري والفعاليات العلمية والثقافية دوراً على حدة في تمكين هذا العهد أزهر العهود، فقد تربّى شاهجهان وتعلّم في ظل الشيخ وجيه الدين الغوجراتي، والشيخ أبو الخير، وقاسم بيغ التبريزي، وكان السلطان يعرف اللغة التركية علاوة على تضلعه من اللغة العربية والفارسية، ولا شك أن السلطان كان له ذوق رفيع للغاية للهندسة المعمارية ولولعه واهتمامه الذاتي بهذا الميدان بلغ هذا الفن ذروته إلا أن هذا لا يعني أن هذا العهد كان خلواً من الإنجازات العلمية، فالواقع أن هذا العهد المغمور بالغنى والسعادة قد ثبت ملائماً لنشر العلوم والفنون كذلك. فكان السلطان يقرّب أهل العلم والفن ويجزل العطاء والإنعام على الذين كانوا ينجزون مآثر علمية وفنية بارزة. وذات مرة قام القارئ الشيخ أبو المعالي بترتيل آي من القرآن الكريم بصوته الجميل على طلب من السلطان في بلاطه ففرح السلطان به حتى أعطاه قرية في ضواحي بلغرام لسدّ رمقه وتلبية معاشه[2]. وكذا تواصل تقليد القيام بالمدارس والعناية بها في عهد شاهجهان أيضاً ولترغيب الطلبة في العلم قرّر لهم السلطان منحة يومية. وكذا كان العديد من أمرائه ووزرائه من كان يهتم بالعلوم والفنون ويعنى بها ونخصّ منهم بالذكر أفضل خان، ديوان كل[3]

---

[1] توزك جهانگيري، ص 218

[2] مآثر الكرام، ص 66-67

[3] "ديوان" منصب يعادل وزير المالية

والوزير سعد الله خان ودانشمند خان (ملا شفيع) مير بخشي[1]، ويدل على ذلك بالصراحة مشاركتهم في المجادلات والمناقشات العلمية والقرآنية، واشتهرت من بينها مناقشة حدثت في ذلك العهد حول تفسير قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين)، وكان من أبرز المساهمين فيها الملا عبد الحليم السيالكوتي ودانشمند خان. فقد قرّر الوزير سعد الله خان حكماً عليهم، وتشكّل الأمر في النهاية وأصبح من الصعب الفصل عن أيّ الشيخين أعمق وأوسع علماً[2].

كان أورنغ زيب عالمغير (1658-1707م) أكثر السلاطين المغول ثقافةً وتفقهاً وولعاً بالعلوم الدينية وحباً للقراءة والدراسة[3] وكان يدرس أمهات كتب التفسير والحديث والفقه، وكان معظم أساتذته حفظة للقرآن كما شملهم من اشتاق إلى علم التفسير أمثال محمد هاشم الغيلاني والملا شفيع اليزدي والملا جيون. وكثيراً ما نجده يحيل إلى الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة في رسائله وأحكامه، الأمر الذي يثبت اطلاعه الواسع على القرآن والحديث وعلاقته الوطيدة معهما. واستمراره بشغله الحبيب لكتابة القرآن مع انشغاله بشئون الدولة أكبرُ دليل على اتصاله الشديد بالقرآن وعلومه، وزدْ على ذلك حشوَ المكتبة الملكية بالكتب الدينية في عهده وهي كذلك كانت تشمل بعض النسخ النادرة لتفسير الكشاف[4]. لم يكن السلطان متصفاً بالعلوم والفنون فحسب بل كان مهتماً بإشاعة العلم بأي الطرق. فاهتم بالتعليم في جميع أنحاء السلطنة كما أمر بتقديم عطاءات للأساتذة، وقرّرت منح يومية للطلبة حسب استعداداتهم العلمية. ويبدو من أحد أحكامه الملكية لديوان غجرات أن لكلّ من الدارسين من ميزان حتى الكشاف منحة دراسية أعطيت من خزينة الحكومة[5].

وبغض النظر عن السلاطين والأمراء فقد كان العلماء والفضلاء المعاصرون أهم وسيلة وأنجحها لترويج العلوم. فقد قام هؤلاء العلماء المولعون بالقرآن

---

[1] "مير بخشي" منصب يعادل القائد

[2] مآثر الأمراء، 30/1/2-32 وبزم تيمورية، ص 226

[3] مآثر عالمگيري، ص 531-532 وعالمگير نامة، 1091/2

[4] Mughals in India (Bibliographical Survey)، ص 39، رقم: 115 وفهرست مخطوطات عربي وفارسي لمكتبة خدابخش، 14/2/18-16، رقم: 1349 وعالمگيرنامة، 1085/2-1086 ومآثر الأمراء، 639/2/3

[5] مآثر عالمگيري، ص 529 وعالمگير نامة، 1085/2-1086 ومرآت أحمدي، 285/1

بدور قيادي في ترويج علومه وعلم التفسير، وقد شملهم المهرة في تدريس فن التفسير، وأما من اشتهر في هذا العهد بنشر هذا العلم عن طريق كتاباتهم من علماء هذا الحقل فمهروا ودرّسوا هذا العلم فأخصّهم بالذكر الشاه عيسى جند الله البرهانفوري، وعبد السلام اللاهوري، والملا محمد الجونفوري، وعبد السلام السيالكوتي، وعبد القوي البرهانفوري، والمير طفيل محمد يعقوب اللاهوري.

والشاه عيسى جند الله (ت 1622م) كان من السند ومن كبار علماء السلسلة الشطارية، وأقام ببرهانفور في عهد أكبر فاشتهر بنسبته إليها. استكمل علومه الدينية على يد عمّه الشيخ طاهر المحدّث كما اشتهر بمهارته في تدريسها، وعلاوة عليها فقد صنّف ثلاثة كتب على الأقل في موضوع التفسير مما يدلّ على علاقته ورغبته في هذا الموضوع وسيأتي بيانها فيما بعد. وأما عبد السلام اللاهوري[1] (ت 1647م) فهو كان واحداً من تلامذة مير فتح الله الشيرازي. ومن المجالات التي رغب فيها التفسير والفقه فقد أنفق نحو خمسين سنة في تدريس هاتين المادتين[2] ومن أبرز من استفاض منه المفتي عبد السلام الديوي والذي اشتهر بمهارته في علم التفسير وخدماته في تدريسه. وعلاوة على التدريس فقد برزت موهبته التفسيرية في كتابه "حواشي البيضاوي"[3] وهناك عالم آخر في عهد شاهجهان وهو محمد فاضل البدخشي والذي اشتهر في براعته في الحكمة والتفسير، إنه كان موهوباً في حلّ العبارات المعقدة والمباحث الصعبة، فاز بمنصب قاضي العسكر في عهد جهانغير، وفي آخر أيام حياته انشغل بالدرس والتدريس حتى وافته المنية[4]. وممن رغب في التفسير والحديث من بين تلامذة الشيخ محمد فاضل خواجه البهاري اللاهوري (ت 1650م)[5].

---

[1] گلزار أبرار، ص 509-515، وتذكرة علماء هند، ص 215، ونزهة الخواطر، 295/5-296، وتذكرة صوفياء هند، ص 156-164

[2] عمل صالح، 390/3، ومآثر الكرام، ص 226، تذكرة علماء هند، ص 120 والحدائق الحنفية، ص 406، ونزهة الخواطر، 303/5

[3] عمل صالح، 290/3، ومآثر الكرام، ص 225-226، وتذكرة علماء هند، ص 120، ونزهة الخواطر، 222/5-223

[4] عمل صالح، 389/3، وبادشاه نامة، 340/2/1، ونزهة الخواطر، 384/5

[5] تذكرة علماء هند، ص 58، والحدائق الحنفية، ص 412

والملا محمد الجونفوري (ت 1652م) من أبرز علماء جونفور شيراز الهند، إنه استفاد من محمد أفضل الجونفوري في نيل العلوم الدينية، ثم جعل التدريس والتصنيف نصب عينيه ويشتهر عنه أنه كان ماهراً في علم الكلام والحكمة وعلى هذا فهو معروف بـ"صاحب الشمس البازغة" (كتاب مشهور في الحكمة) ولكن يبدو جلياً من قول مؤلف "عمل صالح" أنه كان عنده ملكة خاصة في تفسير الآيات القرآنية[1] ومن بين العلماء الذين طار صيتهم في عهد شاهجهان بسبب تعلقهم بعلم التفسير وخدماتهم التدريسية وفي تشريح وتوضيح الكتب الدراسية هو الملا حليم السيالكوتي (ت 1656م). إنه كان ممن استفاض من الشيخ مجدد الألف الثانية رحمه الله، ولأجل مؤهلاته العلمية وطول باعه في العلوم والفنون كان يناديه الشيخ المجدد بـ"آفتاب پنجاب" (شمس بنجاب) وعلى هذا فهو لقي تكريماً وقبولاً حسناً لدى السلطان. ويصرح من عاصره من المؤرخين أنه انشغل بالدرس والتدريس لحوالي ستين سنة[2] وله مؤلفات في ميدان علم التفسير سيأتي ذكرها فيما بعد. ومن بين أساتذة أورنغ زيب الذين اشتهروا ببراعتهم في العلوم الدينية لاسيما في التفسير والفقه هو عبد القوي البرهانفوري (ت 1665م). كان السلطان يقدّره ويكرّمه ويدعوه بـ"أخوند" كما كان يستشيره في مختلف القضايا[3]. وكذا السيد محمد جعفر بدر عالم الغوجراتي اشتهر لتخصصه في علم التفسير والحديث من بين معاصري أورنغ زيب، وقد تجلّت مهارته في علم التفسير في كلا المجالين؛ التصنيف والتدريس ولأجل خدماته هذه يمتاز السيد محمد عن معاصريه من علماء هذا الفن[4]. وهناك عالم آخر في عهد عالمغير مهر في علم التفسير والحديث والفقه فأولع فيها وهو الشيخ محمد يعقوب البناتي اللاهوري (ت 1686م). احتل منصب "مير عدل

---

[1] عمل صالح، 391/3، وسبحة المرجان، ص 142-143، وتذكرة علماء هند، ص 221، والحدائق الحنفية، ص 413، ونزهة الخواطر، 397/5-399

[2] عمل صالح، 383/3، وبادشاه نامة، ص 340-341، وسبحة المرجان، ص 170-172، وتذكرة علماء هند، ص 110-111، ونزهة الخواطر، 210/5-211، والحدائق الحنفية، ص 414-415

[3] مآثر الأمراء، 225/1/1-227

[4] تذكرة علماء هند، ص 182، والحدائق الحنفية، ص 142

عسكر[1]" لمدة قصيرة في عهد جهانغير، ثم انشغل بإشاعة العلوم الدينية عن طريق الدرس والتدريس. ظهرت موهبته التفسيرية في أحد المجالين؛ التصنيف والتأليف.[2]

هذا ذكر موجز لعلماء عهود جهانغير وشاهجهان وأورنغ زيب المولعين بفن التفسير والمعروفين بخدماتهم التدريسية في هذا الفن. ونظراً لكثرة المدراس والحلقات العلمية في هذا العهد يناسبنا القول بأن نشر التفسير وتعليمه قد تم عن طريق هؤلاء العلماء خلال الفترة الممتدة لأكثر من قرن، إنها تذكرة للعلماء الذين قد جاء ذكرهم في التراجم العامة وإلا فالذين أدّوا خدمات في الدرس والتدريس في ذلك العهد ليكوننّ عددهم أكثر بكثير. وبجانب هؤلاء العلماء كانت هناك طبقة أخرى من العلماء المساهمين في نشر وترويج علم التفسير، الذين اشتغلوا بالتصنيف والتأليف في هذا المجال فمن رجال هذه الطبقة من اهتم بترتيب التفاسير ومنهم من قام بكتابة الشروح والحواشي على التفاسير القديمة المتداولة، كما نجد من بينهم من اهتم بتوضيح وشرح مختلف جوانب فن التفسير. وسيتضح هذا كله من التفاصيل الآتية:

التفاسير التي كتبت في القرن السابع عشر الميلادي يتصدّرها التفسير المرتضوي حسب الترتيب الزماني. إنه اكتمل عام 1607م بأمر من السيد فريد بخاري الملقب بالنواب مرتضى خان. إن النواب مرتضى خان كان من أشهر وأبرز أمراء العهد جهانغيري. إنه اتصل بالحكومة محتلاً منصب "مير بخشي" وعن طريق الولاية. وبجانب هذه الأوصاف إنه كان يحبّ العلم ويربّي العلماء ويعنى بنشر العلم عناية فائقة والتفسير الآنف الذكر من مظاهر رغبته في العلم. وقد رتّب هذا التفسير الشيخ زين العابدين شيرازي بأمر منه[3]، والتفسير الثاني الشهير في عهد جهانغير هو "تفسير نظامي" وهو باللغة الفارسية، وقد قام بتأليفه الشيخ نظام الدين بن عبد الشكور التهانيسري (ت 1630م). كان صاحبه ماهراً في شتى العلوم وأما التصوف فقد استفاض فيه

---

[1] "مير عدل عسكر" منصب يعادل قاضي العساكر

[2] عمل صالح، 392/3، ونزهة الخواطر، 439/5-440

[3] نزهة الخواطر، 401/5-402، ومآثر الأمراء، 632/2/2-6441، ورود كوثر، ص 116-125

من الشيخ جلال الدين التهانيسري. ذكر صاحب سواطع الأنوار (محمد أكرم) أن تفسيره يسمّى "رياض القدس" على عكس ما سمّاه عامة المؤرخين[1]. ونجد في تفسيره أنه كثيراً ما ينطق بلسان التصوف[2]. والتفسير الثالث المهمّ في عهد جهانغير هو "أنوار الأسرار في حقائق القرآن". يشتمل هذا التفسير العربي على أربعة مجلدات ضخمة. ألّفه الشاه عيسى جنديله البرهانفوري الذي قد مضى ذكره فيما سلف[3] وقد عزا بعض المؤرخين تفسيراً آخر إلى العهد الجهانغيري ألّفه الشيخ نعمة الله بن عطا النارنولوي الفيروزفوري (ت 1662م)[4]. ولو أنه ذكر كترجمة للقرآن ولكنه سمّي بـ"تفسير جهانغيري". وكذا ينتسب إلى هذا العهد ترجمة فارسية لتفسير عرائس البيان {للشيخ أبي محمد الروزبهاني بن أبي الأنصاري (ت 606م)} وهي تنطق عن الأفكار الصوفية. قام بهذه الترجمة الشيخ بدر الدين السرهندي أحد خلفاء الشيخ مجدد الألف الثانية. إنه أمضى سبعة عشر عاماً لدى الشيخ المجدد وتعلم عليه التفسير البيضاوي وغيره من الكتب، وكان له اهتمام بالغ بالتصوف وعلى هذا فقد انتخب هذا التفسير للترجمة والذي قد لقي قبولاً عاماً لدى الصوفيين للونه الصوفي المخصوص[5].

وأجدر التفاسير بالذكر في عهد شاهجهان هو "تفسير شاه" الذي قام بكتابته في الفارسية الشاه محمد بن عبد محمد (ت 1663م)، تمّ هذا التفسير في عام 1647م. كان الشاه محمد من أشهر الصوفيين من السلسلة القادرية، وكان معروفاً بلقب "لسان الله". في عام 1614م غادرر وطنه بدخشان إلى الهند، فنزل بلاهور لمدة قصيرة ثم انتقل إلى كشمير وأقام بها. كان الشاه محمد من تلامذة الشاه محمد

---

[1] Persian Literature، 18/1، فهرست مخطوطات فارسي (مكتبة إنديا آفس)، 327/1، رقم: 654

[2] أخبار الأخيار، ص 142، وتذكرة علماء هند، ص 142، والحدائق الحنفية، ص 401، ونزهة الخواطر، 418/5-419، Persian Literature، 18/1، وعلماء هند كا شاندر ماضي، ص 451-454

[3] گلزار أبرار، ص 515، ونزهة الخواطر، 295/5-296، وتذكرة صوفياء هند، ص 156-164

[4] نزهة الخواطر، 423/5-424، والثقافة الإسلامية في الهند، ص 165 ولا أدري نسبة تاريخ وفاته إلى العهد الجهانغيري صحيحة.

[5] نزهة الخواطر، 90/5

الصوفي وقائلاً بمذهب وحدة الوجود. كان دارا شكوه وجهان آرا من أشدّ معتقديه[1]. كثيراً ما انحرف مؤلف "تفسير شاه" عن مذهب عامة المفسرين في توضيح وشرح الآيات القرآنية ناطقاً عن أفكار الصوفية[2] ويظهر من بيان استوري أن هذا التفسير بعضه بالعربية بينما البعض الآخر بالفارسية[3]. ولكن مفهرسي الجمعية الآسيوية، غربي بنغال ومكتبة خدابخش الشرقية يذكران أن التفسير بإسره بالفارسية[4]. وأما الدكتور محمد سالم القدوائي فهو يحكم بأنه بالعربية ولا غير[5]. فهذا الاختلاف الشديد بشأن لغته يعجز الذهن عن فهمه، وبما أننا لا نمتلك أي مخطوط له إلى الآن فلا يسعنا أن ندلي برأي ما. وقد أخرج المؤلف سنة تأليفه من "شاه تفاسير". توجد نسخه مصونة في مكتبة الجمعية الآسيوية، غربي بنغال، ومكتبة خدابخش الشرقية، بتنة، ومكتبة رضا، رامفور. وأقدم نسخة له ما يمتلكها مكتبة الجمعية الآسيوية، غربي بنغال وهي تمت كتابته في القرن الحادي عشر الهجري، والتفسير الثاني من عهد شاجهان أيضاً بالفارسية، ألّفه علي الشيرازي. كان مؤلفه عالماً هندياً وانتقل إلى شيراز في آخر عمره وتوفي بها عام 1674م[6]. وهذا التفسير مؤلَّف على طريقة وأفكار الشيعة. لا نجد له ذكراً في أي فهرس للمخطوطات أو ذخيرة للكتب.

والعهد العالمغيري ذائع الصيت لنشر وإشاعة العلوم والفنون الدينية وبغض النظر عن بقية العلوم فتبرز خدماته في فن التفسير وتستحق الثناء والتقدير، والدليل على ذلك ما تم تأليفه في هذا العهد من العديد من التفاسير العربية والفارسية وزدْ على تلك ما تم ترتيبه من الكتب عن علم التفسير وأصوله. ومن أوائل التفاسير في العهد العالمغيري تفسير "زبدة التفاسير" أو "تفسير أورنگ زيبي". إنه تفسير عربي فرغ من تأليفه الشيخ معين الدين بن سراج الدين

---

[1] المصدر نفسه، ص 164

[2] ليراجع للتفصيل: علماء هند كا شاندار ماضي، ص 476-479

[3] Persian Literature، 19/1

[4] لينظر: فهرست مخطوطات فارسي لمكتبة الجمعية الآسيوية، ص 470-471، رقم: 969 وفهرست مخطوطات عربي وفارسي لمكتبة خدابخش، 3/112-113، رقم: 324

[5] هندوستاني مفسّرين اور انكي عربي تفسيرين، ص 114-115

[6] لينظر: دائرة معارف اسلامية، 4/مادة التفسير، ومجلة توحيد الفصلية، عدد فبراير-مارس/1985م/158

خواند شاه (ت 1674م) في 1664م. كان الشيخ معين الدين من تلامذة عبد الحق المحدث الدهلوي ومن أبرز فقهاء كشمير الحنفية، تجلت موهبته العلمية في الميادين الثلاثة؛ التفسير والحديث والفقه ففي مجال التفسير أثر كتابين، وعلاوة على "زبدة التفاسير" فله تفسير آخر بالفارسية يسمّى بـ"شرح القرآن". تفسيره العربي جامع وموجز وله أسلوب سلس وخالٍ من التعقيد. إحدى مخطوطاته العربية موجودة في ذخيرة الكتب العربية لمكتبة الجمعية الآسيوية، غربي بنغال[1]. والتفسير الآخر الجدير بالذكر في هذا العهد هو "تفسير أميني" والذي رتّب بوحي من السلطان باللغة الفارسية. ألّفه محمد أمين الصديقي العلوي. توجد إحدى نسخه الخطية في المكتبة الآصفية بحيدراباد[2]، والتفسير الذي يحتل أهمية كبرى من بين التفاسير الفارسية لعهد جهانغير هو تفسير "زيب التفاسير". قام بترتيبه صفي بن ولي القزويني الكشميري على طلب من الأميرة زيب النساء ولذا نسب إليه وسمّي بـ"زيب التفاسير"[3]. إنه تفسير ضخم له مجلدات عديدة. مجلده الخامس يشتمل على تفسير السور من الأنفال إلى يوسف فينتج من ذلك حقاً أن هذا التفسير اكتمل في عشرة مجلدات على الأقل. وسنة تأليف الجزء الخامس هي 1670م. أما الجزء الأخير فسنة تأليفه 1677م كما صرّح عنه المؤلف في كتاب له غير هذا[4]. وطبقاً لما صرّح عنه مآثر عالمغيري ونزهة الخواطر تفسير "زيب التفاسير" ترجمة فارسية للتفسير الكبير للإمام الرازي[5]، ولكنه تفسير مستقل في حدّ ذاته كما يظهر من بيان المؤلف نفسه[6]. ومن مصادره التفسير البيضاوي والتفسير الكبير والكشاف والبحر المواج. توجد مخطوطة مجلده الخامس في المتحف البريطاني ومكتبة

---

[1] Mughals in India (Bibliographical Survey)، ص 349 (2) وليراجع لمزيد التفصيل: هندوستاني مفسرين اور انكي عربي تفسيرين، ص 77-81، وفهرست مخطوطات عربي لمكتبة الجمعية الآسيوية، ص 40، رقم: 156

[2] Persian Literature، 19/1، وفهرست مخطوطات عربي وفارسي وأردو للمكتبة الآصفية، 562/1، رقم: 165

[3] مآثر عالمگيري، ص 539 وليراجع لصاحب هذا التفسير ومآثره: مقالة (أنيس الحجاج)، معارف، 24-5/1/92

[4] أنيس الحجاج (مخطوطة دار المصنفين، أعظم كره، الهند)، رقم: 93 (الورقة: ألف)

[5] مآثر عالمگيري، ص 539 ونزهة الخواطر، 93/6

[6] أنيس الحجاج، الورقة: ألف

بودلين، أوكسفورد إلا أن النسخة الأولى هي أقدم النسخ وهي تمت كتابتها في زمن المؤلف ذاته[1]. وهناك تفسير عربي آخر سميّ هذا التفسير وهو أيضاً تم تأليفه في زمن عالمغير. مؤلّفه شيخ الإسلام بن القاضي عبد الوهاب (ت 1697م)، كان المؤلف من مشاهير علماء وفقهاء العهد العالمغيري، فاز بمنصب قاضي العسكر بعد وفاة والده[2]. وفي الواقع أن هذا التفسير ملخّص التفاسير القديمة، تم إعداده نظراً لنفع العوام ولذا فقد روعيت فيه سلاسة اللسان وسهولة الأسلوب بجانب الاختصار. توجد نسخة له خطية في مكتبة رضا برامفور. ومن التفاسير التي كتبت في آخر عهد أورنغ زيب تفسير لعالم غوجراتي وهو السيد محمد محبوب عالم (ت 1700م). هذا التفسير يسمّى تفسير شاهية. وهذا التفسير الفارسي يشتمل على ثلاثة مجلدات ومعظم رواياته التفسيرية مما أخذ من أهل البيت. إحدى مخطوطاته موجودة في مكتبة محكمة القضاء في بهروج. وكذا يعزى إليه تفسير آخر باسم "تفسير القرآن" وهو بالعربية. إنه كتب على طراز الجلالين[3]، وهكذا تفسير فارسي آخر في هذا العهد يعرف بـ"نعمة عظمى". ألّفه مؤرخ شهير ميرزا نور الدين الملقب بـ"نعمت خان عالي" (ت 1709م). هذا التفسير منسوب إلى السلطان أورنغ زيب، واكتمل في سنة 1702م. إنه في جزئين فالجزء الأول يشتمل على تفاسير ست عشرة سورة وأما الجزء الثاني فهو يشرح ما بقي من السور. استفاد المفسّر في التحقيق اللغوي لألفاظ القرآن ومصطلحاته من التراث القديم للأدب العربي. يوجد له نسخة خطية في ذخيرة كرزن بمكتبة الجمعية الآسيوية، غربي بنغال[4].

---

[1] فهرست مخطوطات فارسي (المتحف البريطاني)، 980/3 (الرقم: R: 1686) وفهرست مخطوطات فارسي وتركي وبشتو لمكتبة بودلين، ص 1043 (الرقم: 1810)

[2] لينظر لحياة المؤلف: مآثر عالمغيري، 148-239، ومآثر الأمراء، ص 230-231، ونزهة الخواطر، 111/6-114

[3] تذكرة علماء هند، ص 214-215، ونزهة الخواطر، 257/6، وگجرات كي تمدني تاريخ، ص 131

[4] فهرست مخطوطات فارسي (لذخيرة كرزن)، ص 246 (الرقم: 327)، و Persian Literature، 19/1-20، ودائرة معارف اسلامية، 533/4

التفاسير التي كتبت في عهد جهانغير سواء بالفارسية أو العربية يشملها تفاسير كتبت على نهج وطريقة مخصوصة بجانب التفاسير العامة. منها تفسير الملا جيون الشيخ أحمد بن أبي السعيد (ت 1717م) "التفسيرات الأحمدية في بيان آيات الشرعية" أو الذي عرف بـ"التفسير الأحمدي". كان الملا جيون من العلماء الممتازين في عهده ومن أساتذة عالمغير كذلك. كانت له صلة خاصة بالفقه، وستجد آثاره ظاهرة في تفسيره حيث إنه اهتم باستنباط الأحكام الشرعية خلال تشريح وتوضيح الآيات القرآنية. إنه اختار أربعمائة وخمسين آية تقريباً آخذاً منها القضايا الفقهية. إنه راعى الترتيب الزماني في استخراج المسائل الفقهية من القرآن الكريم كما قدّم رأيه المرجّح من خلال توضيح اختلاف رأي الفقهاء عن مختلف القضايا. إنه كان مؤيّداً شديداً للمذهب الحنفي ولذا نجده في تفسيره ناطقاً عن هذا المذهب. استفاد فيه المفسّر من التفسير البيضاوي والتفسير الكبير ومدارك التنزيل والإتقان في علوم القرآن والهداية وشرح الوقاية وفتاوى خانية كمصادر للتفسير[1]، ومن تفاسير هذا النوع تفسير عربي آخر تم التركيز فيه على توضيح الأحكام الفقهية، وهو "أنوار الفرقان وأزهار القرآن" للشيخ غلام نقشبند اللكناوي (ت 1714م). إنه تفسير لم يوفّق إتمامه فهو يشرح السور من سورة البقرة إلى سورة الأنعام شرحاً فقهياً، يعرف هذا التفسير بـ"تفسير ربع القرآن"[2] ومن زمرة التفاسير الغير كاملة من هذا العهد تفسير عربي لأصغر القنوجي (ت 1728م) وهو "ثواقب التنزيل في إنارة التأويل". كان مصنّفه من مشاهير علماء قنوج، اهتمّ بالتصنيف والتأليف مع شغله الشاغل بالتدريس. وفي هذا التفسير قسّم القرآن في سبع ثواقب وكتب على طراز "الجلالين" فالثاقبة الأولى تشتمل على سورة الفاتحة، والثانية على سورة البقرة وآل عمران، وينتهي التفسير هنا. وفي بدايته أشار المؤلف إلى ضرورة وأهمية هذا الكتاب كما فصّل حين كتابة تفسير بسم الله، مسألة "هل بسم الله جزء من سورة الفاتحة أم لا؟ وكذا سلّط الضوء المضفي على الأمور

[1] سبحة المرجان، ص 204-205، ومآثر الكرام، ص 216-217، وتذكرة علماء هند، ص 45، والحدائق الحنفية، 6/19-21

[2] مآثر الكرام، 214-216، وتذكرة علماء هند، ص 158، والحدائق الحنفية، ص 435، ونزهة الخواطر، 6/212-214

مثل كيفية نزول القرآن وجمعه وتدوينه حين الختام للثاقبة الأولى. جزء خطي لهذا التفسير يوجد في مكتبة رضا برامفور.

وعلاوة على التفاسير الكاملة والغير كاملة بقي تقليد كتابة تفسير سورة خاصة أو آية في هذا العهد[1]. ومما يجدر بالذكر من تفاسير هذا النوع تفسير سورة الإخلاص للأمير أبو المعالي (ت 1646م) وتفسير سورة الجاثية لمحمد هاشم الغيلاني (ت 1650م) وتفسير سورة يوسف لمحمد بن أبي سعيد الكانفوري (ت 1660م) وتفسير سورة البقرة المعروف بـ"تفسير رباني" للشيخ نور الدين الأحمد ابادي (ت 1743م) وتفسير آية النور للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي (ت 1643م) وتفسير بعض الآيات لعلي بن سيد نور (محتسب[2] العهد العالمغيري) وتفسير آيات الأحكام للقاضي اليزدي (ت 1714م).

أما فيما يتعلق عن التعليقات والحواشي على التفاسير القديمة فقد نال التفسير البيضاوي قبولاً عاماً في هذا الشأن، إنه كان من المقررات الدراسية في المنهاج الدراسي السائد في ذلك الزمان كما هو كان مشهوراً لاشتماله على المباحث الصعبة وعلى هذا فقد مال إليه العلماء معلّقين عليه وكاتبين حواشي عليه. وممن قام بكتابة الحواشي على هذا التفسير من العلماء الكبار الملا عبد السلام اللاهوري والمفتي عبد السلام الديوي والشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي ومحمد هاشم الغيلاني ومير طيب البلغرامي والسيد عبد الله الدهلوي والملا عبد الحكيم السيالكوتي والملا محمد يعقوب اللاهوري ونور الدين محمد صالح الغوجراتي والسيد جار الله الإله آبادي. ومن بين هذه الحواشي تحتل حواشي الملا عبد الحكيم السيالكوتي أهمية كبرى فقد كان للملا عبد الحكيم تجربة طويلة للتدريس وكان معروفاً للشرح المقنع للكتب الدراسية ونجد صفته هذه جلية إلى حد بعيد من خلال حواشيه على التفسير البيضاوي. وناظراً إلى الهدف الرئيسي للتحشية فقد استخدم الملا لغة سهلة سلسة وقام بالتفصيل التام

[1] تذكرة علماء هند، ص 141-142، والحدائق الحنفية، ص 438، ونزهة الخواطر، 187/6، وهندوستاني مفسرين اور انكي عربي تفسيرين، ص 85-88

[2] "محتسب" منصب يعادل الضابط

في شرح وتوضيح الجمل الصعبة المعقّدة وزدْ على ذلك تخريج ما استدل به البيضاوي من الروايات وإلقاءه الضوء على صحتها وضعفها[1].

وقد تناول العلماء، كما سبق، في هذا العهد موضوعات العهود السابقة للتفسير من مثل القراءة والكتابة، والناسخ والمنسوخ، والإعراب والخط، وتخريج الآيات وتفصيل الأحكام الفقهية وألقي الضوء على المباحث التي تدل بصراحة على تطوّر فن التفسير في هذا العهد. ومن تفاسير هذا النوع دستور المفسّرين وفتح محمّدي وهادية قطب شاهي ونجوم القرآن ومجمع الفوائد. فدستور المفسّرين من مؤلفات عماد الدين محمد عارف (ت 1612م) الذي يعرف في الدائرة العلمية بـ"عبد النبي الأكبر ابادي". يعزى هذا التأليف إلى الأمير المغولي عبد الرحيم خان خانان الذي كان محبّاً للعلم والعلماء. كان المؤلف ماهراً في مختلف العلوم والفنون كما قام بكتابة المؤلفات حول العديد من الموضوعات بما فيها الحديث والتصوف[2]. وكتابه المذكور أعلاه مهمّ للغاية في موضوع علم التفسير. فبجانب توضيح أهمية علم التفسير وفضله وشرح أصوله ومبادئه اعتنى المؤلف بقضية الناسخ والمنسوخ وركّز في البداية على أن معرفة الناسخ والمنسوخ لا بد منها لمن يريد تفسير القرآن الكريم. ومن خلال البحث المشبع حول الناسخ والمنسوخ استدلّ على أفكاره بأحاديث النبي وأقوال السلف الصالح وهكذا فلم يشر إلى مختلف أقسام النسخ فقط بل تم توضيحها توضيحاً تاماً بالأمثلة. وزدْ على ذلك تسليطه الضوء على ما اختلف فيه العلماء من الآيات الناسخة والمنسوخة، وقد اعتنى المؤلف بمناسبة السور خلال بحثه المفصّل حول الآيات المنسوخة كما بيّن السبب وراء نسخ كل آية وما يتعلق به من الأمور. إن هذا الكتاب يمتاز عن غيره من الكتب حول الموضوع من حيث إنه يلقي الضوء المفصّل حول الموضوعات المهمّة لعلم التفسير، الشيئ الذي لا يوجد في غيره من الكتب المؤلّفة حول الموضوع.

---

[1] عمل صالح، 3/383-384، مآثر الكرام، ص 205، وتذكرة علماء هند، ص 110، ونزهة الخواطر، 5/361-362

[2] ولينظر لحياة المؤلف وخدماته: تذكرة علماء هند، 124-125، ونزهة الخواطر، 5/261-262

وفوق ذلك إنه اختار الأسلوب العلمي والموضوعي. توجد نسخة له نادرة في مكتبة مولانا آزاد لجامعة علي كره الإسلامية[1].

و"فتح محمدي" تفسير صوفي شهير من السند الشيخ عيسى بن قاسم وهو يتحدث عن الأمور المتعلقة بفن التفسير. قام الشيخ عيسى بتأليف هذا الكتاب لولده فتح محمد وعلى هذا فقد سمّاه بـ"فتح محمدي"[2]، وهادية قطب شاهي[3] فهرس الألفاظ القرآنية، رتّبه محمد عبد الله الكربلائي في 1646م ونسبه إلى والي الدكن عبد الله قطب شاه. إنه في جزئين ففي الجزء الأول جمعت الآيات نظراً لألفاظها البدائية بينما الجزء الآخر رتّبت فيه الآيات نظراً لألفاظها النهائية وهكذا فيسهل للباحث أن يبحث عن أي آية بلفظها البدائي أو النهائي. توجد نسخه الخطية في المتحف البريطاني وإنديا آفس ومكتبة خدابخش الشرقية (بتنة) والمكتبة الآصفية (حيدراباد) والمكتبة الناصرية (لكناؤ)، وهذا من العجب العجاب أن بعض نسخه بالعربية بينما بعضها بالفارسية فاستنتج منه الدكتور سالم القدوائي أن هذه المجموعة قد تم إعدادها بالعربية أولاً ومن ثم ترجمت هي إلى الفارسية[4]. وكذا يتعلق بهذا الموضوع نجوم القرآن لمصطفى بن محمد سعيد. نسب هذا الكتاب إلى السلطان أورنغ زيب. تم إعداده في سنة 1692م وهو فهرس للألفاظ القرآنية والهدف من ورائه تسهيل الوصول إلى الآية القرآنية المستهدفة لمن يريد البحث والتحقيق. وكذا ينسب إلى المؤلف كتاب آخر في نفس الموضوع باسم "أمارات الكلم" ولكن الواقع أن هذا الكتاب لا يختلف عن السابق اختلافاً ما فيقدّر من هذا أن كتاباً واحداً قد سمّي باسمين مختلفين[5]. ومجمع الفوائد كتاب موجز حول ما يتعلق بالقرآن الكريم، ألقي فيه

---

[1] ذخيرة عبد الحيّ (القسم العربي)، رقم: 444/18 ولينظر للاستعراض المفصّل لهذا الكتاب: هندوستاني مفسرين اور انكي عربي تفسيرين، ص 217-225

[2] گلزار أبرار، ص 515-516، ونزهة الخواطر، 443/5-455، وتذكرة صوفياء سنده، ص 156-164

[3] فهرست مخطوطات فارسي (المتحف البريطاني)، 614/1 وفي بعض نسخه كتب عنوانه "هدية قطب شاهي".

[4] هندوستاني مفسرين اور انكي عربي تفسيرين، ص 246

[5] مآثر الأمراء، 638/2/3-639، ونزهة الخواطر، 272/6-273، وفهرست مخطوطات عربي وفارسي لمكتبة خدابخش الشرقية، ، 27/14-28، رقم: 1172-1173 وقد ضبط

الضوء على تحقيق الكلمات اللغوي وإعرابها والوقفات والقرآت السبع. وعلاوة على ذلك فقد ذكرت معاني الآيات التي دار النقاش حولها. اكتمل هذا الكتاب في سنة 1699م وصاحبه محمد قلي بن بادشاه قلي. ذكرت معاني الآيات وما غيرها من معظم مباحث الكتاب بالفارسية بينما خالف بعض الباحثين هذا الرأي. توجد نسخة له خطية في مكتبة مولانا آزاد[1].

قد اتضح مما سبق من التفاصيل أن العهد المذكور أعلاه قد بقي فيه التقليد القديم للصلة بالعلوم القرآنية حياً ومليئاً بالنشاط، فلم تزل تجري سلسلة إفهام وتفهيم القرآن عن طريق حلقات العلماء والمشايخ الشخصية والمدارس الإسلامية كما لم يخل هذا العهد من المناقشات حول دقائق القرآن ومعارفه وساهم العلماء المعاصرون في فعاليات التأليف والتحقيق عن القرآن وعلومه فقد ألّف في هذا العهد العديدُ من المؤلفات والرسائل عن القرآن وتفسيره بجانب الشروح والحواشي على التفاسير القديمة لاسيما المقرّرات الدراسية عن التفسير وعلومه. يبدو من هذا ما يلي:

إن طراز الجلالين قد أحبّه العلماء في تفسير القرآن بينما فضّلوا طراز الكشاف والتفسير الكبير قبل هذا من العهود، واختير التفسير البيضاوي عامة لكتابة الحواشي عليه والسبب وراء هذا واضحٌ بأن هذين الكتابين لم يعدّا من المقرّرات الدراسية فحسب بل كان الناس يحبّونهما حبّاً كثيراً. ويستدل على رغبة العلماء المعاصرين في علوم القرآن بأنهم اهتمّوا بالموضوعات التي تعتبر من ملحقات علم التفسير والدوافع على تطوّر فن التفسير بجانب الاستعداد لعلم التفسير وكتابة الحواشي على التفاسير، وعلاوة على ذلك أن هذه المباحث تبين أن اللغة الفارسية قد استخدمت كوسيلة للتعبير عن الموضوعات المتعلقة بالقرآن وعلومه بينما استخدمت اللغة العربية للإعراب عن خواطرهم حول هذه الموضوعات في العهود قبله لاسيما في عهد أكبر[2]. وما ذكر من قبل

عنوان هذا الكتاب "علامات نجوم القرآن" بينما ضبط عنوانه "نجوم القرآن" في فهرست مخطوطات فارسي لمكتبة الجمعية الآسيوية، رقم: 474 و977

[1] ذخيرة سبحان الله، الرقم: 112، 2/297

[2] وليراجع مقالة كاتب هذه الأسطر {عهد اكبري كي تفسيري خدمات (الخدمات التفسيرية في العهد الأكبري)}، مجلة علوم القرآن النصف سنوية، 1/2/112-129

يلقي الضوء على تاريخ العهود الوسطى لاسيما على جانبه الخاص بنشر العلوم القرآنية وتطوّرها كما امتاز عهد أورنغ زيب عن غيره من العهود الأخرى بالنسبة لتفسير القرآن وكتابة المؤلفات والرسائل فيه وكذا يردّ هذا على أن علماء هذا العهد قد حصروا جلّ عناياتهم في كتابة التعليقات والحواشي على التفاسير القديمة ولم يخلف طوالَ هذه المدة المديدة عملٌ كبيرٌ سوى تفسير أو تفسيرين.

ترجمة من الأردوية: مارية أجمل

المصادر والمراجع

1. أبو ظفر، الندوي، السيد: گجرات كي تمدني تاريخ (تاريخ غوجرات الحضارية)، مطبعة معارف، 1963م
2. استوري: Persian Literature، طبعة لندن، 1970م
3. إعجاز الحق قدوسي: تذكرة صوفياء سندھ، أردو اكيدمي، سندھ، 1959م
4. إيث: فهرست مخطوطات فارسي لإنديا آفس، طبعة أوكسفورد، سنة الطبع لك تذكر
5. إيث: فهرست مخطوطات فارسي وتركي وبشتو(لمكتبة بودلين)، تفاصيل الطبع لم تذكر
6. أيونو: فهرست مخطوطات فارسي (لذخيرة كرزن)، طبعة كولكاتا، 1926م
7. أيونو: فهرست مخطوطات فارسي (لمكتبة الجمعية الآسيوية، غربي بنغال)، سنة الطبع لم تذكر
8. أيونو: فهرست مخطوطات فارسي وفارسي واردو (للمكتبة الآصفية، حيدراباد)، اسم المطبع لم يذكر، 1900م
9. جامعة بنجاب: دائره معارف اسلاميه (دائرة المعارف الإسلامية)، طبعة لاهور، 1959م
10. جهانغير: توزك جهانگيري، طبعة علي كره، 1864م

11. د، ن، مارشيل: Mughals in India (Bibliographical Survey) (المغول في الهند، مسحة ببليوغراية)، طبعة مومبائ، 1967م
12. رحمان علي: تذكرة علماء هند، مطبعة نولكشور، لكناؤ، 1914م
13. ريو: فهرست مخطوطات فارسي (للمتحف البريطاني)، تفاصيل الطبع لم تذكر
14. ساقي مستعد خان: مآثر عالمگيري، طبعة كولكاتا، 1876م
15. شاهنواز خان: مآثر الأمراء، طبعة كولكاتا، 1891م
16. شيخ عبد الحق محدث الدهلوي: أخبار الأخيار، مطبعة محمدي، 1283ھ
17. شيخ محمد إكرام: رود كوثر، تاج آفس، كراتشي، سنة الطبع لم تذكر
18. صباح الدين عبد الرحمن، السيد: بزم تيمورية، مطبع معارف، أعظم كره، الهند، 1367ھ
19. صفي بن ولي القزويني: أنيس الحجاج، مخطوط في دار المصنفين، أعظم كره، الهند، رقم المخطوط: 93
20. عبد الحميد لاهوري: بادشاه نامة، طبعة كولكاتا، 1867م
21. عبد الحي، السيد: الثقافة الإسلامية في الهند، طبعة دمشق، 1958م
22. عبد الحي، السيد: نزهة الخواطر، دائرة المعارف، حيدراباد، 1954م
23. علي محمد خان: مرآت أحمدي، طبعة كولكاتا، 1948م
24. غلام علي آزاد البلغرامي: سبحة المرجان في آثار هندوستان، طبعة علي كره، 1876م
25. غوثي شطاري: گلزار أبرار (ترجمة أردوية)، اسلامي بك فاؤنديشن، لاهور، 1395ھ
26. فقير محمد جهيلمي: الحدائق الحنفية، مطبعة نولكشور، لكناؤ، 1906م
27. فهرست مخطوطات عربي وفارسي (لمكتبة خدابخش الشرقية)، سنة الطبع لم تذكر
28. فهرست مخطوطات عربي وفارسي لمكتبة خدابخش الشرقية، تفاصيل الطبع لم تذكر
29. مجلة "توحيد" الفصلية الصادرة عن إيران

مجلة الهند

30. مجلة "علوم القرآن" النصف سنوية الصادرة عن إداره علوم القرآن، علي كره، الهند
31. مجلة "معارف" الشهرية الصادر عن دار المصنفين، أعظم كره، الهند
32. محمد سالم القدوائي، الدكتور: هندوستاني مفسرين اور انكي عربي تفسيرين (المفسّرون الهنود وتفاسيرهم العربية)، مكتبة جامعة، نيو دلهي، 1972م
33. محمد صالح كنبو لاهوري: عمل صالح، طبعة كولكاتا، 1939م
34. محمد ميان: علماء هند كا شاندار ماضي، دلي برنتنغ روكس، دلهي، سنة الطبع لم تذكر
35. معتمد خان: إقبال نامۂ جهانگيري، مطبعة نولكشور، 1286ھ
36. منشي محمد كاظم: عالمگير نامه، طبعة كولكاتا، 1868م
37. مير غلام علي آزاد البلغرامي: مآثر الكرام، مطبعة مفيد عام، آغره، 1910م
38. هدايت حسين: فهرست مخطوطات فارسي (لمكتبة الجمعية الآسيوية، غربي بنغال)، طبعة كولكاتا، 1939م

تدليس أبي الزبير المكي عن جابر بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على صحيح ابن حبان

(الحلقة الثانية الأخيرة)

- د. ماجد محمد عبده الدلالعه

المبحث الخامس: أحاديث أبي الزبير المكي في صحيح ابن حبان والحكم عليها

الأحاديث ومناقشتها:

لقد أجاد الشيخ شعيب الأرنؤوط وأفاد في تخريج هذه الأحاديث فجزاه الله خيراً، ولكن النتيجة التي توصل إليها من أن أبا الزبير مدلّس، فكان أن ضعف هذه الأحاديث جميعاً، والذي ظهر لي غير الذي سلكه، فثبت عندي أن أبا الزبير ليس مدلساً، وبالتالي انقلب حكم هذه الأحاديث جميعاً، وإن رواها بالعنعنة، وأقول: لا بد من أدلة حصرية على أنه دلّس في هذه الروايات، وإلا يبقى الحكم على أصله، وهو البراءة من التدليس حتى يثبت بالأدلة، وبالتالي تبقى هذه الأحاديث التي رواها ابن حبان كما حكم عليها بأنها صحيحة وعلى شرطه، ولكن تتمة لبعض الأمور في بعضها أذكر هنا الرواية التي تحتاج إلى توضيح وبيان أكثر، وأذكر بعض التخريجات زيادة في التوضيح.

وسأناقش الأحاديث التي ضعّفها الشيخ شعيب الأرنؤوط حفظه الله في صحيح ابن حبان بعلّة تدليس أبي الزبير المكي عن شيخه جابر، خصوصاً الأحاديث التي رويت بالعنعنة أي التي رواها أبو الزبير المكي بصيغة العنعنة، أو الأحاديث التي رواها بصيغة حدثنا وأخبرنا أو أنبأنا وغيرها من الصيغ وضعفها الشيخ شعيب الأرنؤوط.

ولن أتعرض بالمناقشة والتخريج للأحاديث التي رويت بأي صيغة من الصيغ سواء التحديث أو الإخبار أو الإنباء أو العنعنة وصحّحها الشيخ شعيب لأنّها خارج دائرة النقاش، وسأستعرض هذه الأحاديث مرتبة حسب وجودها في صحيح ابن حبان، طبعة دار الرسالة التي حقّقها الشيخ شعيب الأرنؤوط.

1. أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد المروزي بالبصرة قال: حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال: حدثنا ابن أبي مريم عن يحيى بن أيوب عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا تماروا به السفهاء ولا تخيروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار".

قال شعيب الأرنؤوط[1]: رجاله ثقات رجال الصحيح، إلا أنّ فيه عنعنة ابن جريج، ثمّ خرّج الشيخ هذا الحديث وخلُص إلى: أنه "يتقوى الحديث بهذه الشواهد، ويصحّ"، فهذا الحديث كفانا الشيخ مؤنة البحث فيه.

2. أخبرنا الحسن بن سفيان قال: حدثنا يحيى بن أبي رجاء بن أبي عبيدة الحراني قال: حدثنا زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "إذا ميز أهل الجنة وأهل النار يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قامت الرسل فشفعوا فيقال: اذهبوا فمن عرفتم في قلبه مثقال قيراط من إيمان فأخرجوه فيخرجون بشراً كثيراً ثم يقال: اذهبوا فمن عرفتم في قلبه مثقال خردلة من إيمان فأخرجوه فيخرجون بشراً كثيراً ثم يقول جلّ وعلا: أنا الآن أخرج بنعمتي وبرحمتي فيخرج أضعاف ما أخرجوا وأضعافهم قد امتحشوا وصاروا فحماً فيلقون في نهر أو في نهر من أنهار الجنة فتسقط محاشهم على حافة ذلك النهر فيعودون بيضاً مثل الثعارير فيكتب في رقابهم: عتقاء الله ويسمّون فيها الجهنميين" الثعارير: القثاء الصغار قاله الشيخ.[2]

---

[1] صحيح ابن حبان، 278/1، حديث: 77

[2] صحيح ابن حبان، 409/1، حديث: 183. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: "يحيى بن أبي رجاء: ذكره المؤلف في "الثقات" 264/9، وكناه أبا محمد، وقال: يروي عن زهير بن معاوية، وعتاب بن بشير، وأهل بلده، حدثنا عنه أبو عروبة، مات سنة أربعين ومئتين، وباقي رجاله ثقات إلا أن أبا الزبير - وهو محمد بن مسلم بن تدرس - مدلّس وقد عنعن. وأخرجه أحمد

قلت: أخرجه ابن أبي عاصم في السنة وأبو يعلى في المسند، وابن مندة في الإيمان، وأبي نعيم في المسند المستخرج على صحيح مسلم، وأخرج جزءًا منه الإمام مسلم في باب بيان من يخرج من النار، وقال الشيخ الألباني: صحيح لغيره. وقد خرّج الشيخ شعيب هذا الحديث الذي هو في مسند أحمد بن حنبل وبين أنّ أبا الزبير سمع من شيخه جابر هذا الحديث في الحديث رقم: 15048- حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ، حَدَّثَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، حَدَّثَنِي جَابِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم يَقُولُ: "إِنَّ أَقْوَامًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا مُحِشُوا فِيهَا، فَيُنْطَلَقُ بِهِمْ إِلَى نَهْرٍ فِي الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ مِنْهُ أَمْثَالَ الثَّعَارِيرِ"[1]

325/3، 326 عن أبي النضر، عن زهير بن معاوية، بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد 379/3 مختصراً من طريق زيد بن الحباب، عن الحسين بن واقد، عن أبي الزبير، حدثني جابر. وهذا سند جيد. وأخرجه أبو عوانة 139/1 من طريقين عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر، بنحوه. وأخرجه مختصراً مسلم "191" "320" في الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلة، من طريق يزيد الفقير، عن جابر، بنحوه. وللبخاري "6558" في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم "191" "317"، وابن أبي عاصم في السنة "842"، والآجري في "الشريعة" 344، وابن خزيمة في "التوحيد" ص 277، من طرق عن حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن جابر مرفوعاً "إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة". وذكره السيوطي في "الجامع الطبير" 90/1، وزاد نسبته لابن منيع والبغوي في "الجعديات". وفي الباب عن أبي سعيد الخدري في الحديث: 184".

[1] السنة (تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني)، 232/1، حديث: 527. والمسند (تحقيق: حسين سليم أسد)، 423/2، حديث: 1219. والإيمان لابن منده، 806/2، حديث: 822. والمسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، وانظر: صحيح مسلم، 117/1، باب بيان من يخرج من النار"84"، 376- "304-184" وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ عُمَارَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم قَالَ: يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، أَوِ الْحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟.:" وانظر:حديث: 377- (305-...) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ "ح" وَحَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، أَخْبَرَنَا خَالِدٌ كِلاَهُمَا عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَقَالاَ: فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ يُقَالُ لَهُ: الْحَيَاةُ، وَلَمْ يَشُكَّا. قال: الألباني، التعليقات الحسان

فالراجح أنّ الحديث صحيح لغيره، لأنّ له شواهد عند غير ابن حبان، ولأنّ أبا الزبير صرّح بالسماع من شيخه جابر عند الإمام أحمد في مسند.

3. أخبرنا عبدان قال: حدثنا محمد بن معمر قال: حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: "أسلم المسلمين إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده". قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.[1]

قلت: هذا الحديث صحيح لأنّ أبا الزبير المكي صرّح بالسماع من شيخه جابر بن عبدالله.

4. أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم ببيت المقدس قال: حدثنا حرملة بن يحيى قال: حدثنا ابن وهب قال: أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي الزبير عن جابر أنه قال: قلت: يا رسول الله أ نعمل لأمر قد فرغ منه أم لأمر نأتنفه؟ قال: "لأمر قد فرغ منه" قال: ففيم العمل إذًا؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "كل عامل ميسّر لعمله". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده على شرط مسلم[2]

قلت: هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: 6829- حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم، بِهَذَا الْمَعْنَى. وَفِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: "كُلُّ عَامِلٍ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ".[3]

على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، لابن حبان البُستي، وانظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، صحيح لغيره ـ ظلال الجنة "2/ 841/404" ، "صحيحه" "3054"".

[1] صحيح ابن حبان، 426/1، حديث: 197.

[2] المصدر نفسه، 48/2، حديث: 336

[3] انظر: صحيح مسلم، 47/8، حديث: 6828، (8-2648) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ "ح" وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الآنَ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلاَمُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: لاَ، بَلْ فِيمَا

قلت: الراجح أنّ الحديث صحيح.

5. أخبرنا عبد الله بن قحطبة بفم الصلح حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي حدثنا ابن علية حدثنا روح بن القاسم عن أبي الزبير عن جابر أنّ سراقة بن جعشم قال: يا رسول الله أخبرنا عن أمرنا كأنا ننظر إليه أ بما جرت به الأقلام وثبتت به المقادير أو بما يستأنف؟ قال: "لا بل بما جرت به الأقلام وثبتت به المقادير" قال: ففيم العمل إذا؟ قال: "اعملوا فكلٌّ ميسّر". قال سراقة: فلا أكون أبداً أشدّ اجتهاداً في العمل مني الآن. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده على شرط مسلم.[1]

قلت: هذا الحديث صحيح فمعناه يؤيد ما سبقه فهو شاهد لحديث جابر بن عبد الله، وقد أخرج مسلم بمعناه. وصحّحه الشيخ الألباني.[2]

6. أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى عبدان قال: حدثنا محمد بن معمر قال: حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير: عن جابر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ليسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والماشيان أيهما بدأ فهو أفضل". قال شعيب الأرنؤوط: رجال ثقات رجال مسلم.[3]

جَفَّتْ بِهِ الأَقْلاَمُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟. قَالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ، فَسَأَلْتُ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ.

[1] صحيح ابن حبان، 49/2، حديث: 337.

[2] انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، 4/1، قال الألباني: أخرجه البخاري في "الأدب المفرد"، "143 و 144 و 145" وابن حبان "1935" من طريق ابن جريج قال: أنبأنا أبو الزبير أنّه سمع جابراً يقول: فذكره موقوفاً، عليه. وله حكم المرفوع لاسيما وقد ورد كذلك مرفوعا. قال الحافظ ابن حجر في، فتح الباري "13/11": سنده صحيح. قلت: ورجاله ثقات رجال مسلم وقد صرح كل من ابن جريج وأبي الزبير بالسماع، فأمنا بذلك شبهة تدليسهما. وأما المرفوع فقال الحافظ: "وأخرج أبو عوانة، وابن حبان في صحيحيهما والبزار من وجه آخر عن ابن جريج الحديث بتمامه مرفوعاً"، وقال شيخه الهيثمي في "المجمع" "36/8" "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح"...

[3] صحيح ابن حبان، 251/2، حديث: 498.

قلت: الحديث صحيح أخرج شاهداً له كلٌ من الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما[1]

7. أخبرنا عبدالله بن أحمد بن موسى بعسكر مكرم قال: حدثنا محمد بن معمر قال: حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: "لدغت رجلاً منا عقرب ونحن مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال رجل: يا رسول الله أرقيه؟ فقال صلّى الله عليه وسلّم: "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.[2]

قلت: في هذا الحديث سماع صريح من أبي الزبير المكي لشيخه جابر فيخرج من دائرة النزاع، فالحديث صحيح.

8. أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى قال: حدثنا عمرو بن علي بن بحر قال: حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير عن جابر أنه سمع النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول: "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.[3]

---

[1] انظر: صحيح البخاري، 52/8، حديث: 6232: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَمٍ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي زِيَادٌ، أَنَّهُ سَمِعَ ثَابِتًا، مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ». وانظر حديث: 6233. وأخرجه مسلم، 1703/4، حديث: 2160، قال: حَدَّثَنِي عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، "ح" وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي زِيَادٌ، أَنَّ ثَابِتًا مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ» وانظر حديث: 5697.

[2] صحيح ابن حبان، 290/2، حديث: 532.

[3] صحيح ابن حبان، 100/3، حديث: 819. قال الشيخ شعيب: "إسناده صحيح، فقد صرح ابن جريج بالتحديث عند المؤلف وغيره، وصرح أبو الزبير بالسماع في رواية لمسلم، فانتفت شبهة تدليسه. وأخرجه مسلم (2018) في الأشربة. باب آداب الطعام والشراب، وأبو داود (3765) في الأطعمة باب التسمية على الطعام، وابن ماجة (3887) في الدعاء باب ما يدعو

قلت: قد صرح أبو الزبير بالسماع في رواية لمسلم.[1]

9. أخبرنا أبو يعلى قال: حدثنا أبو خيثمة قال: حدثنا روح بن عبادة قال: حدثنا حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "من قال: سبحان الله وبحمده غرست له به نخلة في الجنة". قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أبا الزبير فمن رجال مسلم وقد عنعن.[2]

به إذا دخل بيته، من طرق، عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد، بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد 383/3، ومسلم (2018) من طريق روح بن عادة عن ابن جريج، به. وأخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" (178) من طريق يوسف بن سعيد، عن حجاج، عن ابن جريج، به. وأخرجه أحمد 346/3 عن موسي بن داود، عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير، وقوله. "أدركتم المبيت والعشاء" معناه: قال الشيطان ذلك لإخوانه وأعوانه ورفقته."

[1] انظر: صحيح مسلم، 1598/3، 103 - (2018) (2018) - وحَدَّثَنِيهِ إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم يَقُولُ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي عَاصِمٍ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «وَإِنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ عِنْدَ طَعَامِهِ، وَإِنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ عِنْدَ دُخُولِهِ».

[2] صحيح ابن حبان، 109/3، حديث: 826. وقال الشيخ شعيب في تخريجه لحديث رقم: 15645:" حَدَّثَنَا حَسَنٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، حَدَّثَنَا زَبَّانُ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم أَنَّهُ قَالَ: " مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، نَبَتَ لَهُ غَرْسٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَكْمَلَهُ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، أَلْبَسَ وَالِدَيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتٍ مِنْ بُيُوتِ الدُّنْيَا، لَوْ كَانَتْ فِيهِ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهِ ". في مسند أحمد بن حنبل:" حديث حسن لغيره دون قوله: "ومن قرأ القرآن فأكمله... " وهذا إسناد ضعيف كسابقه. وأخرجه مختصراً أبو داود (1453) من طريق يحيى بن أيوب، والطبراني في "الكبير" 20/ (445) من طريق رشدين بن سعد، كلاهما عن زبان بن فائد، بهذا الإسناد. وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" 161/7-162، وقال: روى أبو داود بعضه، ورواه أحمد، وفيه زبان بن فائد، وهو ضعيف. وأورد كذلك قوله: "من قال سبحان الله نبت له غرس في الجنة" 95/10، وقال: رواه أحمد، وإسناده حسن! قلنا: ولهذا الطرف شاهد من حديث جابر عند ابن أبي شيبة 290/10، والترمذي (3464) و (3465)، وقال: حسن غريب. والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (827)، وابن حبان (826)، والحاكم 501/1، 512، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي! قلنا: في إسناده أبو الزبير، وقد عنعن. وآخر من حديث أبي هريرة عند ابن ماجة (3807)، والحاكم 512/1، وصححه ووافقه الذهبي. قلنا: في إسناده عيسى بن سنان الحنفي، وهو مختلف فيه، حسن الحديث. وثالث من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند ابن أبي

10. أخبرنا عبد الله بن محمود السعدي بمرو قال: حدثنا محمد بن رافع قال: حدثنا المؤمل بن إسماعيل عن حمادبن سلمة عن أبي الزبير عن جابر أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "من قال سبحان الله العظيم غرس له شجرة في الجنة.[1]

قلت: الحديث صحيح لغيره له شواهد كثيرة، ومنها حديث رقم: (826).[2] قال الشيخ الألباني: في التعليقات الحسان، عن الحديث الأول: صحيح لغيره، وقال عن الحديث الثاني: صحيح، وفي صحيح الترغيب: حسن لغيره، رواه الطبراني وإسناده حسن لا بأس به في المتابعات.[3]

11. أخبرنا الحسن بن سفيان قال: حدثنا سعيد بن حفص خال النفيلي قال: حدثنا موسى بن أعين عن عمرو بن الحارث عن أبي الزبير عن جابر أنهم كانوا يأكلون تمراً على ترس فمرّ بنا النبي صلّى الله عليه وسلّم فقلنا: سلم فتقدم فأكل معنا من التمر ولم يمس ماء. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح[4] مراجعة الحديث.

شيبة 2960/1، والبزار (3079) (زوائد)، وفي إسناد ابن أبي شيبة انقطاع بين عمرو بن شعيب وعبد الله بن عمرو، وعند البزار متصل، وكلاهما من طريق يونس بن الحارث، وهو مختلف فيه، حسن الحديث. وبمجموع هذه الطرق يتقوى الحديث".

[1] صحيح ابن حبان، 109/3، حديث: 827.

[2] قال الشيخ شعيب، 109/3، حديث: 826، "رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أبا الزبير فمن رجال مسلم وقد عنعن، وأخرجه ابن أبي شيبة 290/10، والبغوي (126)، والترمذي (3464) في الدعوات، من طرق عن روح بن عبادة، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير، عن جابر. وأخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" (827)، والحاكم 501/1 و512، من طريق حماد بن سلمة، عن حجاج الصواف، به. بلفظ " سبحان الله العظيم "، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وأورده الحاكم شاهداً لحديث أبي هريرة عنده، 512/1. وله شاهد موقوف عن عبد الله بن عمرو عند ابن أبي شيبة، 296/10 و300، وفيه انقطاع، وآخر مرفوع عن معاذ بن سهل عند أحمد، 440/3 وسنده ضعيف، فيتقوى بهما الحديث ويصح.

[3] صحيح الترغيب والترهيب، 109/2، حديث: 1552. وانظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 209/2، حديث: 823، وحديث: 824.

[4] صحيح ابن حبان، 435/3، حديث: 1160.

12. أخبرنا القطان بالرقة قال: حدثنا عقبة بن مكرم قال: حدثنا ابن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن أبي الزبير: عن جابر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "على كل مسلم في كل سبعه أيام غسل وهو يوم الجمعة. قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات إلا أنّ أبا الزبير مدلّس وقد عنعنه".[1]

قلت: لم أجد له متابعاً، ولكن له شاهد عند البخاري عن أبي هريرة.[2] فبذلك تبيّن أنّ الحديث صحيح.

13. أخبرنا ابن قتيبة قال: حدثنا يزيد بن موهب قال: حدثني الليث عن أبي الزبير عن جابر: عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه نهى عن أن يبال في الماء الراكد. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.[3]

قلت: الراجح أنّ الحديث صحيح، أخرجه الإمام مسلم وغيره.

14. أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد قال: حدثنا يوسف بن سعيد حدثنا حجاج عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر: عن أبي حميد الساعدي قال: أتيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بلبن- وهو بالنقيع - غير مخمر فقال: "ألا خمرته ولو تعرض عليه عوداً" قال أبو حميد: إنما كنا نؤمر بالأسقية أن توكأ ليلاً وبالأبواب أن تغلق ليلاً. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.[4]

---

[1] المصدر نفسه، كتاب الطهارة، باب غسل الجمعة، 21/4، حديث: 1219.

[2] صحيح البخاري، كتاب الجمعة، بَاب هل على من لم يشهد الجمعة غسل، 305/1، حديث: 856.

[3] صحيح ابن حبان، 60/4، حديث: 1250. قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح. يزيد بن موهب: هو يزيد بن خالد بن موهب، ثقة عابد، وباقي رجال الإسناد على شرط مسلم، وعنعنة أبي الزبير هنا لا تضر، لأنه رواه عنه الليث بن سعد، وقد قالوا: يحتج بحديثه إذا قال: "عن" مما رواه عنه الليث بن سعد خاصة، فقد روى سعيد بن أبي مريم، عن الليث قال: جئت أبا الزبير، فدفع إليّ كتابين، فانقلبت بهما، ثم قلت في نفسي: لو أنني عاودته، فسألته: أسمع هذا كله من جابر؟ فسألته، فقال: منه ما سمعت، ومنه ما حدثت عنه، فقلت له: أعلم لي على ما سمعت منه، فأعلم لي على هذا الذي عندي.

[4] صحيح ابن حبان، 58/4، حديث: 1270.

قلت: إسناده صحيح على شرط مسلم سوى يوسف بن سعيد، فإنه من رجال النسائي، وهو ثقة حافظ، وقد صرح ابن جريج وأبو الزبير بالتحديث عند مسلم وأحمد فانتفت شبهة تدليسهما كما قال الشيخ شعيب.

15. أخبرنا أبو بكر عمر بن سعيد بن سنان قال: أخبرنا أحمد بن أبي بكر عن مالك عن أبي الزبير المكي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال "أغلقوا الأبواب وأوكوا السقاء وخمروا الإناء وأطفئوا المصباح فإن الشيطان لا يفتح غلقاً ولا يحل وكاء ولا يكشف إناء وإن الفويسقة تضرم على الناس بيتهم". قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.[1]

قلت: هذا حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم وغيره.

16. أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى عبدان قال: حدثنا محمد بن معمر قال: حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن أبي الزبير: عن جابر قال أمرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأربع ونهانا عن خمس: إذا رقدت فأغلق بابك وأوك سقاءك وخمر إناءك وأطفىء مصباحك فإن الشيطان لا يفتح باباً ولا يحل وكاء ولا يكشف غطاء وإن الفأرة الفويسقة تحرق على أهل البيت بيتهم ولا تأكل بشمالك ولا تشرب بشمالك ولا تمش في نعل واحدة ولا تشتمل الصماء ولا تحتب في الدار مفضياً. قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح.[2]

---

[1] صحيح ابن حبان، 86/4، حديث: 1271. قال الشيخ شعيب: حديث صحيح، رجال ثقات، وهو في "الموطأ" 928/2-929 باب جامع ما جاء في الطعام والشراب. ومن طريق مالك أخرجه مسلم (2012) في الأشربة: باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء. وأبو داود (3732) في الأشربة: باب في إيكاء السقاء، والترمذي (1812) في الأطعمة: باب ما جاء في تخمير الإناء وإطفاء السراج والنار عند المنام، والبخاري في "الأدب المفرد" (1221). وأخرجه مسلم (2012)، وابن ماجة (3410) في الأشربة: باب تخمير الإناء، عن محمد بن رمح، حدثنا الليث، عن أبي الزبير، به، وهذا سند صحيح. وأخرجه الحميدي (1273)، وأحمد، 301/3و362و374و386و395، ومسلم (2012) والبغوي في "شرح السنة" (3057)، من طرق عن أبي الزبير، عن جابر. وأخرجه احمد 355/3، ومسلم (2014)، ومن طريقه البغوي في شرح السنة، برقم (3061) من طريق القعقاع بن حكيم، عن جابر بنحوه.

[2] صحيح ابن حبان، 89/4، حديث: 1273. قال الشيخ شعيب: رجاله ثقات رجال الصحيح. وقوله: "ولا تأكل بشمالك... الخ أخرجه مسلم (2099) (73) في اللباس والزينة: باب في منع الاستلقاء على الظهر، من طريق محمد بن بكر، عن ابن جريج، به. وأخرجه مالك في"الموطأ"

قلت: هذا حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم وغيره.

17. أخبرنا إسحاق بن محمد القطان بتنيس قال: حدثنا محمد بن إشكاب قال: حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا سفيان عن أبي الزبير: عن جابر قال: نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يمس الرجل ذكره بيمينه. قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات إلا أنّ أبا الزبير واسمه محمد بن مسلم بن تدرس مدلّس وقد عنعن.[1]

قلت: الحديث صحيح أخرجه الشيخان والأئمة وله شواهد، وصحّحه الشيخ الألباني.

18. قال ابن حبان أخبرنا الفضل بن الحباب، قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، قال: حدثنا قرة بن خالد، عن أبي الزبير، عن جابر، "أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم جمع بين الظهر، والعصر والمغرب والعشاء في السفر".[2]

922/2 باب النهي عن الأكل بالشمال، عن أبي الزبير، به، ومن طريقه أخرجه مسلم (2099) في اللباس والزينة: باب النهي عن اشتمال الصماء والاحتباء في الثوب الواحد، والبغوي في "شرح السنة" برقم (3085). وأخرجه مسلم (2099) (73) من طريق الليث، عن أبي الزبير، به.

[1] صحيح ابن حبان، 282/4، حديث: 1433. قال الشيخ شعيب: رجاله ثقات إلا أنّ أبا الزبير مدلّس وقد عنعن. ويشهد له حديث أبي قتادة في صحيح ابن حبان (1434) أَخْبَرَنَا ابْنُ سَلْمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَتَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم، يَقُولُ: «إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَمْسَحْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَسْتَنْجِي بِيَمِينِهِ». قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح. وأخرجه ابن ماجة (310) وأخرجه أبو عوانة 220/1 وأخرجه أحمد 300/5 والبخاري (154)، وابن ماجة (310) من طريق عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين، ثلاثتهم عن الأوزاعي، بهذا الإسناد، وصححه ابن خزيمة برقم (79) من طريق ابن المبارك وعمرو بن أبي سلمة، عن الأوزاعي، به. وأخرجه الحميدي (428)، وأحمد 383/4 و295/5 و296 و309، 310 و311، والبخاري (153) في الوضوء: باب النهي عن الاستنجاء باليمين، و (5630)، ومسلم (267) في الطهارة، وأبو داود (31) في الطهارة، والترمذي (15)، والنسائي 25/1 و43 و44، وأبو عوانة 220/1 و221، والبيهقي في "السنن" 112/1، والبغوي في "شرح السنة " (181).

[2] صحيح ابن حبان، كتاب الصلاة، باب الجمع بين الصلاتين، 461/4، حديث: 1590.

قلت: أخرجه ابن أبي شيبة من طريق ابن أبي لَيْلَى، عن عَطَاءٍ، عن جَابِرٍ قال: جَمَعَ رسول اللهِ صلّى الله عليه وسلّم في غَزْوَةِ تَبُوكَ بين الظهْرِ وَالْعَصْرِ، وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ.[1] وهو ضعيف بابن أبي ليلى، وهو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وهو صدوق سيء الحفظ جداً.[2]

وله شواهد عديدة منها: ما رواه أحمد من حديث أنس: "كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يجمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء في السفر". قال شعيب: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".[3]

فالراجح أنّ الحديث ثابت صحيح بشواهده.

19. أخبرنا عمر بن محمد الهمداني حدثنا عيسى بن حماد أخبرنا الليث بن سعد حدثني أبو الزبير عن جابر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: "إن خير ما ركبت إليه الرواحل مسجدي هذا والبيت العتيق". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.[4]

---

[1] المصنف لابن أبي شيبة، 209/2 رقم: 8228، و283/7، رقم: 36110.

[2] تقريب التهذيب، ص493، ترجمة: 6081.

[3] المسند، 399/9، حديث: 12408. ومثله من رواية ابن عباس عند البخاري، باب الجمع في السفر بين المغرب والعشاء، 373/1، حديث: 1057، وحديث: 1059. وقد أورد ابن خزيمة، مثل هذه الأحاديث، في صحيحه، 81/2، حديث: 964، وما بعدها.

[4] صحيح ابن حبان، 495/4، حديث: 1616. قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم، لأنَّ ما رواه الليث خاصة من حديث أبي الزبير لا تضر فيه العنعنة، لأنّه لم يرو عنه غير ما سمعه من جابر. وقال الشيخ شعيب في مسند أحمد، 458/22، حديث: 14612، حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف من أجل ابن لهيعة. وأخرجه البزار (1075/ كشف الأستار) من طريق إسماعيل ابن أبي أويس، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (576) من طريق عبد العزيز الأوسي، كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن موسى بن عقبة، عن أبي الزبير، عن جابر. وعبد الرحمن بن أبي الزناد حسن الحديث. ورواه من طريق الليث بن سعد، عن أبي الزبير، وإسناده صحيح، ورواية أبي الزبير عن جابر في حديث الليث بن سعد محمولة على السماع. انظر حديث: 14782 حَدَّثَنَا حُجَيْنٌ، وَيُونُسُ، قَالَا: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ خَيْرَ

قلت: الراجح أنّ الحديث صحيح لأنَّ ما رواه الليث خاصة من حديث أبي الزبير لا تضر فيه العنعنة، لأنّه لم يرو عنه غير ما سمعه من جابر، وصحّحه الشيخ الألباني، وحسين سليم أسد في تخريجه أحاديث مسند أبي يعلى، ورواه أبو محمد الفاكهي، بصيغة السماع، قال: "حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُقْرِئِ، نا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُ مَا رَكِبَتْ إِلَيْهِ الرَّوَاحِلُ مَسْجِدِي هَذَا وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ».[1]

20. أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا المفضل بن فضالة عن ابن جريج عن أبي الزبير: عن جابر قال: نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن أكل الكراث فلم ينتهوا ثم لم يجدوا بداً من أكلها فوجد ريحها فقال: "أ لم أنهكم عن هذه البقلة الخبيثة أو المنتنة؟ من أكلها فلا يغشنا في مساجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنسان. قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أنّ فيه تدليس ابن جريج وأبي الزبير.[2]

قلت: هذا الحديث صحيح فقد صرح أبو الزبير بالتحديث عن جابر عند أبي عوانة، وقد تابعه هشام: هو ابن أبي عبد الله الدستوائي، وهو ثقة من رجال الشيخين.

21. أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا وهب بن جرير قال: حدثنا هشام الدستوائي عن أبي الزبير عن جابر قال: كنا لا

مَا رُكِبَتْ إِلَيْهِ الرَّوَاحِلُ مَسْجِدِي هَذَا، وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ". وذكره الشيخ الألباني في صحيحه، رقم: 1648.

[1] المسند لأبي يعلى، 182/4، حديث: 2266. وفوائد أبي محمد الفاكهي

[2] صحيح ابن حبان، 524/4، حديث: 1646. قال الشيخ شعيب في تخريجه هذا الحديث في مسند أحمد: "إسناده صحيح على شرط مسلم، كثير بن هشام وأبو الزبير كلاهما من رجال مسلم، وأبو الزبير قد صرح بالسماع عند أبي عوانة 411/1، وقد تابعه هشام: هو ابن أبي عبد الله الدستوائي، وهو ثقة من رجال الشيخين. وأخرجه مسلم (564) من طريق كثير بن هشام، بهذا الإسناد. وأخرجه أبو يعلى (2226)، وابن حبان (2086) و (2090)، والبيهقي 76/3 من طرق عن هشام الدستوائي، به. وأخرجه الحميدي (1299)، وعبد بن حميد (1068)، وابن ماجة (3365)، والنسائي في "الكبرى" (6687)، وابن خزيمة (1668)، وأبو يعلى (2321).

نأكل البصل والكراث فغلبتنا الحاجة فأكلنا فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى به الناس". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم[1]

قلت: هذا الحديث صحيح فقد قال الشيخ شعيب: "إسناده صحيح على شرط مسلم. رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الزبير، فمن رجال مسلم، وقد صرح بالتحديث عند الحميدي (1278).

22. أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد المروزي بالبصرة بخبر غريب قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الحساني قال: حدثنا يزيد بن هارون عن داود بن أبي هند عن أبي الزبير عن جابر: أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان ينهى عن أكل الكراث والبصل[2].

قلت: الحديث صحيح، له شواهد كثيرة، وصحّحه الألباني في التعليقات الحسان وفي الإرواء.[3]

23. أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا وهب بن جرير قال: حدثنا هشام الدستوائي عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الناس".

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم[4]

---

[1] صحيح ابن حبان، 440/5، حديث: 2086. وأخرجه مسلم "564" في المساجد: باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها، والبيهقي 76/3، وأبو يعلى "2226" من طرق عن هشام الدستوائي، بهذا الإسناد.

[2] صحيح ابن حبان، 441/5، حديث: 2087.

[3] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 469/3، حديث: 2084. والإرواء، 334/2، حديث: 335.

[4] صحيح ابن حبان، 443/5، حديث: 2090.

قلت: هذا الحديث صحيح فقد صرح أبو الزبير بالتحديث عن جابر عند أبي عوانة، وقد تابعه هشام: هو ابن أبي عبد الله الدستوائي، وهو ثقة من رجال الشيخين.

24. أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة قال: حدثنا يزيد بن موهب قال: حدثني الليث بن سعد عن أبي الزبير: عن جابر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه أمر رجلاً كان يتصدق بالنبل في المسجد أن لا يمرّ بها إلا وهو آخذ بنصولها.[1]

قال شعيب الأرنؤوط في مسند أحمد: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الزبير- وهو محمد بن مسلم بن تَدْرُس- فمن رجال مسلم، وروايته عن جابر محمولة على السماع وإن لم يصرح به فيما رواه عنه الليث بن سعد.[2]

قلت: الحديث صحيح أخرجه الإمام مسلم، 122-(2614) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم ...الحديث".

25. أخبرنا محمد بن عمر بن يوسف قال: حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال: أخبرنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر: أن النبي صلّى الله عليه وسلّم أمر معاذاً أن يقرأ في صلاة العشاء {والشمس وضحاها} {والليل إذا يغشى} و{سبح اسم ربك الأعلى} {والضحى} ونحوها من السور.

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم وعنعة أبي الزبير هنا لا تضر، فقد صرح بالتحديث في الرواية الآتية، وتابعه عمرو بن دينار، رواه مسلم (465) (179) في الصلاة: باب القراءة في العشاء، وابن ماجة "836" من طريق محمد بن رمح، وأبو عوانة 157/2 من طريق يونس بن محمد،

---

[1] المصدر نفسه، 526/4، حديث: 1648.

[2] مسند أحمد، 95/23، حديث: 14781. قال: "... وأخرجه مسلم (2614) (122)، وأبو داود (2586)، وابن خزيمة (1317)، وأبو عوانة في البر والصلة كما في "إتحاف المهرة" 498/3، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" 280/4، وابن حبان (1648) من طرق عن الليث بن سعد، بهذا الإسناد. وقرن الطحاوي في روايته بالليث بن سعد عمرَو ابن الحارث.

كلاهما عن الليث بن سعد، عن أبي الزبير، عن جابر. والليث بن سعد خاصة لا يروي عن أبي الزبير إلا ما سمعه من جابر.[1]

قلت: الحديث صحيح.

26. ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن هذا الخبر تفرد به أبو الزبير.

أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي قال: حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي قال: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار و أبي الزبير: سمعا جابر بن عبد الله يزيد أحدهما على صاحبه قال: كان معاذ يصلي مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثم يرجع إلى قومه فيصلي بهم فأخّر النبي صلّى الله عليه وسلّم الصلاة ذات ليلة فرجع معاذ فأمّهم فقرأ بسورة البقرة فلما رأى ذلك رجل من القوم انحرف إلى ناحية المسجد فصلّى وحده فقالوا: نافقت قال: لا ولآتين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلأخبرنه فأتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: إن معاذاً يصلي معك ثم يرجع فيؤمنا وإنك آخرت الصلاة البارحة فجاء فأمّنا فقرأ بسورة البقرة وإني تأخرت عنه فصلّيت وحدي يا رسول الله وإنا نحن أصحاب نواضح وإنا نعمل بأيدينا فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: "يا معاذ أفتان أنت؟ اقرأ بهم سورة: {والليل إذا يغشى} و{سبح اسم ربك الأعلى}.{والسماء ذات البروج}. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح[2]

قلت: الحديث صحيح.

27. أخبرنا أبو خليفة في عقبه قال: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا زهير بن معاوية عن أبي الزبير: عن جابر قال: كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سفر فمطرنا فقال: "ليصلّ من شاء منكم في رحله". أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: حدثنا محمد بن يحيى الذهلي قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا زهير بن معاوية. قال شعيب الأرنؤوط: رجاله رجال الصحيح[3]

---

[1] صحيح ابن حبان، 147/5، حديث: 1839.

[2] المصدر نفسه، 148/5، حديث: 1840.

[3] المصدر نفسه، 437/5، حديث: 2082.

قلت: الحديث صحيح، أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن خزيمة، كلهم من طريق أبي الزبير عن جابر، وبعنعنة أبي الزبير،[1] إلا أن مسلماً وابن حبان أخرجاه في الشواهد. وصحّحه الشيخ شعيب في تعليقه على مسند أحمد حيث قال: صحيح لغيره وهذا إسناد على شرط مسلم.[2] مما دلّ على أن ابن حبان لم يخرجه دون أساس له.

28. أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة قال: حدثنا يزيد بن موهب قال: حدثني الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر قال: اشتكى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يكبّر يسمع الناس تكبيره قال: فالتفت إلينا فرآنا قياماً فأشار إلينا فقعدنا فصلّينا بصلاته قعوداً فلما سلّم قال: "كدتم أن تفعلوا فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا ائتموا بإمامكم إن صلّى قائماً فصلّوا قياماً وإن صلّى قاعداً فصلّوا قعوداً". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.[3]

قلت: الحديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه 84 - (413) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم فَصَلَّيْنَا وَرَاءَهُ وَهُوَ قَاعِدٌ، وَأَبُو بَكْرٍ يُسْمِعُ النَّاسَ تَكْبِيرَهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا فَرَآنَا قِيَامًا، فَأَشَارَ إِلَيْنَا فَقَعَدْنَا فَصَلَّيْنَا بِصَلَاتِهِ قُعُودًا فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: «إِنْ كِدْتُمْ آنِفًا لَتَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِسَ وَالرُّومِ يَقُومُونَ عَلَى مُلُوكِهِمْ، وَهُمْ قُعُودٌ فَلَا تَفْعَلُوا ائْتَمُّوا بِأَئِمَّتِكُمْ إِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا وَإِنْ صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا» وصحّحه الألباني، في صحيح، الإرواء (2/ 122)، وابن خزيمة (1615)، وصحيح أبي داود (615) و (619)، صفة الصلاة.

29. أخبرنا الحسن بن سفيان قال: حدثنا الحسن بن سهيل الجعفري قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن بن حميد أبو عوف الرواسي عن أبيه عن أبي الزبير عن جابر قال: صلّى بنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صلاة الظهر وهو جالس

---

[1] انظر: صحيح مسلم، 484/1، حديث: 698. وسنن أبي داوُد، 279/1، حديث: 1065. وسنن الترمذي، 263/2، حديث: 409. وصحيح ابن خزيمة، 81/3، حديث: 1659.

[2] مسند أحمد بن حنبل، 250/22، حديث: 14347. وانظر: 384/22، حديث: 14503.

[3] صحيح ابن حبان، 491/5، حديث: 2122.

وأبو بكر خلفه فإذا كبّر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كبّر أبو بكر يسمعنا قال فنظرنا قياماً فقال: اجلسوا- أومأ بذلك إليهم- قال: فجلسنا فلما قضى الصلاة قال: "كدتم تفعلوا فعل فارس والروم بعظمائهم ائتموا بأئمتكم فإن صلّوا جلوساً فصلّوا جلوساً وإن صلّوا قياماً فصلّوا قياماً.[1]

قلت: الحديث صحيح، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

30. أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى قال: حدثنا محمد بن يحيى القطعي قال: حدثنا محمد بن بكر قال: حدثنا ابن جريج قال: حدثني أبو الزبير: عن جابر أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "إذا صلّى أحدكم فلا يبصق بين يديه ولا عن يمينه وليبصق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى. قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح إلا أنّ فيه عنعنة أبي الزبير.[2]

قلت: الحديث صحيح صحّحه الشيخ الألباني، وذكر الشيخ شعيب أنه صحيح لغيره في مسند أحمد.

31. أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى بعسكر مكرم قال: حدثنا محمد بن يحيى القطعي قال: حدثنا محمد بن بكر قال: حدثنا ابن جريح قال: أخبرنا أبو الزبير: عن جابر قال: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم "من صلّى في ثوب فليعطف عليه". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم[3]

---

[1] صحيح ابن حبان، 493/5، حديث: 2123.

[2] صحيح ابن حبان، 44/6، حديث: 2266. قال الشيخ شعيب في تخريجه للحديث في مسند أحمد: "صحيح لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الزبير، فمن رجال مسلم، إلا أنّه لم يصرح بسماعه من جابر، وأما ابن جريج فصرح بسماعه من أبي الزبير عند ابن حبان. وأخرجه ابن حبان (2266) من طريق محمد بن بكر، بهذا الإسناد. وانظر: (14625) و(15260). وفي الباب عن أنس بن مالك، برقم (12063). وعن ابن عمر، سلف برقم (4509)، وانظر تتمة شواهده هناك.

[3] صحيح ابن حبان، 76/6، حديث: 2299.

قلت: الحديث صحيح صححه الشيخ الألباني وقال: "صحيح: خ- عن أبي هريرة بنحوه".[1]

32. أخبرنا عمران بن فضالة الشعيري بالموصل قال: حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عزرة بن ثابت قال: حدثنا أبو الزبير قال: صلّى بنا جابر بن عبد الله في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه وقال: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صلّاها كذلك. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.[2]

قلت: الحديث صحيح فقد أخرجه مسلم وغيره، وصحّحه الشيخ الألباني،[3] وثبت سماع أبي الزبير من جابر فزالت شبهة التدليس.

33. أخبرنا الفضل بن حباب قال: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا ليث بن سعد قال: حدثنا أبو الزبير: عن جابر قال: بعثني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حاجة فأدركته فسلّمت عليه وهو يصلّي فأشار إليّ فلما فرغ دعاني فقال: "إنك سلّمت عليّ وأنا أصلي" وهو متوجه يومئذ نحو المشرق". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.[4]

قلت: الحديث صحيح، أخرجه مسلم، وصحّحه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان، قال: صحيح، "صحيح أبي داود" (859): م.

---

[1] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 122/4، حديث: 2296.

[2] صحيح ابن حبان، 76/6، حديث: 2300. قال الشيخ شعيب في تخريجه للحديث في مسند أحمد: "إسناده صحيح على شرط مسلم، وأبو الزبير قد صرح بالسماع عند غير المصنف، وانظر حديث رقم: 14120.

[3] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 122/4، حديث: 2297.

[4] صحيح ابن حبان، 261/6، حديث: 2516. قال الشيخ شعيب في تخريجه لمسند أحمد، 442/22، حديث: 14588: "إسناده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أبو عوانة 140/2 من طريق يونس بن محمد وحده، بهذا الإسناد. وأخرجه مسلم (540) (36)، وابن ماجة (1018)، والنسائي 6/3، وابن حبان (2516)، والبيهقي 258/2 من طرق عن الليث بن سعد، به، ولم يقل ابن ماجة في حديثه: وهو موجه حينئذ قبل المشرق. وانظر: (14156) و (14345).

34. أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم قال: حدثنا حرملة بن يحيى قال: حدثنا ابن وهب قال: أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي الزبير مولى حكيم بن حزام: عن جابر بن عبد الله أنه قال: كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سفر فبعثني مبعثاً فأتيته وهو يسير فسلّمت عليه فأومأ بيده ثم سلّمت فأشار ولم يكلّمني فناداني بعد وقال: "إني كنت أصلّي نافلة" قال شعيب الأرنؤوط: إسناده على شرط مسلم.[1]

قلت: الحديث صحيح أخرج مسلم بنحوه، وصحّحه الشيخ الألباني، وذكر له الشيخ شعيب متابعات في تخريجه عند الإمام أحمد.

35. أخبرنا ابن خزيمة قال: حدثنا أحمد بن المقدام قال: حدثنا محمد بن بكر قال: حدثنا ابن جريج قال: أخبرنا أبو الزبير: أنه سمع جابراً يقول: رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو يصلّي على راحلته يصلّي النوافل في كل وجه ولكنه يخفض السجدتين من الركعتين يومئ إيماء. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.[2]

قلت: الحديث صحيح فقد صرح أبو الزبير بالسماع من جابر فتنتفي شبهة التدليس، وقد صحّحه الألباني.

36. أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي عون قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير: عن جابر قال: رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم يصلّي وهو على راحلته النوافل في كل وجه ولكنه يخفض السجدتين من الركعة يومئ إيماء. قال شعيب الأرنؤوط: رجاله رجال الصحيح[3]

---

[1] صحيح ابن حبان، 263/6، حديث: 2518. قال الشيخ شعيب في تخريجه للحديث في مسند أحمد، 247/22، حديث: 14344:" إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الزبير، فمن رجال مسلم، وقد روى عنه هذا الحديث الليثُ بن سعد عند المصنف برقم (14588) فأمنَ تدليسه، وروى أبو الزبير أيضاً عن جابر في صلاة النبي صلّى الله عليه وسلّم النوافل على راحلته وصرح فيه بسماعه منه، وهو برقم (14156)، وأشرنا هناك إلى مواضع هذا الحديث أيضاً في مسند جابر. وأخرجه مسلم (540) (37)، والبيهقي، 258/2 من طريق أحمد بن يونس، وأبو داود (926)...".

[2] صحيح ابن حبان، 266/6، حديث: 2523.

[3] المصدر نفسه، 266/6، حديث: 2524.

قلت: الحديث صحيح كسابقه.

37. أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى عبدان قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح قال: حدثنا ابن وهب قال: حدثنا ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال: رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم يصلّي النوافل على راحلته يخفض السجدتين من الركعتين". قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح.[1]

قلت: الحديث صحيح كسابقه.

38. أخبرنا عمر بن محمد الهمداني قال: حدثنا أحمد بن عبدة الضبي قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن أيوب عن أبي الزبير: عن جابر أن النبي صلّى الله عليه وسلّم صلّى بأصحابه صلاة الخوف فركع بهما جميعاً ثم سجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والصف الذي يلونه والآخرون قيام حتى نهض ثم سجد أولئك بأنفسهم سجدتين ثم تأخر الصف المتقدم فركع النبي صلّى الله عليه وسلّم والصف الذين يلونه فلما رفعوا رؤوسهم سجد أولئك سجدتين كلهم قد ركع مع النبي صلّى الله عليه وسلّم وسجدت لأنفسهم سجدتين وكان العدو مما يلي القبلة. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.[2]

قلت: الحديث صحيح صحّحه الشيخ شعيب والشيخ الألباني والأعظمي، قال الألباني: صرح أبو الزبير بالتحديث عند أبي عوانة وبذلك يصح الإسناد.[3]

39. أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا يحيى بن آدم قال: حدثنا زهير بن معاوية قال: حدثنا أبو الزبير: أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: غزونا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قوماً من جهينة فقاتلوا قتالاً شديداً فلما صلّينا الظهر قالوا: لو ملنا عليهم ميلة قطعناهم فأخبر جبريل النبي صلّى الله عليه وسلّم بذلك فذكر لنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذلك فقال: قالوا: بيننا وبينهم صلاة هي أحبّ إليهم من الأولى فلما حضرت

---

[1] المصدر نفسه، 267/6، حديث: 2525.

[2] المصدر نفسه، 125/7، حديث: 2878.

[3] انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 431/4، حديث: 2863، قال الألباني: "صحيح لغيره". وانظر التعليق على ابن خزيمة، 1350. وصحيح أبي داود، 1122.

الصلاة صفّنا صفّين والمشركون بيننا وبين القبلة فكبّر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكبّرنا معه فركع وركعنا معه وسجد وسجد الصف الأول معه فلما قام سجد الصف الثاني ثم تقدموا فقاموا مقام الصف الأول وتأخر الصف الأول فكبّر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكبّرنا معه ثم ركع وركعنا معه ثم سجد وسجد الصف الأول معه ثم قعد فسجد الصف الثاني ثم جلسوا جميعاً فسلّم عليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. قال: أبو الزبير عن جابر: كما يصلّي أمراؤكم هؤلاء. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم[1]

قلت: الحديث صحيح فقد صرح أبو الزبير بالتحديث عن شيخه جابر فزالت شبهة التدليس.

40. أخبرنا الحسين بن محمد بن أبي معشر بحران قال: حدثنا محمد بن وهب بن أبي كريمة قال: حدثنا محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن نبي الله صلّى الله عليه وسلّم قال: "ما يمرض مؤمن ولا مؤمنة ولا مسلم ولا مسلمة إلا حطّ الله بذلك خطاياه كما تنحط الورقة عن الشجرة". قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.[2]

---

[1] صحيح ابن حبان، 129/7، حديث: 2877.

[2] صحيح ابن حبان، 189/7، حديث: 2927. قال الشيخ شعيب في تخريجه في مسند أحمد: "حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة، وقد توبع، تابعه ابن جريج وزيد بن أبي أنيسة، لكن تبقى عنعنة أبي الزبير، وقد تابعه أبو سفيان، برقم (15146) حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ يَعْنِي الْفَزَارِيَّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ، وَلَا مُسْلِمَةٍ، وَلَا مُؤْمِنٍ، وَلَا مُؤْمِنَةٍ يَمْرَضُ مَرَضًا إِلَّا حَطَّ اللهُ عَنْهُ مِنْ خَطَايَاهُ ". وأخرجه البزار (758 كشف الأستار)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (2222) من طريق ابن جريج، وابن حبان (2927) من طريق زيد بن أبي أنيسة، كلاهما عن أبي الزبير، بهذا الإسناد. وأخرج البيهقي في "السنن" 375/3، وفي "الشعب" (9921) من طريق عبد الرحمن بن مغراء الدوسي، عن الأعمش، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "يودُ أهل العافية يوم القيامة أن جلودهم كانت قُرِضَت بالمقاريض مما يرون من ثواب أهل البلاء". وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، برقم (8027)، وانظر تتمة شواهده عنده برقم (7386).

قلت: الحديث صحيح، وقد تابع أبو سفيان أبا الزبير في هذا الحديث في مسند أحمد فيتقوى به، وصحّحه الألباني (صحيحه: 2503).

41. أخبرنا أبو يعلى قال: حدثنا القواريري قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا الحجاج الصواف قال: حدثني أبو الزبير قال: حدثني جابر بن عبد الله أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دخل على أم السائب أو أم المسيب وهي ترفرف فقال: "ما لك يا أم السائب أو يا أم المسيب ترفرفين؟" قالت: الحمى لا بارك الله فيها فقال صلّى الله عليه وسلّم: "لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا ابن آدم كما يذهب الكير خبث الحديد". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.[1]

قلت: الحديث صحيح، فقد صرح أبو الزبير بالتحديث عن شيخه جابر، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، وصحّحه الشيخ الألباني، صحيحه، (715) و(1215): م.

42. أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي عون حدثنا أحمد بن إبراهيم الدروقي حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن أبي الزبير: عن جابر قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول قبل أن يموت بشهر: "تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله وأقسم بالله ما على الأرض نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، ابن جريج وأبو الزبير صرحا بالتحديث عند مسلم. فانتفت شبهة تدليسهما.[2]

---

[1] صحيح ابن حبان، 200/7، حديث: 2938. قال الشيخ شعيب: "إسناده صحيح على شرط الشيخين. وهو في "مسند أبي يعلى" "2083". وأخرجه مسلم "2575" في البر والصلة: باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، من طريق القواريري، بهذا الإسناد. 53 - (2575) حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ الصَّوَّافُ، حَدَّثَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم، دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ: «مَا لَكِ؟ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ؟» قَالَتْ: الْحُمَّى، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ: «لَا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ» وأخرجه أبو يعلى "2173" من طريق إبراهيم الهروي، عن إسماعيل بن إبراهيم عن الحجاج، به.

[2] صحيح ابن حبان، 254/7، حديث: 2987. قال الشيخ شعيب في تخريجه للحديث في مسند أحمد، 244/22، حديث: 14451: "إسناده صحيح على شرط مسلم، وأبو الزبير صرح

قلت: الحديث صحيح، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، وصحّحه الشيخ شعيب والشيخ الألباني، وصرح أبو الزبير بالسماع من جابر عند مسلم.

43. أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى قال: أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الهروي قال: حدثنا إسماعيل بن علية قال: حدثنا الحجاج بن أبي عثمان عن أبي الزبير: عن جابر قدم الطفيل بن عمرو الدوسي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة فقال: يا رسول الله هلم إلى حصن وعدد وعدة- قال أبو الزبير: حصن في رأس الجبل لا يؤتى إلا في مثل الشراك- فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "أمعك من وراءك؟" قال: لا أدري فأعرض عنه فلمّا قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة قدم الطفيل بن عمرو مهاجراً إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه رجل من رهطه فحمّ ذلك الرجل حمى شديدة فجزع فأخذ شفرة فقطع بها رواجيه فتشخبت حتى مات فدفن ثم إنّه جاء فيما يرى النائم من الليل إلى الطفيل بن عمرو في شارة حسنة وهو مخمر يده فقال له الطفيل: أ فلان قال: نعم قال: كيف فعلت؟ قال: صنع بي ربي خيراً غفر لي بهجرتي إلى نبيه صلّى الله عليه وسلّم قال: فما فعلت يداك قال: قال لي ربي: لن نصلح منك ما أفسدت من نفسك قال: فقصّ الطفيل رؤياه على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فرفع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يديه: "اللهم وليديه فاغفر اللهم وليديه فاغفر اللهم وليديه فاغفر" . قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.[1]

بسماعه من جابر برقم (15128) حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: "تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ الْيَوْمَ يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ". وأخرجه مسلم (2538) (218) من طريق محمد بن بكر، بهذا الإسناد. وانظر الحديث من طريق أبي الزبير برقم (14717) و (15128). وانظر حديث: رقم (14281).

[1] صحيح ابن حبان، 287/7، حديث: 3017. قال الشيخ شعيب: "رجاله ثقات، إبراهيم بن عبد الله الهروي روى له الترمذي وابن ماجة وهو صدوق حافظ، ومن فوقه من رجال الشيخين، إلاّ أنّ فيه عنعنة أبي الزبير. وهو في "مسند أبي يعلى" "2175". وأخرجه أحمد "370/3"، "371"، ومسلم "116" في الإيمان: باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر، والبيهقي "17/8"، وأبو نعيم في "الحلية" "261/6"، من طريق سليمان بن حرب، والحاكم "76/4" من طريق محمد بن الفضل، كلاهما عن حماد بن زيد، عن الحجاج الصواف، بهذا

قلت: الحديث صحيح رواه الإمام مسلم في صحيحه. وقال حسن سليم أسد: رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد الله الهروي.[1]

44. أخبرنا حاجب بن أركين قال: حدثنا عمرو بن علي الفلاس قال: حدثنا أبو داود قال: سمعت شعبة يقول: الساعة يخرج الساعة يخرج حدثنا أبو الزبير: عن جابر أن النبي صلّى الله عليه وسلّم صلّى على النجاشي. قال شعيب الأرنؤوط: رجاله رجال الصحيح وعنعنة أبي الزبير لا تضر، فإنه قد توبع.[2]

قلت: الحديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه، وتابع أبا الزبير عطاء عند البخاري. وصحّحه الشيخ الألباني وغيره. [3]

45. أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ بن معاذ قال: حدثنا أبي عن شعبة عن أبي الزبير: عن جابر قال: صلّى النبي صلّى الله

الإسناد. ولم يصرح أبو الزبير بالتحديث عندهم". وأخرجه مسلم، 108/1، حديث: 184-(116) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعًا عَنْ سُلَيْمَانَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ حَجَّاجٍ الصَّوَّافِ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ، أَتَى النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ - قَالَ: حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم لِلَّذِي ذَخَرَ اللهُ لِلْأَنْصَارِ، فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم إِلَى الْمَدِينَةِ، هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ صلّى الله عليه وسلّم، فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ، فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: «اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ».

[1] مسند أبي يعلى، 126/4، حديث: 2175.

[2] صحيح ابن حبان، 363/7، حديث: 3096.

[3] صحيح البخاري، 86/2، حديث: 1317. قال: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، عَنْ أَبِي عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم صَلَّى عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الثَّانِي أَوِ الثَّالِثِ».

عليه وسلّم على النجاشي لما بلغه وفاته وكنت في الصف الثاني. قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين[1]

قلت: الحديث صحيح أخرجه البخاري وغيره، أبو الزبير توبع عند البخاري فلا تضر عنعنته.

46. أخبرنا محمد بن علان بأذنة قال: حدثنا محمد بن يحيى الزماني قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال: حدثنا أيوب عن أبي الزبير: عن جابر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "إن أخاً لكم قد مات فقوموا فصلّوا عليه" قال: فصفّفنا عليه صفّين.[2]

قلت: الحديث صحيح أخرجه مسلم. وصحّحه الشيخ الألباني.[3]

47. أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع قال: حدثنا أبو معمر القطيعي قال: حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريح قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: إن النبي صلّى الله عليه وسلّم خطب يوماّ فذكر رجلاً من أصحابه كفن في كفن غير طائل ودفن ليلاً فزجر النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يقبر الرجل ليلاً إلا أنّ يضطر الإنسان إلى ذلك. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين[4]

---

[1] صحيح ابن حبان، 364/7، حديث: 3097.

[2] المصدر نفسه، 365/7، حديث: 3099.

[3] صحيح مسلم، 657/2، حديث: 952: 66- (952) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْغُبَرِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، (ح) وحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: «إِنَّ أَخًا لَكُمْ قَدْ مَاتَ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَيْهِ»، قَالَ: فَقُمْنَا فَصَفَّنَا صَفَّيْنِ. انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 85/5، حديث: 3088.

[4] صحيح ابن حبان، 371/7، حديث: 3103. قال الشيخ شعيب: "إسناده صحيح على شرط الشيخين. أبو معمر القطيعي: هو إسماعيل بن إبراهيم بن معمر الهلالي. وأخرجه مسلم "943" في الجنائز: باب في تحسين كفن الميت، والنسائي "33/4" في الجنائز: باب الأمر بتحسين الكفن، وابن الجارود "546"، والبيهقي "32/4" من طرق عن حجاج بن محمد، بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد "295/3". وأبو داود "3148" في الجنائز: باب في الكفن، والحاكم "369-368/1"، والبيهقي "403/3" من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج، به. وأخرجه

قلت: الحديث صحيح فقد ثبت سماع أبي الزبير من جابر، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، وصحّحه الألباني.[1]

48. أخبرنا الحسين بن عبد الله القطان قال: حدثنا عمر بن يزيد السياري قال: حدثنا عبد الرزاق عن أيوب عن أبي الزبير: عن جابر قال: نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن تقصّص القبور قال: وكانوا يسمّون الجص: القصة. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.[2]

قلت: الحديث صحيح، فقد صرح أبو الزبير بالتحديث عن شيخه جابر عند أحمد ومسلم والمؤلف، حديث: 3165. وصحّحه الشيخ الألباني.

49. أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا حفص بن غياث عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال: نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يبنى على القبر. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقد صرح ابن جريج وأبو الزبير بالتحديث عند المؤلف "3165".[3]

قلت: الحديث صحيح وقد صرح ابن جريج وأبو الزبير بالتحديث عند المؤلف: 3165. وصحّحه الألباني في التعليقات الحسان: 3153

أحمد "295/3" من طريق محمد بن بكر، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى، عن جابر. وانظر: الحديث رقم "3034".

[1] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 89/5، حديث: 3093.

[2] صحيح ابن حبان، 433/7، حديث: 3162. قال الشيخ شعيب: "إسناده صحيح. عمر بن يزيد السياري روى عنه جمع، وذكره المؤلف في "الثقات"، وقال: مستقيم الحديث، وقال محمد بن عبد الرحيم البزاز صدوق، وقال الدارقطني: لا بأس به، روى له أبو داود، ومن فوقَهُ ثقاتٌ من رجال مسلم، وقد صرح أبو الزبير بالتحديث عند أحمد ومسلم والمؤلف "3165"3165 - أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، (ص:436) أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم عَنْ تَقْصِيصِ الْقُبُورِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهَا أَوْ يُجْلَسَ عَلَيْهَا»...".

[3] صحيح ابن حبان،434/7، حديث: 3163.

50. أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا أبو معاوية قال: حدثنا ابن جريج عن أبي الزبير: عن جابر وعن سليمان بن موسى قالا: نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن تجصيص القبور والكتاب عليها والبناء عليها والجلوس عليها. قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال مسلم.[1]

قلت: الحديث صحيح كسابقه. وصحّحه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان: 3154

51. أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد قال: حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير: أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن تقصيص القبور وأن يبنى عليها أو يجلس عليها. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح[2]

قلت: الحديث صحيح، فقد صرح أبو الزبير بالسماع من جابر، وصحّحه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان:3155

52- أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد بن مسلم قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنّه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول: "لو أن لابن آدم وادياً مالاً لأحبّ أن له مثله ولا يملأ نفس ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب".[3]

قلت: الحديث صحيح، فقد صرح أبو الزبير بالسماع من جابر، وصحّحه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان: 3223

53. أخبرنا عبد الله بن محمد المديني قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا محمد بن بكر قال: حدثنا ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يقول: "ما من صاحب إبل لا

---

[1] المصدر نفسه، 434/7، حديث: 3164.

[2] المصدر نفسه، 435/7، حديث: 3165.

[3] صحيح ابن حبان، 28/8، حديث: 3234. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقد صرح ابن جريج وأبو الزبيز بالتحديث، فانتفت شبهة تدليسهما. وأخرجه أحمد 340/3 و341 من طريقين عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير، به..".

يفعل فيها خيراً إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كنت وأقعد لها بقاع قرقر تستن عليه بقوائمها وأخفافها، ولا صاحب بقر إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وأقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ليس فيها جماء ولا مكسر قرنها ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبعه فاغراً فاه فإذا أتاه فر منه فيناديه ربه: كنزك الذي خبأته فإذا رأى أن لا بد له منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.[1]

قلت: الحديث صحيح، فقد صرح أبو الزبير بالسماع من جابر، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

54. أخبرنا زيد بن عبد العزيز بن حبان أبو جابر بالموصل قال: حدثنا محمد بن يحيى بن فياض الزماني قال: حدثنا الأنصاري عن عزرة بن ثابت قال: حدثنا أبو الزبير عن جابر: أن رجلاً من بني عذرة أعتق مملوكاً له عن دبر منه فبعث إليه النبي صلّى الله عليه وسلّم فباعه ودفع إليه ثمنه وقال: "ابدأ بنفسك فتصدق عليها ثم على أبويك ثم على قرابتك ثم هكذا ثم هكذا". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح[2]

قلت: الحديث صحيح، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه[3]وصحّحه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان: 3228

55. أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى بن عبدان بعسكر مكرم حدثنا محمد بن معمر البحراني حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنّه سمع

---

[1] صحيح ابن حبان، 47/8، حديث: 3255.

[2] المصدر نفسه، 128/8، حديث: 3339.

[3] صحيح مسلم، 692/2، حديث: 997. 41- (997) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، ح وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَعْتَقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ عَبْدًا لَهُ عَنْ دُبُرٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم فَقَالَ: «أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ؟» فَقَالَ: لَا، فَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي؟» فَاشْتَرَاهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْعَدَوِيُّ بِثَمَانِ مِائَةِ دِرْهَمٍ، فَجَاءَ بِهَا رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا» يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ.

جابر بن عبد الله يقول: قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: "أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول" قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.[1]

قلت: الحديث صحيح، فقد صرح أبو الزبير بالسماع من جابر بن عبد الله، وصحّحه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان.[2]

56. أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا يزيد بن خالد بن موهب حدثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير: عن جابر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه دخل على أم مبشر الأنصارية في نخل لها فقال لها النبي صلّى الله عليه وسلّم: "من غرس هذا النخل؟ أمسلم أم كافر؟ فقالت: بل مسلم فقال صلّى الله عليه وسلّم: "لا يغرس المسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة"[3]

قلت: الحديث صحيح، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، وصحّحه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان.[4]

---

[1] صحيح ابن حبان، 134/8، حديث: 3345.

[2] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 242/5، حديث: 3334. قال: "صحيح "الإرواء" (3/ 319).

[3] صحيح ابن حبان، 154/8، حديث: 3368. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. إسناده صحيح، يزيد بن موهب ثقة، ومن فوقه من رجال الشيخين. وأخرجه مسلم "1552" "8" في المساقاة: باب فضل الغرس والزرع، والبيهقي 138/6 من طريق عن الليث، بهذا الإسناد. وأخرجه الحميدي "1274" عن سفيان، عن أبي الزبير، به.

[4] صحيح مسلم، 1188/3، حديث: 1553، 8 - (1552) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، (ح) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم دَخَلَ عَلَى أُمِّ مُبَشِّرٍ الْأَنْصَارِيَّةِ فِي نَخْلٍ لَهَا، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَنْ غَرَسَ هَذَا النَّخْلَ؟ أَمُسْلِمٌ أَمْ كَافِرٌ؟» فَقَالَتْ: بَلْ مُسْلِمٌ، فَقَالَ: «لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا، وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا دَابَّةٌ، وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»، والألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 255/5، حديث: 3357.

57. أخبرنا ابن خزيمة والدغولي قالا: حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم حدثنا حجاج بن محمد قال: قال ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: عزل النبي صلّى الله عليه وسلّم نساءه شهراً فخرج النبي صلّى الله عليه وسلّم صباح تسع وعشرين فقال بعض القوم: يارسول الله إنا أصبحنا من تسعة وعشرين فقال صلّى الله عليه وسلّم: "إن الشهر يكون تسعاً وعشرين" ثم صفق النبي صلّى الله عليه وسلّم ثلاثاً مرتين بأصابع يديه كلها والثالث بتسع منها. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرطهما.[1]

قلت: الحديث صحيح، فقد صرح أبو الزبير بالتحديث عن شيخه جابر بن عبد الله، وأخرجه مسلم في الصحيح. وذكره الألباني في التعليقات الحسان[2]

58. أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا هشام بن عمار حدثنا سعيد بن يحيى حدثنا جعفر بن برقان عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم أمر أبا طيبة أن يأتيه مع غيبوبة الشمس فأمره أن يضع المحاجم مع إفطار الصائم فحجمه ثم سأله: "كم خراجك"؟ قال: صاعين فوضع النبي صلّى الله عليه وسلّم عنه صاعاً. قال أبو حاتم: سعيد بن يحيى يعرف بسعدان من أهل دمشق: ثقة مأمون مستقيم الأمر في الحديث.[3]

---

[1] صحيح ابن حبان، 238/8، حديث: 3452.

[2] صحيح مسلم، 763/2، حديث: 1084. والتعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 310/5، حديث: 3443. صحيح، (صحيحه)، حديث: (3505): م.

[3] صحيح ابن حبان، 307/8، حديث: 3536. وأخرجه أحمد 353/3 عن عفان، عن أبي عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ قيس، عن جابر قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم أَبَا طيبة فحجمه، فسأله عن ضريبته، فقال: ثلاثة آصع. قال: فوضع عنه صاعاً. وقد ثبت عنه صلّى الله عليه وسلّم أن أبا طيبة حجم النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم، فَأَمَرَ لَهُ بصاع أو صاعين من طعام، وكلم مواليه، فخفف عن غلته أو ضريبته" أخرجه البخاري "2277". قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «حَجَمَ أَبُو طَيْبَةَ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم، فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعٍ - أَوْ صَاعَيْنِ - مِنْ طَعَامٍ، وَكَلَّمَ مَوَالِيَهُ فَخَفَّفَ عَنْ غَلَّتِهِ أَوْ ضَرِيبَتِهِ»، ومسلم "64- 1577" حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ خِرَاشٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا، يَقُولُ: «دَعَا النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم غُلَامًا لَنَا حَجَّامًا، فَحَجَمَهُ، فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعٍ، أَوْ مُدٍّ، أَوْ مُدَّيْنِ، وَكَلَّمَ فِيهِ،

قلت: الحديث صحيح أخرجه الشيخان بمثله من غير ذكر قصة الصوم.

59. أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سافر في رمضان فاشتد الصوم على رجل من أصحابه فجعلت ناقته تهيم به تحت ظلال الشجر فأخبر النبي صلّى الله عليه وسلّم فأمره فأفطر ثم دعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بإناء فيه ماء فوضعه على يده فلما رآه الناس شرب شربوا. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.[1]

قلت: الحديث صحيح، وأبو الزبير متابع عند ابن حبان[2]وصحّحه الألباني في التعليقات الحسان.[3]

60. أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: حدثنا محمد بن زياد بن عبد الله الزيادي قال: حدثنا الفضيل بن سليمان قال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إني كنت أريت ليلة القدر ثم نسيتها وهي في العشر الأواخر وهي طلقة بجة لا حارة ولا بردة كأن

فَخُفِّفَ عَنْ ضَرِيبَتِهِ»، وهذا ليس فيه توقيت الاحتجام كما في الحديث الباب. وأخرج مسلم 62 - (1577) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ كَسْبِ الْحَجَّامِ؟ فَقَالَ: احْتَجَمَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم، حَجَمَهُ أَبُو طَيْبَةَ، فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعَيْنِ مِنْ طَعَامٍ، وَكَلَّمَ أَهْلَهُ، فَوَضَعُوا عَنْهُ مِنْ خَرَاجِهِ، وَقَالَ: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ»، أَوْ «هُوَ مِنْ أَمْثَلِ دَوَائِكُمْ».

[1] صحيح ابن حبان، 330/8، حديث: 3565.

[2] وانظر: صحيح ابن حبان، حديث: 3551 - أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ وَأَنَّهُ صَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ، وَصَامَ النَّاسُ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، ثُمَّ شَرِبَ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صام، قال: "أولئك العصاة". وانظر الأحاديث: 3552، 3553، 3554.

[3] صحيح ابن حبان، والتعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 374/5، حديث: 3557.

فيها قمراً يفضح كواكبها لا يخرج شيطانها حتى يخرج فجرها". قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح[1]

قلت: الحديث صحيح بشواهده، وقال الشيخ الألباني: صحيح لغيره.[2]

61. أخبرنا أبو عروبة قال: حدثنا سلمة بن شبيب قال: حدثنا الحسن بن محمد بن أعين قال: حدثنا معقل بن عبيد الله الجزري عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول: "لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة".[3]

---

[1] صحيح ابن حبان، 443/8، حديث: 3688. حديث صحيح بشواهده. الفضيل بن سليمان لينه أبو زرعة، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ليس بالقوي، وباقي رجاله ثقات. وهو في "صحيح ابن خزيمة" "2190". ويشهد له حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم قال: "ليلة القدر في العشر البواقي، من قامهن ابتغاء حسبتهن، فإن الله تبارك وتعالى، يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهي ليلة وتر: تسع، أو سبع، أو خامسة، أو ثالثة، أو آخر ليلة" وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة، كأن فيها قمراً ساطعا، ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر، ولا يحل لكوكب أن يرمى به فيها حتى تصبح، وإن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس فيها شعاع مثل القمر ليلة البدر، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ". أخرجه أحمد 324/5 عن حيوة بن شريح، حدثنا بقية، حدثني بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عبادة بن الصامت، وهذا سند حسن رجاله ثقات رجال الصحيحين غير بحير بن سعد وهو ثقة، وبقية روى له مسلم متابعة، والبخاري تعليقا، وهو صدوق، وقد صرح بالتحديث فانتفت شبهة تدليسه، وأورده الهيثمي في "المجمع" 175/3 ونسبه لأحمد، وقال: رجاله ثقات. وحديث ابن مسعود عند أحمد 406/1 قال: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: "إن ليلة القدر في النصف من السبع الأواخر من رمضان، تطلع الشمس غداتئذٍ صافية ليس لها شعاع... " وسنده حسن في الشواهد. وحديث ابن عباس عند ابن خزيمة، والبزار "1034" رفعه: "ليلة القدر ليلة طلقة لا حارة ولا باردة، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة" وسنده حسن في الشواهد أيضاً. وانظر الحديث: 445.

[2] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 445/5، حديث: 3680.

[3] صحيح ابن حبان، 27/9، حديث: 3714. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم وهو في صحيحه، حديث:1356 في الحج: باب النهي عن حمل السلاح بمكة بلا حاجة، ومن طريقه أخرجه البغوي، رقم: 2005 عن سلمة بن شبيب، بهذا الإسناد. وأخرجه البيهقي، 155/5 من طريقين عن إبراهيم الصيدلاني، عن سلمة بن شبيب، به.

قلت: الحديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه، وصحّحه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان.[1]

62. أخبرنا أبو خليفة قال: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن جابر: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء.

قال أبو حاتم: أن أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دخل مكة وعليه عمامة سوداء ولم يدخل أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بغير إحرام إلا مرة واحدة وهو يوم الفتح ويشبه أن يكون المصطفى أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ذلك اليوم كان على رأسه المغفر وقد تعمّم بعمامة سوداء فوقه فإذا جابر ذكر العمامة التي عاينها وإذا أنس ذكر المغفر الذي رآه من غير أن يكون بين الخبرين تضاد أو تهاتر.[2]

---

[1] انظر: صحيح مسلم، 989/2، حديث: 449 - (1356) حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَعْيَنَ، حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم يَقُولُ: «لَا يَحِلُّ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَحْمِلَ بِمَكَّةَ السِّلَاحَ». والتعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 460/5، حديث: 3706. قال : "صحيح - ((صحيحه)) (2938): م."

[2] صحيح ابن حبان، 37/9، حديث: 3722. قال الشيخ شعيب :"حديث صحيح، إسناده على شرط مسلم. واخرجه أبو داود 4076 في اللباس: باب في العمائم، عن أبي الوليد الطيالسي، بهذا الإسناد. وأبو الزبير لم يصرح بالتحديث عند الجميع. وأخرجه علي بن الجعد 3439، وابن أبي شيبة 422/8 و 493/14، وأحمد 363/1، وأبو داود 4076، والترمذي 1735 في اللباس: باب ما جاء في العمامة السوداء، وفي "الشمائل" 107، والنسائي في الزينة من الكبرى كما في التحفة 294/2، وابن ماجة 2822 في الجهاد: باب لبس العمائم في الحرب، و3585 في اللباس: باب العمامة السوداء، والبيهقي 177/5، والبغوي 2007 من طرق عن حماد بن سلمة، به. وأخرجه الدارمي 74/2، ومسلم 1358 في الحج: باب جواز دخول مكة بغير إحرام، والنسائي 201/5 في مناسك الحج: باب دخول مكة بغير إحرام، و 211/8 في الزينة: باب لبس العمائم السود، والبيهقي 177/5 من طرق عن معاوية بن عمار الدهني، عن أبي الزبير، به. وأخرجه أحمد 387/3، ومسلم 1358، والنسائي 211/8 من طرق عن شريك، عن عمار بن معامية الدهني، عن أبي الزبير، به. وفي الباب عن ابن عمر عند ابن ماجة 3586 وفي سنده موسى بن عبيدة، وهو ضعيف. وعن أنس عند أبي الشيخ، ص 118، وإسناده ضعيف، فهما شاهدان يتقوّى بهما حديث الباب..

قلت: الحديث صحيح، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، وصحّحه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان.[1]

63. أخبرنا الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان قال: حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري قال: سألت سفيان بن عيينة وهو جالس مستقبل الحجر الأسود فأخبرني عن أبي جريج عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "يوشك أن يضرب الرجل أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجد عالماً أعلم من عالم أهل المدينة" قال أبو موسى: بلغني عن أبن جريج أنه كان يقول: نرى أنه مالك بن أنس فذكرت ذلك لسفيان بن عيينة فقال: إنما العالم من يخشى الله ولا نعلم أحداً كان أخشى لله من العمري يريد به عبد الله عبد العزيز. قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات لكن فيه عنعنة ابن جريج وأبي الزبير.[2]

رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديث حسن وهو حديث ابن عيينة. والحميدي، وابن عساكر، واحتج به الذهبي في تاريخ الإسلام، وذكره في تذكرة الحفاظ. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية وسكت عليه. واحتج به ابن خلدون في تاريخه، واحتج به المزي في تهذيب الكمال، وابن حجر في التهذيب. وذكره الخطيب البغدادي، [3] والمروزي[1]، كلهم به، ولكن ضعّفه الألباني في أكثر من

---

[1] صحيح مسلم، 111/4، حديث: 3288. 3288- (451-1358) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّقَفِيُّ، قَالَ يَحْيَى : أَخْبَرَنَا، وقَالَ قُتَيْبَةُ : حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمَّارٍ الدُّهْنِيُّ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم دَخَلَ مَكَّةَ، وَقَالَ قُتَيْبَةُ : دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ. وَفِي رِوَايَةِ قُتَيْبَةَ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ. وانظر: 112/4، حديث: 3289، 3289- (...) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَكِيمٍ الأَوْدِيُّ، أَخْبَرَنَا شَرِيكٌ، عَنْ عَمَّارٍ الدُّهْنِيِّ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ. قال الشيخ الألباني: "صحيح – "مختصر الشمائل" (94): م.".

[2] صحيح ابن حبان، 45/9، حديث: 3736

[3] مسند أحمد، 299/2، حديث: 7967. وسنن الترمذي، 47/5، حديث: 2680. ومسند الحميدي، 485/2، حديث: 1147. وتاريخ دمشق، 376/6، حديث: 3409. وانظر: 16/13، حديث:6972. وتاريخ الإسلام، 1327/1. وتذكرة الحفاظ، 208/1. والبداية والنهاية، 251/6، و147/10. وتاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكب)، 681/7. وتهذيب

موضع من كتبه.[2] وذكر السيوطي حديثاً قد يكون شاهداً يعضّده قال: "يخرج الناس من المشرق والمغرب في طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة (الطبراني عن أبي موسى). وقال المحقق: أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد، قال الهيثمى: فيه عبد الله بن محمد بن عقيل وهو ضعيف عند الأكثرين[3]. وقد صحّحه الشيخ علي الشحود.[4] فالراجح عندي أنّ الحديث صحيح.

64. أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا المؤمل بن إسماعيل عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر عن عمر: عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال "لئن عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا يبقى فيها إلا مسلم". قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.[5]

قلت: الحديث صحيح فقد ثبت عند أحمد سماع أبي الزبير من جابر فانتفت شبهة التدليس، "حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلّى الله

الكمال، 117/27. وتهذيب التهذيب، 264/5. وانظر: 7/10. والرحلة في طلب الحديث، 195/1.

[1] رواية الأكابر عن مالك بن أنس، ص60، حديث: 46. وانظر الرواية الأخرى، قال: حدثنا محمد، ثنا أبو يحيى محمد بن سعيد بن غالب العطار، ثنا ابن عيينة، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ويبلغ به النبي صلّى الله عليه وسلّم : "ليضربن الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة"، ص59، حديث: 44.

[2] الجامع الصغير وزياداته، 1459/1، حديث: 14583. وانظر: مشكاة المصابيح، 53/1، حديث: 246. والسلسلة الضعيفة، 335/10، حديث: 4833، و ضعيف الترمذي، 318/1، حديث: 502.

[3] جمع الجوامع، 25928/1، حديث: 275. انظر: مجمع الزوائد، 161/1، حديث: 566.

[4] موسوعة السنة النبوية، حديث: 23011، 120/16. وقال: (ت، ك) عن أبي هريرة، ت (268). وحم: 299/2. وتمهيد 35/6. وبداية، 284/6، و174/10. والحميدي: حديث 1147. وحب، حديث: 2308. وهق: 386/1. وك: 90/1. وص 91، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم والذهبي. صحيح.

[5] صحيح ابن حبان،69/9، حديث: 3753

عليه وسلّم يَقُولُ: "لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، حَتَّى لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا".[1]

65. أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى بعسكر مكرم حدثنا محمد بن يحيى القطعي حدثنا محمد بن بكر حدثنا ابن جريح أخبرنا أبو الزبير: أنه سمع جابر بن عبد الله يذكر حجة النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: فأمرنا بعد ما تمتعنا أن نحل قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: "فإذا أردتم أن تنطلقوا إلى منى فأهلّوا" فأهللنا من البطحاء. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم[2]

قلت: الحديث صحيح فقد صرح أبو الزبير بالسماع من شيخه جابر عند ابن حبان وعند أحمد في المسند،[3] فانتفت شبهة التدليس.

66. أخبرنا أبو يعلي قال: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل قال: أخبرنا هشام بن يوسف عن ابن جريح قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: لم يطف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافاً واحداً طوافه الأول. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.[4]

---

[1] مسند أحمد، 329/1، حديث: 201. قال الشيخ شعيب: "إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الزبير - وهو محمد بن مسلم بن تدرس - فمن رجال مسلم، وأخرج له البخاري مقروناً. وهو في "مصنف عبد الرزاق" (9985) و(19365). ومن طريق عبد الرزاق أخرجه مسلم (1767)، وأبو داود (3030)، والترمذي (1607)، والبغوي (2756). وأخرجه مسلم (1767)، وأبو داود (3030)، والترمذي (1607)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" 4 / 12 من طريق أبي عاصم النبيل، عن ابن جريج، به. وأخرجه مسلم (1767)، والبزار (230) من طريقين عن أبي الزبير، به. ولفظ البزار: "أخرجوا اليهود والنصارى... ". وأخرجه البزار (234) من طريق وهب بن منبه، عن جابر، به. وانظر برقم (215) و(219). وفي مسند جابر بن عبد الله، 345/3.

[2] صحيح ابن حبان، 106/9، حديث: 3796.

[3] مسند أحمد، 285/23، حديث: 15039. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ وَهُوَ يُخْبِرُ عَنْ حَجَّةِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم، قَالَ: فَأَمَرَنَا بَعْدَمَا طُفْنَا أَنْ نَحِلَّ، قَالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم: "فَإِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَنْطَلِقُوا إِلَى مِنًى فَأَهِلُّوا"، فَأَهْلَلْنَا مِنَ الْبَطْحَاءِ

[4] صحيح ابن حبان، 127/9، حديث: 3819.

قلت: الحديث صحيح فقد صرح أبو الزبير بالسماع من شيخه جابر عند ابن حبان وعند أحمد في المسند،[1] فانتفت شبهة التدليس.

67. أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة حدثنا محمد بن مروان العقيلي حدثنا هشام- هو الدستوائي- عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر من ذي الحجة" قال: فقال رجل: يا رسول الله هنّ أفضل أم عدتهنّ جهادا في سبيل الله؟ قال: "هنّ أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله؟ وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً ضاحين جاؤوا من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي فلم ير يوم أكثر عتقاً من النار من يوم عرفة". قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح إسناده قوي لولا عنعنة أبي الزبير.[2]

قلت: الحديث صحيح لغيره فقد أخرج بعضه الإمام مسلم في صحيحه،[3] وغيره من الأئمة.

68. أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى قال: حدثنا أبو خيثمة قال: حدثنا ابن إدريس عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال: رمى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الجمرة يوم النحر ضحًى ثم رمى سائرهن عند الزوال. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الزبير، فقد روى له البخاري مقروناً، وقد صرح هو وابن جريج بالتحديث عند مسلم وغيره، فانتفت شبهة تدليسهما.[4]

---

[1] مسند أحمد، 306/22، حديث: 14414.

[2] صحيح ابن حبان، 164/9، حديث: 3853.

[3] صحيح مسلم، 982/2، حديث: 436 - (1348) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ عِيسَى، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي مَخْرَمَةُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ يُوسُفَ، يَقُولُ: عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم قَالَ: "مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟"

[4] صحيح ابن حبان، 198/9، حديث: 3886.

قلت: الحديث صحيح، فقد صرح أبو الزبير بالتصريح عند الإمام مسلم.[1]

69. أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى بعسكر مكرم قال: حدثنا محمد بن معمر قال: حدثنا أبو عاصم عن ابن جريح عن أبي الزبير عن جابر قال: لم يطف النبي صلّى الله عليه وسلّم بين الصفا والمروة إلا طوافاً واحداً لحجته وعمرته. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقد صرح ابن جريج وأبو الزبير بالتحديث عند ابن حبان: 3819، فانتفت شبهة تدليسهما، وصحّحه الألباني في التعليقات الحسان.[2]

قلت: الحديث صحيح فقد صرح أبو الزبير بالتحديث عند ابن حبان، فانتفت شبهة التدليس.

70. أخبرنا بد الله بن محمد الأزدي قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا الملائي ويحيى بن آدم قالا: حدثنا زهير أبو خيثمة عن أبي الزبير عن جابر قال: خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مهلّين بالحجّ ومعنا النساء والذراري فلمّا قدمنا مكة طفنا بالبيت وبين الصفا والمروة فقال لنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من لم يكن معه هدي فليحل" فقلنا: أي الحل؟ فقال: "الحلّ كلّه" فلما كان يوم التروية أهللنا بالحجّ قال لنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "اشتركوا في الإبل والبقر كل سبعة في بدنة" قال: فجاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله أرأيت عمرتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد؟ فقال صلّى الله عليه وسلّم: "لا بل للأبد" فقال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنما خلقنا الآن أرأيت العمل الذي نعمل به أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم مما نستقبل؟

---

[1] صحيح مسلم، 80/4، حديث: 3119. (314-...) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الأَحْمَرُ، وَابْنُ إِدْرِيسَ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: رَمَى رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم الْجَمْرَةَ يَوْمَ النَّحْرِ ضُحًى، وَأَمَّا بَعْدُ فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ. 3120- (...) وحَدَّثَنَاه عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ، أَخْبَرَنَا عِيسَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ : كَانَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم، بِمِثْلِهِ.

[2] صحيح ابن حبان، 223/9، حديث: 3914. وانظر: 3819 - أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي إِسْرَائِيلَ قَالَ: أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ، عَنِ ابن جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: لَمْ يَطُفْ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم، وَلَا أَصْحَابُهُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ إِلَّا طَوَافًا وَاحِدًا طوافه الأول". الألباني، التعليقات الحسان، 95/6، حديث: 3903.

فقال صلّى الله عليه وسلّم: "لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير" قلت: ففيم العمل؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "اعملوا فكلّ ميسر".[1]

قلت: الحديث صحيح فقد صرح أبو الزبير بالتحديث عند مسلم فانتفت شبهة التدليس.

71. أخبرنا الحسين بن محمد بن أبي معشر قال: حدثنا محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة عن أبي الزبير عن جابر قال: خرجنا مع النبي صلّى الله عليه وسلّم مهلين بالحج فقدمنا مكة فطفنا بالبيت وبين الصفا والمروة ثم قام فينا النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: "من لكم منكم ساق هدياً فليحلل وليجعلها عمرة" فقلنا: حل من ذا يا رسول الله؟ قال: "الحل كله" فواقعنا النساء ولبسنا وتطيبنا بالطيب فقال أناس: ما هذا الأمر نأتي! عرفة وأيورنا تقطر منيا فبلغ ذلك النبي صلّى الله عليه وسلّم فقام فينا كالمغضب فقال: "والله لقد علمتم أني أتقاكم ولو عملت أنكم تقولون هذا ما سقت الهدي فاسمحوا بما تؤمرون به" فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله عمرتنا هذه التي أمرتنا بها ألعامنا هذا أم للأبد؟ فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: "بل للأبد". قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم، وانظر حديث: 3919.[2]

قلت: الحديث صحيح فقد ثبت سماع أبي الزبير من جابر عند مسلم في الصحيح فانتفت شبهة التدليس، وصحّحه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان.

---

[1] صحيح ابن حبان، 227/9، حديث: 3919. قال الشيخ شعيب: "حديث صحيح رجاله ثقات وانظر: 3791 ورواه مسلم مختصراً، وصرح عنده ابن الزبير بالتحديث. وأخرجه أحمد 293-292/3 عن يحيى بن آدم، بهذا الإسناد. وأخرجه مسلم 1318 351 في الحج: باب الإشتراك في الهدي، من طريقين، عن أبي خيثمة، به مختصراً. وأخرجه أحمد 388/3 مطولاً، ومسلم 1318 مختصراً من طرق عن أبي الزبير به. وانظر: 3921 و3924.

[2] صحيح ابن حبان، 234/9، حديث: 3924. قال شعيب بعد حديث: 3919: "حديث صحيح رجاله. وأنظره برقم 3791 ورواه مسلم مختصراً، وصرح عنده ابن الزبير بالتحديث. وأخرجه أحمد 293-292/3 عن يحيي بن آدم، بهذا الإسناد. وأخرجه مسلم 1318 351 في الحج: باب الإشتراك في الهدي، من طريقين، عن أبي خيثمة، به مختصراً. وأخرجه أحمد 388/3 مطولا، ومسلم 1318 مختصراً من طرق عن أبي الزبير به. وانظر: 3921 و3924.

72. أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة قال: حدثنا يزيد بن موهب قال: حدثني الليث عن أبي الزبير عن جابر: أنهم كانوا حاضرين مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة يبعث بالهدي فمن شاء منا أخّر ومن شاء ترك. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح ورجاله ثقات.[1]

قلت: الحديث صحيح، فقد صحّحه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، وقال صحيح الإسناد. وقال حسين سليم أسد في تخريجه للحديث عند أبي يعلى في المسند: الحديث صحيح.[2]

73. أخبرنا عمر بن سعيد بن سنان قال: أخبرنا أحمد بن أبي بكر عن مالك عن أبي الزبير عن جابر أنه قال: نحرنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالحديبية البقرة عن سبعة والبدنة عن سبعة". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.[3]

---

[1] صحيح ابن حبان، 312/9، حديث: 3999. قال الشيخ شعيب في تخريجه للحديث في مسند أحمد، 92/23، حديث: 14775: "إسناده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه النسائي 174/5 عن قتيبة بن سعيد، وابن حبان (3999) من طريق يزيد بن موهب، كلاهما عن الليث بن سعد، بهذا الإسناد. وانظر الحديث (14129).

[2] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 156/6، حديث: 3988. ومسند أبي يعلى، 183/4، حديث: 2268.

[3] صحيح ابن حبان، 317/9، حديث: 4006. رواه الترمذي في الجامع، 248/3، حديث: 904. قال: "حدثنا قتيبة حدثنا مالك بن أنس عن أبي الزبير عن جابر قال: نحرنا مع النبي ﷺ عام الحديبية البقرة عن سبعة والبدنة عن سبعة قال وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة وعائشة وابن عباس قال أبو عيسى حديث جابر حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي النبي صلّى الله عليه وسلّم...". وانظر، 316/9، حديث: 4004 - أَخْبَرَنَا أَبُو عَرُوبَةَ، حَدَّثَنَا بُنْدَارٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: نَحَرْنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ سَبْعِينَ بَدَنَةً، البدنة عن ذكر الْأَمْرِ بِالِاشْتِرَاكِ لِلْجَمَاعَةِ فِي الْبَدَنَةِ تُنْحَرُ (4004) أَخْبَرَنَا أَبُو عَرُوبَةَ، حَدَّثَنَا بُنْدَارٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: نَحَرْنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ سَبْعِينَ بَدَنَةً، الْبَدَنَةُ عن سَبْعَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم: "يشترك النفر بالهدي". قال الشيخ شعيب: "إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الزبير، فمن رجال مسلم، وروى له البخاري مقروناً وقد صرح عند غير المؤلف في بعض الروايات بالتحديث، فانتفت شبهة تدليسه...". وأخرجه

قلت: الحديث صحيح، فقد صحّحه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان،[1] قال الشيخ شعيب وقد صرح أبي الزبير بالتحديث عن جابر عند غير ابن حبان.

74. أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو خالد الأحمر عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "اركبوا الهدي بالمعروف حتى تجدوا ظهراً". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.[2]

قلت: الحديث صحيح، وقد صرح ابن جريج وكذا أبو الزبير بالتحديث عند أحمد ومسلم وأبي داود وغيرهم، وصحّحه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان.[3]

75. أخبرنا أبو يعلى قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو خالد الأحمر عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلّى الله

الدارمي 290/3-293 ومسلم، حديث:1813، باب:351 في الحج: باب الاشتراك في الهدي، والبيهقي 234/5 و294/9، والبغوي 1131 من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية، ومسلم 1318 353 و354، وابن الجارود 479 والبيهقي 295/9 من طريق ابن جريج، ومسلم 1318 352 من طريق عروة بن ثابت، والبيهقي234/5 أربعتهم عن أبي الزبير، به. وأخرجه أحمد 304/3 و318، و366، ومسلم 1318 355، وابو داود 2807 و 2808 في الأضاحي: باب في البقر والجزور عن كم تجزئ، والنسائي 222/7 في الضحايا: ب باب ما تجزئ عنه البقرة في الضحايا، والبيهقي 234/5، و295/9، من طريقين عن عطاء والطيالسي و1795 وأحمد 353/3 من طريق سليمان اليشكري، وأحمد 316/3 من طريق أبي سفيان، و335/3 من طريق الشعبي، أربعتهم عن جابر، وانظر: الحديث رقم: 4006.

[1] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 159/6، حديث: 3995. وقال: "صحيح - "صحيح أبي داود" (2500): ق.

[2] صحيح ابن حبان، 326/9، حديث: 4017. قال الشيخ شعيب: "إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الزبير، فمن رجال مسلم، وقد صرح ابن جريج وكذا أبو الزبير بالتحديث عند أحمد ومسلم وأبي داود وغيرهم، أبو خالد الأحمر: هو سليمان بن حيان الأزدي.

[3] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 164/6، حديث: 4006.

عليه وسلّم: "اركبوا الهدي بالمعروف حتى تجدوا ظهراً". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.[1]

قلت: الحديث صحيح، كسابقه وقد صرح ابن جريج وكذا أبو الزبير بالتحديث عند أحمد ومسلم وأبي داود وغيرهم، وصحّحه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان.[2]

76. أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى بعسكر مكرم قال: حدثنا عمرو بن علي بن بحر قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا ابن جريج قال: أخبرني **أبو الزبير أنه سمع جابر** بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى: "إن كان في شيء ففي الربع والفرس والمرأة" يعني الشؤم. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.[3]

قلت: الحديث صحيح، فقد صرح أبو الزبير بالتحديث عند المؤلف في هذا الحديث.

77. أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الصمد حدثنا هشام عن أبي الزبير عن جابر قال: كنا نعزل على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلم ينهنا عنه. قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.[4]

---

[1] صحيح ابن حبان، 325/9، حديث: 4015.

[2] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 164/6، حديث: 4006.

[3] صحيح ابن حبان، 314/9، حديث: 4033.

[4] المصدر نفسه، 507/9، حديث:4195. أخرج أحمد في مسنده، 220/22، حديث: 14318، قال: "حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ جَابِرٍ، "كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم، وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ". قال الشيخ شعيب: "حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين، لكن عَمْراً -وهو ابن دينار- لم يسمعه من جابر كما صرح هو بذلك بحديث برقم (14957)، والواسطة بينهما هو عطاء بن أبي رباح. وأخرجه ابن أبي شيبة 217/4، والحميدي (1257)، والبخاري (5208) و(5209)، ومسلم (1440) (136)، وابن ماجة (1927)، والترمذي (1137)، والنسائي في "الكبرى" (9093)، والطحاوي 35/3، والبيهقي 228/7 من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن جابر، وطريق عطاء عن جابر برقم (15032). وأخرجه مسلم (1440) (138)، وأبو يعلى

قلت: الحديث صحيح، وأبو الزبير قد توبع من عطاء، وأخرج الحديث الإمام مسلم عن أبي الزبير عن جابر به.[1]

78. أخبرنا أبو يعلى قال: حدثنا أبو خيثمة قال: حدثنا روح بن عبادة قال: حدثنا ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: كنا نبيع سرارينا أمهات الأولاد والنبي صلّى الله عليه وسلّم حيّ فينا فلا يرى بذلك بأساً. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح[2]

قلت: الحديث صحيح، فقد صرح أبو الزبير بالتحديث عند المؤلف في هذا الحديث.

79. أخبرنا الحسن بن سفيان قال: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر: أن النبي صلّى الله عليه وسلّم لما رجم ماعز بن مالك قال: "لقد رأيته يتخضخض في أنهار الجنة". قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين.[3]

80. أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا حماد بن زيد عن أبي الزبير عن جابر: أن النبي صلّى الله عليه وسلّم لما رجم ماعز بن مالك قال: "لقد رأيته يتخضخض في أنهار الجنة". قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أنّ أبا الزبير مدلّس وقد عنعن[4]

قلت: لم أجد له متابعاً. ولكن له شاهد أخرجه النسائي من طريق عبد الرحمن بن الهضاب بن أخي أبي هريرة، قال: سمعت أبا هريرة مرفوعاً بلفظ: "والذي

(2255)، والطحاوي 35/3، وابن حبان (4195)، والبيهقي 228/7 من طريق أبي الزبير، عن جابر قال: كنَّا نعزل على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فبلغ ذلك نبي الله صلّى الله عليه وسلّم، فلم ينهنا. وأخرجه ابن أبي شيبة 219/4 عن يحيى بن سعيد، عن الحسن بن ذكوان، عن الحسن، عن جابر.

[1] صحيح مسلم، 1065/2، حديث: 1065.

[2] صحيح ابن حبان، 165/10، حديث: 4323

[3] المصدر نفسه، 248/10، حديث: 4401.

[4] المصدر نفسه، 165/10، حديث: 4323.

نفسي بيده لقد رأيته بين أنهار الجنة يتغمس قال: يعني يتنعم".[1] وهو حسن لأنّ عبد الرحمن بن الهضاب بن أخي أبي هريرة، قال فيه ابن حجر: "مقبول".[2]

وله شاهد آخر أخرجه أحمد والبزار من طريق حجاج بن أَرطَاةَ، عن عبد الملك بن المغيرة الطائفي، عن عبد الله بن المِقدام، عنِ بن شَداد، عن أبي ذر قال: كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سفر ... وفيه "فَسُرّيَ عن رسول اللهِ صلّى الله عليه وسلّم فقال لي: «يا أبا ذر! ألم تر إلى صاحبكم غُفِر له وأُدْخِل الجنة» وقال الهيثمي: "رواه أحمد والبزار وفيه الحجاج بن أرطاة وهو مدلّس"[3].

فتبيّن لي من مجموع هذه الشواهد أنّ للحديث أصلاً، فابن حبان لم يدخل في كتابه حديثاً لا أصل له، بل هو لا يقلّ عن درجة الحسن.

81. أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى قال: حدثنا مؤمل بن إهاب قال: حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا ابن جريج عن أبي الزبير وعمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ليس على منتهب قطع ومن انتهب نهبة فليس منا". قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي[4]

---

[1] أخرجه النسائي في سننه الكبرى، 288/4، حديث: 7200.

[2] تقريب التهذيب، ص343، ترجمة: 3899.

[3] أخرجه أحمد في مسنده، 179/5، حديث: 21594، والبزار في مسنده، 428/9، حديث: 4036. وينظر: مجمع الزوائد، 266/6.

[4] صحيح ابن حبان، 309/10، حديث: 4456. قال الشيخ شعيب: إسناده قوي، مؤمّل بن إهاب، قال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي: لا بأس به، وقال مرة: ثقة، وذكره المؤلف في "الثقات"، وقال مسلمة بن قاسم: ثقة صدوق، وقال إبراهيم بن الجنيد: سئل عنه ابن معين فكأنه ضعّفه، ومن فوقه رجاله ثقات رجال الشيخين، وأبو الزبير قد توبع، وهو في "مصنف عبد الرزاق" 18844 لكن ليس فيه وعمرو بن دينار. قلت: وقد صرح ابن جريج بسماعه من أبي الزبير عند عبد الرزاق، والدارمي 175/2، والنسائي في "الكبرى" ورقة 402ب، فانتفت شبهة تدليسه، وهذا يرد على أبي داود والنسائي وغيرهما قولهم: إن ابن جريج لم يسمعه من أبي الزبير. وأخرجه من طرق عن ابن جريج بهذا الإسناد الترمذي 1448 في الحدود: باب ما جاء في الخائن والمختلس والمنتهب، وأبو داود 4391 في الحدود: باب القطع في الخلسة والخيانة، والنسائي 88/8-89 و89 في قطع السارق: باب ما لا يقطع فيه، وابن ماجة 2591 في الحدود: باب الخائن والمنتهب والمختلس، وأحمد، 380/3، والدارمي،

قلت: الحديث صحيح، تابع عمرو بن دينار أبي الزبير في روايته عن جابر، وصرح ابن جريج بسماعه من أبي الزبير عند عبد الرزاق، وصحّحه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان.[1]

82. أخبرنا محمد بن عبيد الله بن الفضل الكلاعي العابد بحمص حدثنا مؤمل بن إهاب حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريج عن أبي الزبير وعمرز و بن دينار عن جابر أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "ليس على منتهب ولا مختلس ولا خائن قطع" قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي[2]

قلت: الحديث صحيح، وانظر الحديث الذي قبله.

83. أخبرنا أبو عروبة بحران حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "ليس على المختلس ولا على الخائن قطع. قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين[3].

قلت: الحديث صحيح، وانظر الحديث الذي قبله.

84. أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي قال: حدثنا أبو الوليد الطيالسي قال: حدثنا ليث بن سعد قال: حدثنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله: أن عبداً بايع النبي صلّى الله عليه وسلّم على الهجرة فأتاه سيده يريده قال: فاشتراه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعبدين أسودين ثم لم يبايع أحداً على الهجرة حتى يسأله: أعبد هو؟. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.[4]

ص2 و175، والطحاوي، 171/3، والدارقطني، 187/3، والبيهقي، 279/8. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وأخرجه من طرق عن أبي الزبير، عن جابر النسائي، ص8، ص89، وعبد الرزاق، حديث: 18845 و حديث: 18859، والطحاوي، 171/3، والبيهقي، 279/3.

[1] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 445/6، حديث: 4439.

[2] صحيح ابن حبان، 310/10، حديث: 4457.

[3] المصدر نفسه، 311/10، حديث: 4458.

[4] صحيح ابن حبان، 415/10، حديث: 4550. قال الشيخ شعيب : "... وأخرجه مسلم، حديث: 1602 في المساقاة: باب جواز بيع الحيوان بالحيوان من جنسه متفاضلاً، وأحمد،

قلت: الحديث صحيح، أخرجه الإمام مسلم وغيره من طريق أبي الزبير عن جابر، وصحّحه الشيخ الألباني.[1]

85. أخبرنا أبو يعلى قال: حدثنا غسان بن الربيع قال: حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن جابر: أنهم كانوا يصلّون المغرب مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثم ينتضلون.[2]

قلت: الحديث صحيح، وصحّحه الشيخ الألباني،[3] وأخرجه السرّاج في مسنده من طرق، فأبي الزبير متابع.[4]

349/3-350، والنسائي، ص7 و150، في البيعة: باب بيعة المماليك، و292 في البيوع: باب بيع الحيوان بالحيوان يداً بيد متفاضلاً، والترمذي، حديث: 1239، في البيوع: باب ما جاء في شراء العبد بالعبدين، و1596 في السير: باب ما جاء في بيعة العبد، وأبو داود 3358 في البيوع، والبيهقي، 286/5-287 من طرق عن الليث بن سعد، بهذا الإسناد.

[1] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 7/7، حديث: 4533.

[2] صحيح ابن حبان، 549/10، حديث: 4696.

[3] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 95/7، حديث: 4676. "صحيح، صحيح أبي داود، (443)".

[4] أخرجه السَّرَّاج في مسنده، 200/1، حديث: 569، وانظر: أحاديث: 570، 571، 572، من غير طريق أبي الزبير عن جابر. قال المحقق: بعد هذه الأحاديث: "(569) إِسْنَاده صَحِيح، أخرجه أَبُو داؤد (161/1) وَأَبُو يعلى رقم: 3295، وَابْن خُزَيْمَة، 174/1، وَالْبَيْهَقِيّ ، 447/1، من طرق عَن حَمَّاد بِهِ وَقَالَ الْبَيْهَقِيّ: غَرِيب بِهَذَا الْإِسْنَاد. (570) رِجَاله ثِقَات، وَأَبُو الزبير مُدَلّس وَقد عنعن، (571) إِسْنَاده حسن، وَأخرجه الشَّافِعِي فِي الْمسند رقم: 158 وَأحمد، 382/3، وَابْن خُزَيْمَة، 173/1، وَالْبَيْهَقِيّ، 370/1، من طَرِيق سعيد المَقْبُري عَن الْقَعْقَاع عَن جَابر، وَرَوَاهُ ابْن أبي شيبَة، 370/1، وَعبد الرَّزَّاق، 552/1، وَأحمد، 303/3، ص370، وَأَبُو يعلى رقم: 2100، 2153، وَالْبَزَّار كَمَا فِي الْكَشْف، 190/1، وَعبد الرَّزَّاق، 552/1، من طَرِيق عبد الله بن مُحَمَّد بن عقيل عَن جَابر، وَقَالَ الهيثمي، 310/1، مُحَمَّد بن عقيل مُخْتَلف فِي الِاحْتِجَاج بِهِ، وَقد وَثَّقَهُ التِّرْمِذِيّ وَاحْتج بِهِ أَحْمد وَغَيره، وَرَوَاهُ أَحْمد، 331/3، من طَرِيق عقبَة بن عبد الرَّحْمَن عَن جَابر أَيْضا. (572) فِي إِسْنَاده أَبُو الزبير وَهُوَ مُدَلّس وَقد عنعن، وَأخرجه ابْن حبَان، 99/7، من طَرِيق غَسَّان عَن حَمَّاد بِهِ".

86. أخبرنا أحمد بن يحيى بن زهير بتستر قال: حدثنا أبو كريب قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثنا شريك عن عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر: أن النبي صلّى الله عليه وسلّم دخل عام الفتح ولواؤه أبيض. قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن بشاهديه إسناده ضعيف.[1]

قلت: الحديث حسن، والمشكلة ليست في أبي الزبير إنما في شريك، وحسّنه الشيخ الألباني.[2]

87. أخبرنا عبد الله بن صالح البخاري ببغداد، حدثنا محمد بن عبد العزيز ابن أبي رزمة، حدثنا على بن الحسن بن شقيق، أخبرني الحسين بن واقد، حدثني أبو الزبير، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "أتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق عليه قطيفة من سندس".[3]

---

[1] صحيح ابن حبان، 47/11، حديث: 4743. قال الشيخ شعيب: "حديث حسن بشاهديه، إسناده ضعيف، شريك: هو ابن عبد الله القاضي، سيء الحفظ، وأبو الزبير مدلّس وقد عنعن. أبو كريب: هو محمد بن العلاء بن كريب. وأخرجه التزمذي "1679" في فضائل الجهاد: باب ما جاء في والألوية، عن أبي كريب، بهذا الإسناد...". وانظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، "أخرجه أبو داود، 32/3، كتاب الجهاد: باب في الرايات والألوية، حديث (2592)، والترمذي، 195/4، كتاب فضائل الجهاد: باب ما جاء في الألوية، حديث: (1679)، والنسائي، ص200، كتاب مناسك الحج: باب دخول مكة باللواء، حديث: (2866)، وابن ماجة، 941/2، كتاب الجهاد: باب الرايات والألوية، حديث: (2817)، والحاكم، 104/2، وابن حبان، 47/11، كتاب السير: باب الخروج وكيفية الجهاد، حديث (4743).

[2] السلسلة الصحيحة للألباني، 137/5، حديث: 2101.

[3] صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب صفته صلّى الله عليه وسلّم وأخباره، 279/14، حديث: 6364، قال الشيخ: إسناده على شرط الصحيح، إلا أنّ فيه تدليس أبي الزبير، وأخرجه ابن الجوزي في "العلل المتناهية" (277) من طريق علي بن الحسين، قال: حدثني أبي، عن أبي الزبير، بهذا الإسناد. وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، وعلي بن الحسين مجهول! قلت: وليس كما قال، فإن علي بن الحسين: هو ابن واقد المروزي، روى عنه جمع كثير، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، ثم هو لم ينفرد به، فقد تابعه اثنان كلاهما ثقة. وأخرجه أحمد، 327/3-328 عن زيد، حدثنا حصين، عن أبي الزبير، عن جابر، وأورده الهيثمي في "المجمع"، 20/9، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. قلت: وصحّحه الحافظ السيوطي في "الجامع الصغير"، وزاد نسبته للضياء المقدسي. وضعّفه الشيخ شعيب في مسند أحمد، قال: "إسناده ضعيف، أبو

قلت: الحديث حسن، وتدليس أبي الزبير عن جابر لا يضر، وإن ضعّفه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان.[1]

88. أخبرنا أحمد بن على بن المثنى، قال: حدثنا إبراهيم بن الحجاج السامي، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن الحجاج الصواف، عن أبي الزبير، عن جابر، "أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: "إذا أوى الرجل إلى فراشه أتاه ملك وشيطان، فيقول الملك: اختم بخير. ويقول الشيطان: اختم بشر. فإن ذكر الله ثم نام باتت الملائكة تكلؤه، فإن استيقظ قال الملك: افتح بخير. وقال الشيطان: افتح بشر. فإن قال: الحمد لله الذي ردّ علي نفسي ولم يمتها في منامها، الحمد لله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ... إلى آخر الآية"، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، فإن وقع من سريره فمات دخل الجنة".[2]

الزبير مدلّس وقد عنعنه. زيد: هو ابن الحُباب، وحسين: هو ابن واقد. وأخرجه ابن حبان (6364) من طريق علي بن الحسن بن شقيق، وابن الجوزي في "العلل المتناهية" (277) من طريق علي بن الحسين بن واقد، كلاهما عن الحسين بن واقد، بهذا الإسناد".

[1] العليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 279/14، حديث: 6364، قال: "ضعيف "الضعيفة" حديث: 1730.

[2] صحيح ابن حبان، كتاب الزينة والتطيب، باب آداب النوم، 343/12، حديث: 5533. قال الشيخ شعيب: "إبراهيم بن الحجاج السامي، روى له النسائي وهو ثقة، ومن فوقه ثقات من رجال الصحيح، إلاّ أنّ فيه عنعنة أبي الزبير. وهو في "مسند أبي يعلى" (1791). وأخرجه عن أبي يعلى مختصراً ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (750)، ونسبه المنذري في "الترغيب والترهيب"، 416/1، إلى أبي يعلى، وصحح إسناده. وذكره الهيثمي في "المجمع"، ص120-121 ونسبه إلى أبي يعلى، وقال: رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج السامي، وهو ثقة. وأخرجه النسائي في "اليوم والليلة"، حديث: (854) عن الحسن بن أحمد، عن إبراهيم بن الحجاج، بهذا الإسناد. وأخرجه النسائي، حديث: (853)، وأبو يعلى، وابن السني، حديث: (12) من طريق المغيرة بن مسلم، وأخرجه الحاكم 548/1 من طريق هشام الدستوائي، كلاهما عن أبي الزبير، به. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافَقَه الذَّهَبِي! وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد"، حديث: (1214)، والنسائي، حديث: (855) من طريقين عن حَجَّاجٌ الصَّوَّافُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قوله.

قلت: الحديث حسن، رجاله ثقات، وتدليس أبي الزبير عن جابر لا يضر، وإن ضعّفه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان[1]

الخاتمـــــــة:

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

1. اختلف تعريف المتقدمين للتدليس عنه عن المتأخرين؛ فقد عرّفه المتقدمون: بأنّه رواية الراوي عمن عاصره ولم يلقه فيتوهم أنّه سمعه منه وهو "المرسل الخفي عند ابن حجر" أو عمن لقيه مالم يسمعه منه. وبهذا أدخل المتقدمون في تعريف التدليس رواية الراوي عمن عاصره أيضاً، وكانوا يطلقون هذا المعنى على تدليس أبي الزبير المكي وغيره.

وأما المتأخرون فقد حصروا التدليس برواية الراوي عمن لقيه فقط؛ لذلك جاء تعريفهم: أن يروي الراوي عمن قد سمع منه ما لم يسمع منه، موهماً السماع من غير أن يذكر أنّه سمعه منه.

2. دقة ابن حجر في التمييز بين تدليس الإسناد وبين المرسل الخفي، وذلك وُصِف عدد من الرواة من قبل المتقدمين بالتدليس بناءً على تعريفهم السابق، بينما نجد المتأخرين لا يعدّونهم من المدلّسين بل يعدّون فعلهم من باب الإرسال لا التدليس. فإذا كان بالصيغة الموهمة عمن لقيه فهو تدليس، أو عمن أدركه ولم يلقه فهو المرسل الخفي، أو عمن لم يدركه فهو مطلق الإرسال. ومن هنا نستطيع تحديد فعل أبي الزبير ونبيّن منه ما هو من باب الإرسال أو التدليس أو المرسل الخفي، ولذا فغالب ما يذكر عن أبي الزبير يراد به الإرسال.

3. تبيّن أنّ أبا الزبير كان يدلّس تدليس الشيوخ ولم يدلّس إلا عن شيخه جابر بن عبد الله، كان يسمّيه إبراهيم بن أبي عطاء، ولم يثبت عنه إلا هذا. وهذا يعني أنّه لم يكن مكثراً من التدليس كما أشيع، وهذا التدليس ليس قدحاً بالراوي، فقد فعله أكثر من إمام كالبخاري والخطيب البغدادي. ومن هنا احتمل الأئمة تدليس أبي الزبير، فروى عنه البخاري ومسلم بصيغ العنعنة وكذا غيرهما.

---

[1] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، 117/8، حديث: 5508، ضعيف - "التعليق الرغيب"، ص240، "ضعيف الأدب المفرد"، حديث: (191).

4. الحكم على عنعنة المدلّس ليس لها ضابط مطرد بل يعتمد على السبر وتتبع الروايات والنظر في أحوال الرواة والمتون، والرواة المقلين من التدليس حكم رواياتهم الاتصال حتى يتبين الانقطاع أو التدليس، وهكذا الحكم على روايات أبي الزبير يكون بالقرينة وهو ثبوت التدليس ولا يكون بمجرد الصيغة، لأنّها من تصرف الرواة خصوصاً إذا تبيّن أنّ أبا الزبير واضح التدليس لا خفي التدليس وهذا يسر معرفة رواياته المدلّسة، فلا تردّ مروياته بمجرد العنعنة.

5. الوقوف على الصيغة التي نطق بها أبو الزبير صعبة جداً من قبل المتأخرين، بعكس البخاري وابن أبي حاتم وأبي داود فإنّهم عاينوا الأصول وعرّفوا عللها وأمّا المتأخرون فقد طالت عليهم الأسانيد وفقدت العبارات المتيقنة، كما قال الذهبي، لذلك قبل الذهبي وغيره تدليس أبي الزبير ومن هم على شاكلته لهذا السبب.

6. عدد الأحاديث التي رواها أبي الزبير عن شيخه جابر في صحيح ابن حبان بلغت تسعين حديثاً. ثبت أنّ الأحاديث التي رواها بصيغة العنعنة أحوالها كالتالي:

أ. إمّا أن يكون صرح بالتحديث أو السماع عند ابن حبان أيّ أنّ ابن حبان روى طريقاً آخر للحديث يبيّن سماع أبي الزبير الصريح من شيخه الذي روى عنه بالعنعنة.

ب. أو يكون ثبت أنّ أبي الزبير صرح بالسماع عند غير ابن حبان أي في الصحاح أو السنن أو المسانيد أو غيرها، وهذا ما أشار إليه الشيخ شعيب في أثناء تخريجه للأحاديث في صحيح ابن حبان، أو تبيّن لي من خلال تتبع طرق بعض الأحاديث.

ج. أو يكون الحديث ورد من طريق آخر أي من غير طريق أبي الزبير وقد صحّحه الشيخان أو الأئمة فتنتهي شبهة تدليس أبي الزبير.

8. الأحاديث التي تتبعتها والتي رواها أبو الزبير عن شيوخه في صحيح ابن حبان بصيغ العنعنة، ثبت عندي ومن خلال تتبع طرقها في صحيح ابن حبان وغيره أنّها جميعاً مما يحتمل فيه تدليس أبي الزبير للأسباب السابقة خلا أربعة أحاديث تبيّن لي أنها حسنة.

9. مما تقدم يتبين لي وبجلاء أن أبا الزبير وإن أشيع عنه أنه يدلّس إلا أنه ليس مكثراً من التدليس ولا يدلّس إلا تدليس الشيوخ، وتدليسه محتمل، وقد روى له الشيخان بصيغة العنعنة مما يدل على أنّه ثبت عندهما أنّه مما يحتمل تدليس أو يكون ثبت عندهما أنّه سمع تلك الروايات، أو ثبت بغير ذلك. وكذا يقال في ابن حبان أنّه ممن ثبت عنده سماع أبي الزبير من شيوخه وإن روى أحاديث بصيغ العنعنة، فتكون نسبة ما أصاب فيه ابن حبان في تخريجه لأحاديث أبي الزبير قريبة إلى مائة بالمائة.

فهرس المصادر والمراجع

1. إبراهيم الأبناسي: الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح (تحقيق: صلاح فتحي هلل)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1998م
2. ابن أبي حاتم الرازي: علل الحديث، دار المعرفة، بيروت، 1405هـ
3. ابن القطان الفاسي: بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام (تحقيق: الحسين آيت سعيد)، دار طيبة، الطبعة الأولى، 1418هـ
4. ابن حبان، محمد بن حبان البستي: المجروحين (تحقيق : محمود إبراهيم زايد)، دار الوعي، حلب، سنة الطبع لم تذكر
5. ابن حجر العسقلاني: تقريب التهذيب، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الأولى، 1986م
6. ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1984م
7. ابن حجر العسقلاني: نزهة النظر شرح نخبة الفكر، مكتبة طيبة، الطبعة الأولى، 1403هـ
8. ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي: اختصار علوم الحديث (مطبوع مع الباعث الحثيث، تعليق: الألباني، وتحقيق: علي الحلبي)، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، 1415هـ
9. أبو زرعة العراقي: تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل (تحقيق: عبدالله نوراة)، مكتبة الرشيد، الطبعة الأولى، 1419هـ

10. أبو يعلى القزويني: الخليل بن عبد الله، الإرشاد في معرفة علماء الحديث (تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1409ه
11. أحمد بن حنبل: العلل ومعرفة الرجال (تحقيق: وصي الله بن محمد عباس)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م
12. أحمد بن حنبل: موسوعة الأقوال في الجرح والتعديل، أبو المعاطي، موقع أهل الحديث، خزانة الكتب والأبحاث.
13. الأزهري، محمد بن أحمد: تهذيب اللغة (تحقيق: محمد عوض مرعب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م
14. الألباني، محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة، 1412هـ
15. الألباني، محمد ناصر الدين: ضعيف الترمذي، الرياض، مكتبة دار المعارف، سنة الطبع لم تذكر
16. أميرة بنت علي الصاعدي: ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير من أول القرآن إلى نهاية سورة الحج، جمع ودراسة حديثية وتفسيرية،رسالة دكتوراه، إشراف: أ. د. سعدي بن مهدي الهاشمي، جامعة أم القرى، كلية أصول الدين، 2004م
17. الترمذي، محمد بن عيسى: العلل الصغير (تحقيق: أحمد شاكر وآخرون)، دار إحياء التراث، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
18. الحاكم النيسابوري: معرفة علوم الحديث (تحقيق: السيد معظم حسين)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1977م
19. حسن محمد المشاط: التقريرات السنية في شرح المنظومة البيقونية (تحقيق: فواز أحمد زمرلي)، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1969م
20. حمّاد الأنصاري: إتحاف ذوي الرسوخ بمن رمي بالتدليس من الشيوخ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1403هـ
21. الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية (تحقيق: أبو عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي)، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، سنة الطبع لم تذكر

22. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي: الرحلة في طلب الحديث (تحقيق: نور الدين عتر)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1395هـ
23. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي: تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
24. الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد: سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني (تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر)، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1984م
25. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطبع لم تذكر
26. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م
27. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: ميزان الاعتدال في نقد الرجال (تحقيق: علي محمد البجاوي)، دار المعرفة، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
28. الزركشي: النكت على مقدمة ابن الصلاح (تحقيق: زين العابدين بن محمد بلا فريج)، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، 1998م
29. زكريا الأنصاري: فتح الباقي على ألفية العراقي (مطبوع مع التبصرة والتذكرة)، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
30. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن: فتح المغيث شرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، سنة الطبع لم تذكر
31. السلفي: المنتخب من الإرشاد للخليلي، انتخبه السلفي، مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى، 1409هـ
32. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (تحقيق: عبدالوهاب عبد اللطيف)، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، سنة الطبع لم تذكر
33. الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الحسني: توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، سنة الطبع لم تذكر
34. الطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني: الدعاء (تحقيق: مصطفى عبد القادر)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ

35. الطيبي، الحسين بن عبد الله: الخلاصة في أصول الحديث (تحقيق: صبحي السامرائي)، عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1405هـ
36. العراقي: التبصرة والتذكرة، شرح ألفية العراقي، دار الباز، مكة المكرمة، سنة الطبع لم تذكر
37. العراقي، عبد الرحيم بن الحسين: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح (تحقيق: عبد الرحمن عثمان)، دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة الطبع لم تذكر
38. العلائي: جامع التحصيل في أحكام المراسيل (تحقيق: حمدي السلفي)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، 1407هـ
39. عواد حسن الخلف: روايات المدلّسين في صحيح مسلم، جمع وتخريج والكلام عليها، دار البشائر الإسلامية، سنة الطبع لم تذكر
40. محمد بن إبراهيم الحنبلي: قفو الأثر في صفو علم الأثر (تحقيق: أبو غدة)، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية، بيروت، 1408هـ
41. محمد بن مخلد المروزي: رواية الأكابر عن مالك بن أنس، (تحقيق: د. عواد الخلف)، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ
42. المعلمي اليماني: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (تحقيق: الألباني)، مكتبة المعارف، الطبعة الثانية، 1406هـ
43. المناوي، عبد الرؤوف: اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر (تحقيق: المرتضي الزين أحمد)، مكتبة الرشيد، الرياض، 1420هـ
44. النووي، يحيى بن شرف: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين (تحقيق: علي أبو الخير)، دار أسامة، عمان، الطبعة الثانية، 1418هـ
45. وسبط بن العجمي، إبراهيم بن محمد: التبيين لأسماء المدلّسين (تحقيق: محمد إبراهيم داود الموصلي)، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م

عناية العرب بالعلوم الهندية

- الشيخ ضياء الدين الإصلاحي

الحكمة ضالة المؤمنين، يأخذونها حيث وجدوها فيقدّرونها تقديراً، إنهم يقضون حياتهم في البحث عنها ويبذلون قصارى جهودهم للحصول عليها. ولم يحقّر المسلمون غيرهم من الملل والأديان البتة كما لم تضق خواطرهم عن نيل علوم غيرهم وآدابهم والتضلع من لغاتهم وهذا لأن رسولهم النبي الأمي قال لهم: "اطلبوا العلم ولو بالصين"[1].

فلما أشار سلمان الفارسي على النبي صلّى الله عليه وسلّم بمناسبة غزوة الأحزاب أن يأمر المسلمين بحفر الخندق على طراز الإيرانيين فلم يقبلها النبي صلّى الله عليه وسلّم فحسب بل أثنى عليها، وكان زيد بن ثابت رضي الله عنه أعرف صحابة الرسول صلّى الله عليه وسلّم بعلم الفرائض فأمره النبي الكريم بتعلّم اللغة العبرية. إنه كان يعرف اللغة السريانية كذلك، وبالرغم منه فقد كان عدد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم يعرفون اللغة الفارسية.

كانت الهند منذ قديم الزمان مهداً للعلوم والفنون وكانت أبناؤها يمتازون بالحكمة وسداد الرأي، وكانت العرب واقفين على ينبوع الحكم هذا فقد كانت لهم علاقات مع الهنود قبل البعثة بكثير ولذلك فلما جاء الإسلام وذاع في الآفاق صيته لم تبق هذه البلاد أجنبية للمسلمين ومجهولة لهم بل كانوا يعتبرونها مركزاً للعلم والحكمة وكانوا يقدّرونها خير تقدير وكان عامتهم يقفون على طول باع الهنود في الحكم والمعارف وتفوقهم في العلوم والفنون، ولم يكن هذا بل كانت العرب يعرفون عاداتهم وخصائلهم، وتقاليدهم ومطّرداتهم، ومعروفهم ومنكرهم، وثقافتهم وحضارتهم، وآدابهم وقوانينهم الاجتماعية والسياسية، وحتى أديانهم

---

[1] البحر الزخار، 175/1، وأخرجه ابن عدي والبيهقي في المدخل والشعب من حديث أنس وقال البيهقي: متنه مشهور وأسانيده ضعيفة، الموقع على الانترنت: خادم القرآن، 2010/2/10 /10:21:12 الإبلاغ عن إساءة الاستخدام، ما صحة هذا الحديث (اطلبوا العلم ولو بالصين).

وعقائدهم، وأقوامهم وفرقهم العرقية المختلفة فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه --- فبينا أنا جالس في خطّي إذ أتاني رجال كأنهم الزط"[1].

ولم تضق خواطر الكتّاب والمؤرخين والرحّالات والجغرافيين العرب المسلمين في القرن الثالث والرابع والخامس للهجرة في الاعتراف بعلوّ كعب الهنود في العلوم والفنون، وحداثتهم في الأفكار والأخيلة، وفضائلهم وخصائصهم الأخرى فيقول الجاحظ (255هـ)، الأديب البارز للعربية والمتكلم المشتهر عن المعتزلة:

"وأما الهند فوجدناهم يقدمون في النجوم والحساب ولهم الخط الهندي خاصة ويقدمون في الطب ولهم أسرار الطب وعلاج فاحش الأدواء خاصة ولهم خرط التماثيل ونحت الصور بالإصباغ تجد من المحاريب وأشباه ذلك ولهم الشطرنج وهي أشرف لعبة وأكثرها تدبيراً وفطنة ولهم السيوف القلعية وهم ألعب الناس بها وأحذقها ضرباً بها ولهم الرقي النافذة في السموم وفي الأوجاع ولهم غناء معجب ولهم الكلنكلة وهي وتر واحد يمرّ على قرعة فيقوم مقام أوتار العود والضنج ولهم ضروب الرقص ---- ولهم خط جامع لحروف اللغات وخطوط أيضاً كثيرة ولهم شعر كثير وخطب طوال وطب في الفلسفة والأدب وعنهم أخذ كتاب كليلة ودمنة ولهم رأي ونجدة وليس لأحد من أهل الصين ما لهم من الرأي الحسن والأخلاق المحمودة مثل الأخلة والقران والسواك والاحتباء والفرق والخضاب وفيهم جمال ولمح واعتدال وطيب عرق وإلى نسائهم تضرب الأمثال ومن عندهم جاء الملوك بالعود الهندي الذي لا يعدله عود ومن عندهم خرج علم الفكر وماذا يكلم به على السم لم يضرّ وأصل حساب النجوم من عندهم أخذه الناس خاصة --- وخصلة أخرى (لأهل السند) أنه لا يوجد في العبيد أطبخ من السند هو أطبع على طيب الطبخ كله ومن مفاخرهم أن الصيارفة لا يولون أكسيتهم وبيوت صروفهم إلا السند وأولاد السند لأنهم وجدوهم أنفذ في أمور الصرف وأحفظ وآمن"[2].

ويثني مؤرخ آخر لهذا القرن وهو اليعقوبي الذي كان مسئولاً عن قسم الكتابة في الدولة العباسية، يثني على الهنود كما يلي:

---

[1] جامع الترمذي، رقم الحديث: 3100

[2] رسالة فخر السودان على البيضان، ص 80-81

"والهند أصحاب حكمة ونظر وهم يفوقون الناس في كل حكمة فقولهم في النجوم أصحّ الأقاويل وكتابهم فيه كتاب السند هند الذي منه اشتق كل علم من علوم مما تكلّم فيه اليونانيّون والفرس وغيرهم وقولهم في الطب المقدم"[1].

والمسعودي (346هـ) كان مؤرخاً كبيراً ورحالة. في كتابه التاريخي الشهير "مروج الذهب ومعادن الجواهر" يعترف بعلوّ وتفوّق الهند بالكلمات التالية:

"ذكر جماعة من أهل النظر والبحث الذين وصلوا العناية بتأمل شأن هذا العالم وبدءه أن الهند كانت في قديم الزمان الفرقة التي فيها الصلاح والحكمة"[2].

وقد كتب الكاتب العربي الأندلسي القاضي صاعد الأندلسي (462هـ) تاريخ العلوم والفنون لمعظم أقوام العالم المتحضرة بما فيها الهند وأهاليها فهو يقول:

"فكان الهند عند جميع الأمم على ممرّ الدهور وتقادم الأزمان معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة وأهل الأحكام الراجحة والآراء الفاضلة ---- وإن كانت ألوانهم في أول مراتب السواد فصاروا في ذلك من جملة السودان فقد جنّبهم الله سوء أخلاق السودان ودناءة شيمهم وسفاهة أحلامهم وفضلهم على أمم كثيرة من السُمْر والبيض ---- فلهذا التحقوا بعلم العدد والإحكام بصناعة الهندسة ونالوا الحظ الأوفى والقدح المعلّى من معرفة حركات النجوم وأسرار الفلك وسائر العلوم الرياضية وبعد هذا فإنهم أعلم الناس بصناعة الطب وأبصرهم بقوى الأدوية وطبائع المولدات وخواص الموجودات"[3].

ويقول فلسفي القرن الرابع العربي ومتكلمه ومؤرخه مطهر بن طاهر المقدسي:

"--- فأما آدابهم وأخلاقهم ففيهم الحساب والنجوم والطب واللهو والمعازف والرقص والخفّة والشجاعة والشعبذة وعمل النيرنجات وعلم الحروب ويدّعون صفاء الفكر ونفاذ الوهم والأخذ بالعيون وإظهار التخييلات والرقا والإتيان بالمطر والبرد وحبسه وتحويله من مكان إلى مكان ويدّعون حفظ الصحة ومنع الشيب والزيادة في القوة والذهن ورجوع الموتى إليهم"[4].

---

[1] تاريخ اليعقوبي، 105/1
[2] مروج الذهب ومعادن الجواهر، 148/1
[3] طبقات الأمم، ص 17
[4] البدء والتاريخ، 10/4

ويكتب العلامة آزاد البلغرامي محيلاً إلى "محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر" للشيخ علي الرومي:

"أول موضع وضعت فيه الكتب وانفجرت منه ينابيع الحكمة كان الهند على لسان آدم عليه السلام"[1].

وتحفل بمثل تلك المعلومات المؤلفات والمذكرات والكتب الجغرافيائية التي ألّفها الكتّاب العرب في هذه القرون. إنهم لم يكتفوا بالاعتراف بعلوّ وأسبقية الهند في العلم والفن وذكر مآثرهم العلمية فحسب بل كتبوا عن مدن الهند وبحورها وموانئها وطرقها البرية والبحرية وجبالها وغاباتها وفصولها وظروفها الطبعية والجغرافياوية المتعددة كما ضبطوا شعائر أهاليها وملوكها الدينية وطرق عبادتهم وما يتروج في المعابد وأحوال النسّاك والأولياء. وكذا ذكروا حضارتهم وثقافتهم وأخلاقهم ومجتمعهم وأصولهم السياسية ونظم دولتهم وقوانين محكمتهم وتقاليد زواجهم ومولدهم ومماتهم وقوانينهم للجزاء، ووفّروا المعلومات عن محصولهم وتجارتهم ومعيشتهم وزراعتهم وصناعتهم وحرفتهم ومبانيهم وشوارعهم وربطهم، كما ذكروا حيواناتهم الشهيرة ونبوتهم المفيدة ومعادنهم وزروعهم وأغذيتهم وآدابهم للطعام والشراب وملابسهم وحليّهم ونقودهم وطبقاتهم المختلفة. يبدو من هذا أنهم كانوا مولعين بأرض الهند ومحبّين لأهاليها فكانوا يقدّرون علوم الهنود وفنونهم ولم يكونوا متنفرين من أي شيئ من أديانهم ولغاتهم وثقافتهم وحضارتهم بل قد بلغ فضل هذه البلاد وعلوّها مبلغ القداسة الدينية لدى هؤلاء العرب فتوجد روايات في كتب التفسير "أهبط آدم على جبل بالهند يقال له بوذ --- فنزل آدم معه ريح الجنة --- فمن ثم يأتي بالطيب من ريح آدم[2]" ويروى عن علي أطيب ريحاً أرض الهندهبط بها آدم فعلق شجرها من ريح الجنة"[3].

ولو أن هذه الروايات ضعيفة ولكنها تدل على رأي المسلمين وخيالهم عن عظمة الهند، وجاذبيتها ولطافتها، وبناءً على تلك الروايات أثبت بعض الكتّاب والمؤرخين فضل الهند وعلوّها، فيقول، مثلاً، الجاحظ:

---

[1] سبحة المرجان في آثار هندوستان، 9
[2] المصدر نفسه، ص 29
[3] المصدر نفسه، ص 31

"وآدم عليه السلام إنما هبط من الجنة فصار ببلادهم"[1].

ويفصّله المسعودي تفصيلاً فيقول كما يلي:

"فهبط آدم بالهند على جزيرة سرنديب على جبل الرهون وعليه الورق الذي خضعه فيبس فذرته الرياح في بلاد الهند فيقال والله أعلم أن علة كون الطيب بأرض الهند من ذلك الورق وقيل غير ذلك ولذلك خصّت أرض الهند بالعود والقرنفل والأفاويه والمسك وسائر الطيب"[2].

وبالجملة فقد اعترف المسلمون بعظمة الهند وفضلها وعلوّها وقداستها منذ فجر تاريخها ولذلك فلم يألوا أي جهد في ورودهم فصدورهم من هذا المنهل للعلوم والفنون.

يبتدئ تاريخ مسلمي العرب العلمي بصورة منتظمة منذ عهد الخلفاء العباسيين فقد حوّل ولع العباسيين بالعلم وإشرافهم على الأدب وتقديرهم لأرباب العلم والفن، هذا العصر عصراً زاهراً للعلم والفن فالخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور كان مولعاً بالعلم والفن ومعظّماً لهما فقد شجّع العلماء والفنّانين على نشر العلوم والفنون، وكان راغباً في علوم ولغات الأمم الأخرى رغبة زائدة ولذلك فقد نقل قدر ملموس من التراث اليوناني والفارسي العلمي والأدبي إلى اللغة العربية كما وصلت بعض المؤلفات السنسكريتية إلى بغداد فترجمت إلى العربية وقد ذاع صيت ولع المنصور بالفلسفة والنجوم إلى حدّ أن متفلسفي ومنجمي معظم بلاد العالم بلغوا بغداد كما وصل إلى بلاطه عالم هندي بارع في النجوم والهيئة والرياضيات وقدّم إليه كتاباً شهيراً للسنسكريتية "سدهانتا" فأمر المنصور محمد بن إبراهيم الفزاري بترجمته إلى العربية كما قام محمد بنفسه بتأليف كتاب في الهيئة في ضوء هذا الكتاب الهندي وسمّاه بـ"السند هند".

كان أديب العربية الشهير عبد الله بن المقفع رئيس كتّاب الخليفة المنصور فمما قام ابن المقفع بترجمته من الفارسية إلى العربية من الكتب والرسائل "كليلة

[1] رسالة فخر السودان على البيضان، ص 80-81
[2] مروج الذهب ومعادن الجواهر، 1/60-61

ودمنة" الذي حمله الحكيم برزويه من الهند إلى إيران للملك أنوشيروان كما قام بترجمته من السنسكريتية إلى الفارسية[1].

كان الخليفة العباسي هارون الرشيد على رأس الخلفاء العباسيين فكان عصره أزهر العصور العباسية فقد بلغ فيه الدولة العباسية ذروة الكمال بالنسبة للعلم والحضارة والسياسة وقد تأسس في عصره بيت الحكمة الذي مهّد السبيل إلى نشر العلوم والفنون في العهد العباسي وبجانب خصائص الخليفة الهارون وميزاته فقد لعبت الأسرة البرمكية دوراً بارزاً في تطوير العرب في ذلك العهد فقد تقدّمت هذه الأسرة في عصر الهارون وسيطرت على كافة الشئون الدولية ولو أنها قد بادت على يدي الهارون ذاته، وقد أشرفت هذه الأسرة في عصر تقدّمها على العلم والفن إشرافاً لم يسبق له مثال. إن جودها وحبّها للعلم بلغا بها إلى أنْ وظّفت العلماء والمترجمين على رواتب شهرية هائلة، الذين قاموا بترجمة الكتب العلمية لمختلف اللغات فأثروا مكتبات اللغة العربية. وإن إشراف البرامكة على العلوم والفنون وحبّهم لها هما اللذان سبّبا الترجمة العربية للعديد من الكتب السنسكريتية في الطب والنجوم والهيئة والأدب والأخلاق، إنهم عيّنوا عالماً هندياً مسئولاً كبيراً عن شئون البيمارستان، وكذا أرسل يحيى البرمكي رجلاً من بغداد إلى الهند لكي يبحث عن الأدوية المتواجدة فيها فيأتي بها كما يحصل على المعلومات عن معتقدات وأديان الهنود. إن هذه الأسرة دعت عدداً من علماء الهند وأطبائها فيقول ابن النديم: إن يحيى بن خالد والوزراء البرامكة قد اهتموا في الدولة العربية العباسية بشئون الهند وقضاياها ودعوا أطبائها وحكمائها إلى أبلطتهم[2] فقد اجتمع في بلاط الرشيد عدد من الأطباء الهندوس الذين قد انتقلت بفضلهم علوم طبية إلى اللغة العربية حتى دعي الأطباء من الهند لمداواته فذات مرة أصبح طريح الفراش وعجز كافة أطباء بغداد عن مداواته

---

[1] طبقات الأمم، ص 21 والعبارة هكذا:

"---- كتاب كليلة ودمنة الذي جلبه برزويه الحكيم الفارسي من الهند إلى أنوشيروان بن قباد ابن فيروز ملك الفرس وترجمه له من الهندية إلى الفارسية ثم ترجمه في الإسلام عبد الله بن المقفع من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية ---"، طبقات الأمم، ص 14/1

[2] والعبارة هكذا:

"قال محمد بن إسحق: الذي عني بأمر الهند في دولة العرب، يحيى بن خالد وجماعة البرامكة، واهتمامها بأمر الهند وإحضارها علماء طبها وحكمائها"، الفهرست، ص 484

فآنذاك دعي طبيب هندوسي طار صيته في الآفاق فشفاه الله بمداواته فأثراه بجوائز عديدة كما عيّنه كمترجم في داره للترجمة وفوّض إليه ترجمة الكتب السنسكريتية إلى العربية وكان يحضر بلاط الخليفة الهارون طبيب هندوسي شهير يسمّى "صالحاً" الذي شفي بمداواته ابن عم الخليفة، وكان المريض يعاني من الصرع وكان أشهر أطباء البلاط جبريل بن بختيشوع حكم على موته ولكن جعفر البرمكي أشار على الخليفة مداواة هذا الطبيب الهندوسي فشفاه الله بيديه.

قد سيطر الأعاجم على الشئون الحكومية في العهد العباسي وذلك لأنهم رجّحوا الأعاجم على العرب لكسر قوتهم، وبما أن المامون كانت أمه أعجمية فلما استعلى عرش الحكم ازداد الأعاجم سيطرة. إنه أمر بجمع كتب علوم وفنون العالم في دار الحكمة التي أقامها أبوه الهارون وطوّرها تطويراً، وكان يحبّ العلم حباً جماً كما كان يرغب في الأدب ويكرّم العلماء، وبفضل إشرافه على العلوم والفنون قد تمّ توظيف العديد من المترجمين في دار الحكمة على رواتب فادحة، وقد اشتمل هؤلاء المترجمين من كان ينتمي إلى ديانة المجوس والنصارى واليهود والهندوس وهؤلاء هم الذين أثروا مكتبات اللغة العربية بترجمات اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والسنسكريتية والنبطية واللاطينية.

ومن مآثر الخليفة مامون الرشيد الكبرى مساحة كرة الأرض والقيام بأول مرصد فيما بين المسلمين فالمرصد الذي أعدّه محمد بن موسى الخوارزمي اعتنى فيه بأصول السند هند الهندية بجانب التراث الإيراني واليوناني[1].

وبفضل تقدير الخلفاء العباسيين وإشراف البرامكة وصل العديد من علماء الهند وأطبائها إلى بغداد عاصمة الحكومة العباسية واشتغلوا بفعاليات الحكومة العلمية وقاموا بترجمة الكتب السنسكريتية في الرياضيات والنجوم والهيئة والطب والفلسفة والأدب والأخلاق فأثروا مكتبات اللغة العربية فالعلماء والأطباء الهندوس الذين ضبط الكتّاب العرب أسمائهم نذكر موجزاً عن تراجمهم:

---

[1] طبقات الأمم، ص 21 وكذا جاء فيه:
"وكان في زمان المامون والمعتصم وله ثلاثة أزياج أولها المؤلف على مذهب السند هند خالف فيه الفزاري والخوارزمي في عامة الأعمال واستعماله لحركة إقبال فلك البروج وإدباره على رأي تأون" ص 21

بهلة: غادر الهند لبغداد على دعوة من يحيى بن خالد البرمكي فسأله أبو الأشعث المعمر عن أصول الهند للبلاغة فردّ عليه بأنه يحمل رسالة هندية في هذا الفن ولكنه لا يقدر على ترجمته جيداً بجانب أنه لا يمهر في هذا الفن فهو لا يستطيع ببيان نكاتها وخصائصها ومفاهيمها[1].

منكة: سافر من الهند إلى بغداد على دعوة من يحيى بن خالد البرمكي في عصر هارون الرشيد وانضم إلى حواشي إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي، ولما وصل إلى بغداد تعلّم الفارسية والعربية وتوظّف على ترجمة الكتب في بيمارستان البرامكة. إنه قام بترجمة العديد من الكتب والرسائل من الهندية إلى العربية والفارسية[2] فيقول ابن أبي أصيبعة إن منكة كان حاذقاً في الطب وماهراً في المداواة وسديداً في الرأي ومتفلسفاً وبارعاً في العلوم والفنون الهندية وموثوقاً به ومتضلعاً من اللغات الهندية والفارسية، غادر الهند للعراق في زمن هارون الرشيد ونال القبول في بلاطه كما قام بمداواته وذات مرة حينما لم يشف من مرض شديد بمداواة كافة أطباء بغداد فقام منكة بمداواته فشفاه الله تعالى[3].

ومن أجذب أخبار منكة ما يحكيه صاحب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" فيما يلي:

"فبينما منكة مارّاً في الخلد إذا هو برجل من المائنين قد بسط كساءه وألقى عليه عقاقير كثيرة وقام يصف دواء عنده معجوناً فقال في صفته هذا دواء للحمّى الدائمة وحمّى الغب، وحمّى الربع، ولوجع الظهر والركبتين والخام والبواسير

---

[1] البيان والتبيين، ص 40 والعبارة هكذا:
"قال معمّر أبو الأشعث قلت لبهلة الهندي أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند مثل منكة وبازيكر وقلبرقل وسندباز وفلان وفلان ما البلاغة عن أهل الهند قال بهلة عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك ولم أعالج هذه الصناعة فأثق من نفسي بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها".

[2] البيان والتبيين، ص 40 والعبارة هكذا:
"منكة الهندي، وكان في جملة إسحق بن سليمان بن علي الهاشمي ينقل من اللغة الهندية إلى العربية، ابن دهن الهندي، وكان إليه بيمارستان البرامكة، نقل إلى العربي من اللسان الهندي"، الفهرست، ص 342
"ووُجِدَتْ في بعض الكتب أن منكة الهندي كان في جملة إسحق بن سليمان بن علي الهاشمي وكان ينقل من اللغة الهندية إلى الفارسية والعربية"، طبقات الأطباء، 33/2

[3] الفهرست، ص 378 وطبقات الأطباء، 32/2

والرياح ووجع المفاصل ووجع العينين ولوجع البطن والصداع والشقيقة ولتقطير البول، والفالج والارتعاش ولم يدع علة في البدن إلا ذكر أن ذلك الدواء شفاؤها فقال منكة لترجمانه ما يقول هذا فترجم له ما سمع فتبسّم منكة وقال على كل حال ملك العرب جاهل وذلك أنه إن كان الأمرَ على ما قال هذا فلم حملني من بلدي وقطعني عن أهلي وتكلف الغليظ من مؤنتي وهو يجد هذا نصب عينه وبإزائه وإن كان الأمر ليس كما يقول هذا فلم لا يقتله فإن الشريعة قد أباحت هذا ومن أشبهه لأنه إن قتل ما هي الأنفس تحيا بفنائها أنفس خلق كثير وإن ترك وهذا الجهل قتل في كل يوم نفساً وبالحري أن يقتل اثنين وثلاثة وأربعة في كل يوم وهذا فساد في الدين ووهن في المملكة"[1].

ابن دهن: كان عالماً وطبيباً شهيراً وصل إلى بغداد بفضل تقدير البرامكة إياه فعيّنوه مسئولاً كبيراً لبيمارستانهم وفوّضوا إليه خدمة ترجمة الكتب الهندية إلى العربية، هو الذي قام بترجمة "كتاب الجامع" لأستانكر و"كتاب صفوة النجح" لسندهستان إلى العربية[2].

جودر: كان أفضل علماء الهند في عصره، مهر في الطب وله مؤلفات قيمة في الطب والحكمة والفلسفة. تمت ترجمة بعض مؤلفاته إلى اللغة العربية.

صنجهل: ذكر ابن النديم اسمه فحسب ولكن ابن أبي أصيبعة يقول إنه كان من علماء الهند وحكمائها الذين مهروا في الطب والنجوم.

باكهر وراحه وصكه وداهر وأنكر وجبهر وأندي وجباري وزنكل: قد ذكر ابن النديم اسم باكهر باجهر في موضع آخر ولعل الجاحظ سمّاه بـ"بازيكر" كما ذكر ابن النديم أنكر بـ"أنكو". يقول ابن أبي أصيبعة إن هذه الجماعة من العلماء والأطباء الهندوس جاءت بعد صنجهل وأثروا مؤلفاتهم الرائعة في الطب وغيره من العلوم. إنهم كانوا يعدّون من الكتّاب الأفاضل والأطباء الحذاق والحكماء

---

[1] طبقات الأطباء، 32/2

[2] الفهرست، ص 342 و421 والعبارة هكذا:
"كتاب سسرد، عشر مقالات، أمر يحيى بن خالد بتفسيره لمنكة الهندي في البيمارستان، ويجري مجرى الكناس، كتاب أستانكر الجامع تفسير ابن دهن، كتاب سيرك فسّره عبد الله بن علي من الفارسي إلى العربي ---- كتاب سندستاق، معناه كتاب صفوة النجح تفسير ابن دهن صاحب البيمارستان".

المشهورين، إنهم قاموا بوضع وترتيب أصول وقواعد عن النجوم. اعتنى أهالي الهند كلهم بمؤلفاتهم ونقلوا أفكارهم وأخيلتهم. تمت ترجمة معظم مؤلفاتهم إلى العربية.

سندباد أو سندباز وقلبرقل: يكتب الجاحظ أنهما جاءا بغداد على طلب من يحيى البرمكي[1] وقد ذكر ابن النديم كتابين لسندباز في الحكمة أحدهما صغير والآخر كبير[2].

شاناق: كان طبيباً شهيراً للهند، قد حذق في الطب والمعالجات كما مهر في مختلف العلوم أمثال الحكمة والفلسفة والنجوم والهيئة، كانت له بحوث علمية وفنية قيّمة. إنه نال القبول لدى ملوك وحكام الهند، وآخذاً عن كتابه "منتحل الجواهر" نقل ابن أبي أصيبعة نصائحه وحكمه التي بيّنها لملوك عصره. وهي كما يلي:

"يا أيها الوالي! اتق عثرات الزمان واخش تسلط الأيام ولوعة غلبة الدهر واعلم أن الأعمال جزاء فاتق عواقب الدهر والأيام فإن لها غدرات فكن منها على حذر والأقدار مغيبات منها فاستعد لها والزمان منقلب فاحذر دولته لئيم الكرة فخف سطوته سريع الغرة فلا تأمن دولته واعلم أن من لم يداو نفسه من سقام الآثام في أيام حياته فما أبعده من الشفاء في دار لا دواء لها ومن أذلّ حواسه واستعبدها فيما تقدّم من خير لنفسه أبان فضله وأظهر نبله ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس فإذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلتها صعب عليه ضبط الأعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية في أقاصي البلاد وأطراف المملكة أبعد من الضبط ----"[3].

صالح بن بهلة: هذا أحد أولاد بهلة وأطباء الهند المشهورين والماهرين في طريقة علاجها. جاء العراق في أيام خلافة هارون الرشيد، وبه شفى الله ابن عم

---

[1] البيان والتبيين، ص 40

[2] الفهرست، ص 424 والعبارة هكذا: "ومن كتبهم كتاب سندباز الكبير، كتاب سندباز الصغير".

[3] طبقات الأطباء، 23/2

الخليفة إبراهيم بن صالح الذي كان مريضاً للصرع بينما أعلن طبيب البلاط اليوناني جبريل بن بختيشوع بأنه ميّت تماماً[1].

سسة (سيسة): كان من حكماء الهند القدماء ومفكريها، كانت طريقته في النيرنجات طريقة حكماء الهند القدامى. إنه اختار طريق التوهم في كتابه[2].

نهق (نهگ) وناقل وهابل وطرق وساديرم (ساويرم أو سيتاورمن) وأطر: هذه أسماء أطباء الهند وعلمائها، وقد ترجمت مؤلفاتهم إلى العربية واستفاد منها العرب[3].

سيرك أو شرك (چرك) وتوقشتل (نوكشنل) وسسرد (سشرت) وروسا وبدان أو ندان وروئ وسندستاق (سندهشان) وأستانكر وأبو قبيل: هذه أطباء الهند الحذّاق، سنذكر مآثرهم العلمية فيما هو آتٍ. يقول ابن أبي أصيبعة إن الطبيب الإسلامي الشهير زكريا الرازي قد أحال إلى مؤلفاتهم في كتابه "الحاوي"[4].

بيديا: هذا هو العالم الفلسفي الشهير الذي كتب "كليلة ودمنة" الكتاب الذي نال شهرة دولية.

ولأجل رغبة العرب في العلوم الهندية تمت ترجمة عدد لا يحصى من الكتب والرسائل من اللغة السنسكريتية إلى اللغة العربية كما ألّفت كتب ورسائل عن علوم الهند وفنونها وفيما يلي ذكر موجز لرغبة العرب في الفنون الهندية والمؤلفات فيها:

الرياضيات: علم الحساب والهندسة مما أوجده الهنود فقد تعلّمه العرب على الهنود ذواتهم وقد صرّح الكتّاب العرب أن العرب تعلّموا طريقة الأعداد من الواحد إلى التاسع على الهنود وعلى هذا فهم يسمّونها "الأرقام الهندية" أو

---

[1] المصدر نفسه، 34/2

[2] الفهرست، ص 434 والعبارة هكذا:
"من القدماء ومذاهبه في النيرجات مذهب الهند وله كتاب سلك فيه مسلك أصحاب التوهم".

[3] المصدر نفسه

[4] طبقات الأطباء، 237/2-238

"الحساب الهندي". وقد نقلنا أقوال بعض الكتّاب العرب عنها في بداية هذه المقالة وفيما يلي ننقل ما قاله اليعقوبي:

"--- وضع التسعة الأحرف الهندية التي يخرج منها جميع الحساب الذي لا يدرك معرفتها وهي 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9 فالأول منها واحد وهو عشرة ومائة وهو ألف وهو مائة ألف وهو ألف ألف وهو عشرة آلاف ألف وهو مائة ألف ألف وعلى هذا الحساب أبداً فصاعداً والثاني وهو اثنان وهو عشرون (وهو مائتان وهو ألفان وهو عشرون) ألفاً وهو مائتا ألف وهو ألفا ألف وعلى هذا الحساب يجري التسعة الأحرف فصاعداً غير أن بيت الواحد معروف من العشرة وكذلك بيت العشرة معروف من المائة وكذلك كل بيت وإذا خلا بيت منها يجعل فيه صفر ويكون الصفر دارة صغيرة"[1].

النجوم: قد اعترف بفضل الهنود في النجوم والفلك وقد نقلنا أقوال بعض الكتّاب العرب فيهما وفيما يلي أقوال بعض المؤرخين العرب الأخر:

فيقول ابن فقيه الهمذاني: "وأهل الهند أطباء حكماء منجمون"[2].

ويقول اليعقوبي:

"قال أهل العلم إن أول ملوك الهند الذين اجتمعت عليه كلمتهم البرهمن الملك الذي في زمانه كان البدؤ الأول وهو أول في النجوم وأخذ عنه علمها والكتاب الأول الذي تسمّيه الهند السند هند"[3].

وقد فصّل اليعقوبي وغيره من المؤرخين العرب أصول وأفكار الهنود في الفلك.

فالكتب التي عرفها العرب في الموضوع والتي ذكروها في مؤلفاتهم هي كما يلي:

سند هند: هذا مؤلف هندي قديم في النجوم والهيئة، تم ترتيبه في زمن أول ملك هندي وهو البرهمن[4]، يقول عنه المسعودي:

---

[1] تاريخ اليعقوبي، 93/1
[2] كتاب البلدان، ص 157
[3] تاريخ اليعقوبي، 92/1
[4] المصدر نفسه، 93/1

"ذكر جماعة من أهل النظر والبحث الذين وصلوا العناية بتأمل شأن هذا العالم وبدؤه أن الهند كانت في قديم الزمان الفرقة التي فيها الصلاح والحكمة وأنه لما تجيّلت الأجيال وتحزبت الأحزاب حاولت الهند أن تضم المملكة وتستولي على الحوزة وتكون الرياسة --- ونصبت لها ملكها هو البرهمن الأكبر، الملك الأعظم والإمام فيها المعقدم ظهرت في أيامه الحكمة وتقدّمت العلماء"[1].

عنوانه السنسكريتي "برهمپست سدهانت". ترجمه العرب إلى العربية بعنوان "السند هند" كما قاموا بتلخيصاته العديدة حتى أن كتاب "المجسطي" اليوناني للحكيم بطليموس ملخص هذا الكتاب. تم إعداد تقاويم عديدة منه وقد قيل أن مصدر "مرصد موسى الخوارزي" هو هذا الكتاب كما أعدّ علم الهندسة والحساب بالعون من هذا الكتاب حتى أنّ هذا الكتاب مصدر العديد من علوم وفنون اليونانيين والإيرانيين وعلى هذا فهو يعتبر مهمّاً للغاية. يعتقد الهندوس أنه مصدر كافة أصول العالم وقوانينه[2].

أرجبهر: هذا ملخص "السند هند"، اسمه السنسكريتي "آرية بهت". ترجمه إلى العربية أبو الحسن الأهوازي بعنوان "أرجبهر"[3].

أركند: هذا أيضاً مما تمت ترجمته إلى العربية من السنسكريتية. اسمه السنسكريتي "كهنداكهديك" الذي هو ملخص "أرجبهر" ملخص السند هند[4].

الطب: كان للهنود اليد الطولى في الطب (فيدك) وقد مضى تفصيله وفيما يلي ذكر موجز لأبرز مؤلفات الطب الهندية:

كتاب سشرت: هذا الكتاب يفصّل معالجة وأدوية مختلف الأسقام بجانب ذكر أعراضها وتشخيصها الطبي[5]، أمر يحيى البرمكي منكة بترجمته العربية لكي يثبت قانوناً طبياً لبيمارستان البرامكة[1].

---

[1] مروج الذهب ومعادن الجوهر، 1/148-151

[2] تاريخ اليعقوبي، 1/93-95 والعبارة هكذا:
"فقالوا إن جميع أيام الدنيا من السند هند ---".

[3] المصدر نفسه، ص 94

[4] المصدر نفسه، ص 106

[5] المصدر نفسه، ص 105 والعبارة هكذا:

كتاب شرك (چرك): كان شرك أفضل أطباء الهند. ترجم مؤلفه أولاً إلى الفارسية ومن ثم ترجمه إلى العربية عبد الله بن علي[2].

سندستان: ذكره بعض المؤلفين بـ"سندهشان" بينما الآخر ذكره بـ"سندهتان" و"سندستان" وذكرا معناها "طريق الفلاح"[3]. قام بترجمته إلى العربية ابن دهن مسئول كبير لبيمارستان البرامكة[4].

ندان: إنه يشمل تشخيصات أربعمائة سقم ولا غير[5].

كتاب استانكر: استانگر اسم لطبيب هندي، ترجمه إلى العربية ابن دهن أيضاً[6].

كتاب شاناق: شاناق (چانك) اسم لعالم هندوسي، إنه قام بتأليف كتاب في مداواة البهائم، تمت ترجمته إلى العربية كذلك[7].

وقد ذكر اليعقوبي كتاباً ذكر فيه اختلافات أطباء الهند واليونان بالنسبة لحرارة وبرودة الأدوية وقوتها وتأثيرها[8].

"ولهم فيه الكتاب الذي (يسمّى) سسرد فيه علامات الأدواء ومعرفة علاجها وأدويتها".

[1] الفهريت، ص 421 والعبارة هكذا:
"كتاب سسرد عشر مقالات أمر يحيى بن خالد بتفسيره لمنكة الهندي في البيمارستان".

[2] المصدر نفسه، ص 421 والعبارة هكذا:
"كتاب سيرك فسّره عبد الله بن علي من الفارسي إلى العربي، لأنه أولاً نقل من الهندي إلى الفارسي".

[3] المصدر نفسه، ص 421 وتاريخ اليعقوبي، 105/1 والعبارة هكذا:
"---- كتاب سندستاق، معناه كتاب صفوة النجح ----"، الفهرست، ص 421
"---- وكتاب سندشان وتفسيره صورة النجح"، تاريخ اليعقوبي، ص 105

[4] الفهرست، ص 342 و421

[5] تاريخ اليعقوبي، 105/1 والعبارة هكذا:
"وكتاب نِدان في علامات أربعمائة وأربعة أدواء ومعرفتها بغير علاج".

[6] الفهرست، ص 421 والعبارة هكذا:
"كتاب استانكر الجامع تفسير ابن دهن".

[7] المصدر نفسه، ص 435 والعبارة هكذا:
"كتاب شاناق في التدبير".

[8] تاريخ اليعقوبي، 105/1 والعبارة هكذا:
"---- وكتاب فيما اختلف فيه الهند والروم من الحار والبارد وقوى الأدوية وتفصيل السنة".

وهناك طبيب هندوسي اسمه نوكشنل (نوقشنل) تمت ترجمة كتابين له أحدهما ذكر فيه مائة مرض ودواء بينما الآخر ذكر فيه أوهام وأسباب الأسقام[1].

وكانت امرأة عالمة هندوسية اسمها "روسا" قامت بتأليف كتاب خاصّ بأمراض النساء ترجم إلى العربية كذلك[2]. وكذا ترجم كتاب خاص بمداواة النساء الحوامل الحوامل كما ترجمت مؤلفات ورسائل عن العقاقير والمخدرات[3].

وقد رتّب للراجه كورش كتاب في الطب وصين في مكتبته. إنه يشمل أسباب الأسقام ومداواتها وآيات الأدوية وصور العقاقير، إنه أيضاً تُرْجم إلى العربية[4].

وكذا ألّف عالم يسمّى "روئ" كتاباً عن مختلف أنواع الأفاعي وسمومها، تمت ترجمته إلى العربية[5]. وكذا ذكر ابن أبي أصيبعة كتاباً لطبيب هندوسي آخر في الموضوع[6].

وهكذا ذكر ابن أبي أصيبعة وابن النديم كتاباً غير هذا عن علم السموم[7].

علوم الجفر والرمل والفال: يأتي ذكر العديد من المؤلفات في هذه المواضيع.

---

[1] الفهرست، ص 421 والعبارة هكذا:
"كتاب توقشتل، فيه مائة داء ومائة دواء، ---- وكتاب التوهم في الأمراض والعلل لتوقشتل الهندي".

[2] المصدر نفسه، ص 421 والعبارة هكذا:
"كتاب روسا الهندية في علاجات النساء".

[3] المصدر نفسه، ص 421 والعبارة هكذا:
"كتاب مختصر للهند في العقاقير، كتاب علاجات الحبالى للهند ----، كتاب السكر للهند: كتاب أسماء عقاقير الهند".

[4] تاريخ المسعودي، 162/1 والعبارة هكذا:
"وهو الكتاب المترجم بكتاب السندباد وعمل في خزانة هذا الملك الكتاب الأعظم في معرفة العلل والأدواء والعلاجات وشكّلت الحشائش وصوّرت".

[5] الفهرست، 421 والعبارة هكذا:
"كتاب رأي الهندي في أجناس الحيات وسمومها".

[6] طبقات الأطباء، 33/2 والعبارة هكذا:
"ولشاناق من الكتب كتاب السموم خمس مقالات فسّره من اللسان الهندي إلى اللسان الفارسي منكة الهندي".

[7] تاريخ اليعقوبي، 105/1

كتاب النمودار في الأعمار: هذا الكتاب الذي ألّفه كنكة الهندي في بيان الأعمار[1].

كتاب في أحداث العالم والدور في القران: هذا أيضاً من مؤلفات كنكة[2].

كتاب المواليد: هذا ما ألّفه جودر الهندي[3].

أسرار المسائل: هذا ما صنّفه صنجهل (سنگهل)[4].

كتاب المواليد الكبير: هذا ما ألّفه نهق (نهك) الهندي.

كتاب أسرار المواليد وكتاب القرانات الكبير وكتاب القرانات الصغير: هذه المؤلفات أيضاً في الموضوع المذكور أعلاه.

ومن المؤلفات المكتوبة في علم الجفر كتاب ذكر فيه كيف يدلّ على أحوال المرء عن البصمة والنظر في خطوط اليد[5] وهناك كتاب في الفال الهندي يسمّى "زجر الهند"[6].

الموسيقى: قد كتب الجاحظ عن رغبة الهنود في الموسيقى وقد نقلنا قوله وكذا ذكر القاضي صاعد الأندلسي كتاباً في هذا الموضوع بعنوان "نافر". إنه يشمل مختلف النغمات[7].

البلاغة: مشيراً إلى عالم هندوسي ذكر الجاحظ رسالة في المعاني والبيان كما ذكر ملخصه كما يلي:

"فإذا فيها أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخيّر اللفظ، لا يكلّم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه فضل للتصرف في كل طبقة، ولا يدقّق

---

[1] طبقات الأطباء، 33/2 والفهرست، ص 378 و421 و436
[2] المصدر نفسه
[3] المصدر نفسه
[4] المصدر نفسه
[5] طبقات الأطباء، 33/2
[6] الفهرست، ص 436
[7] طبقات الأمم، ص 12

المعاني كل التدقيق، ولا ينقّح الألفاظ كل التنقيح، ولا يصفّيها كل التصفية، ولا يهذّبها غاية التهذيب"[1].

السياسة ونُظُم الدولة والحرب: قد ترجمت مؤلفات في هذا الموضوع من السنسكريتية إلى العربية وفيما يلي أسماء بعض منها:

كتاب شاناق: ألّف شاناق (چانك) كتاباً جيداً في هذا الموضوع وقد ذكر فيه أنْ كيف يتم نظم الحرب واختيار أيّ الجنود للقتال ضدّ الملوك وأخذ أيّ الأساليب لتربية الفوارس[2]، فالكتاب يتحدث عن تلك الموضوعات.

كتاب باكهر: إنّ هذا الكتاب يبحث عن تمييز السيوف وخصائصها ومعالمها[3].

أدب الممالك: إنه يبحث عن نظم الدولة ولعله كان ترجمة قصص مهابهاراتا. يقول العلامة السيد سليمان الندوي:

"وهناك كتاب فارسي عنوانه "مجمل التواريخ" في تاريخ الهند القديم يوجد في مكتبة باريس. إنه يشتمل معظمه على قصص مهابهاراتا. ترجمه أبو صالح بن شعيب من السنسكريتية إلى العربية ثم نقله أبو الحسن علي من العربية إلى الفارسية في 417هـ"[4].

وكذا ذكر ابن النديم كتاباً في حرب ملك هندي وسباحته[5].

الأخلاق والحكمة: من أبرز مؤلفات هذا الفن كتاب "كليلة ودمنة" ولعل عنوانه السنسكريتي كان "پنج تنترا". كتبه حكيم هندوسي اسمه بيدبا في زمن الملك دبشليم، يقول المسعودي في هذا الملك:

"أول ملوك الهند البرهمن الأعظم ثم حكمها الباهبود ثم ملك زامان ثم ملك بعدُ دبشليم وهو الواضع لكتاب كليلة ودمنة"[6].

---

[1] البيان والتبيين، 40
[2] الفهرست، ص 437
[3] المصدر نفسه
[4] عرب وهند کے تعلقات، ص 158
[5] الفهرست، ص 430
[6] مروج الذهب، 163/1

تمت ترجمته إلى الفارسية قبل مجيئ الإسلام في زمن ملوك إيران الساسنيين ثم قام عبد الله بن المقفع بترجمته إلى العربية خلال حكم ثاني الخلفاء العباسيين أبي جعفر المنصور.

قد ذكر بيدبا في كليلة ودمنة تمثيلات مؤثرة أصبح بها الكتاب كصحيفة سماوية في الأخلاق والحكم والأدب والثقافة والحضارة ويمكن لأصحاب العقل والحجى أنْ يعتبروا بها. نال هذا الكتاب قبولاً بين الناس إلى حدّ ظلّ ينقل من الفارسية إلى العربية وثم من العربية إلى الفارسية كما ظلّ يلبس لباس النظم والنثر مراراً وتكراراً. تقبّل الأمراء والملوك ترجمته فوهبوا جوائز لمن قام بترجمته وأنعموا عليهم، إنه اشتهر إلى حدّ أن ألّفت كتب أخرى على طرازه فيقول المسعودي إنّ سهل بن هارون ألّف كتاباً على طرازه باسم "نقلة وعفرة" للخليفة المامون[1]. وكانت ترجمة ابن المقفع العربية تفقد نظيرها لغة وأدباً وعلى هذا فقد وضع في المقرّرات الدراسية لمنهاج المدارس الإسلامية وقد ذكر ابن النديم العديد من مختاراته وملخصاته[2].

بوذاسف وبلوهر: نال هذا الكتاب أيضاً ذكراً وشهرة في مجال الحكمة والنصيحة. إنه يحوي قصص بوذا وأتباعه وقد قيل عن بوذا أنه ترك الدولة لأجل تأثره من حدث خاص وانعزل في غابة فلما علم عن هذا ناسك من سريلانكا بلغه في لباس التاجر فجرى السؤال والجواب بينهما عن طريق الحكاية والتمثيل في حقيقة الدنيا وماهيتها وأسرارها الخفية وعقدها التي لا تبدو تنحلّ. وهذا الكتاب يشتمل على تلك الأسئلة والردود عليها ومؤثر للغاية بما أنه في أسلوب الحكاية والتمثيل والتلميح.

كان الكتاب باللغة السنسكريتية ثم نقل إلى العربية، وترجمته العربية هي التي أطارت صيته في الآفاق وقد ذكر بعض أبواب هذا الكتاب في كتاب القرن الرابع الهجري في الفلسفة "إخوان الصفاء". وبما أنه ذاع صيته في الآفاق فقد نسبه النصارى والمسلمون إلى كبار رجالهم للدين[3].

---

[1] المصدر نفسه، 163/1

[2] الفهرست، ص 424

[3] عرب وهند کے تعلقات، ص 170-171

وقد ذكر ابن النديم كتاباً لشاناق الهندي في الآداب والأخلاق وقال إنه كان يشتمل على خمسة أبواب[1]. إنه كذلك ذكر كتاباً في الحكمة ألّفه رجل عالم يسمّى "هابل"[2].

المنطق: ذكر ابن النديم كتاباً في المنطق اسمه "حدود المنطق" كما أشار اليعقوبي أنه من مؤلفات طوفا (Tupa)[3].

الكيمياء: ذكر ابن النديم وغيره ترجمات عربية لمؤلفات علماء هنود في هذا الفن[4].

السحر والشعبدة: يرى العرب أن الهنود كانوا معترفاً بهم في السحر والشعبذة وقد ذكرنا آنفاً أن هؤلاء كانوا يدعون بتبديل الحرارة إلى البرودة وتبرئة المرضى عن الأسقام فيقول ابن النديم:

"وللهند اعتقاد في ذلك (السحر) وأفعال عجيبة --- وللهند خاصة علم التوهم. في ذلك كتب قد نقل بعضها إلى العربي. سسه الهندي من القدماء --- ومذهبه في النيرنجات مذهب الهند وله كتاب سلك فيه مسلك أصحاب التوهم"[5].

وقد رجع اليعقوبي فضل هذا العلم إلى الهنود فقد قال عن ملك هندوسي يسمّى "كيهن" معاصر للإسكندر إنه أوّل من قدّم نظرية التوهم وقال إن الشيئ الذي يتوهمه المرء يميل إلى ذاك الشيئ. ولذلك فإن توهّم في شيئ أنه ينفع فهو لينفعنْ وفي شيئ أنه يضرّ ليضرّنْ فهو نفسه كان يأكل السمّ ولكنه كان يتوهّم أن قلبه تغمره الثلوج فلا يؤثر فيه السمّ ما لا تزول رطوبة قلبه[6].

القصص: كان الهنود مولعين بالقصص والحكايات فقد ألّفوا كتباً لا تحصى في هذا المجال كما ترجمت بعض مؤلفات القصص إلى العربية فقد ذكر معظم المؤرخين كتاب العالم الهندوسي السندباد، إنه كذلك ينسب إلى علماء إيران

---

[1] الفهرست، ص 439
[2] المصدر نفسه، ص 424
[3] المصدر نفسه
[4] تاريخ اليعقوبي، 106/1
[5] الفهرست، ص 430-434
[6] تاريخ اليعقوبي، 97/1

ولكن ابن النديم قام بالرد على هذه الدعوى[1] فيقول المسعودي إنّ الملك الهندوسي كوش والسندباد كانا معاصرين وقد جاء في هذا الكتاب قصة سبعة وزراء ومعلّم وولد وملكة وتمت ترجمته بعنوان "السندباد"[2].

وهناك كتاب قصصي آخر يسمّى "دييك هندي". جاء فيه قصة رجل وامرأة كما ذكرت في كتاب آخر قصة نزول آدم إلى الأرض، وهناك كتاب قصصي آخر يذكر قصة مناظرة رجلين أحدهما كان بخيلاً بينما الآخر كان جواداً. وكذا ذكر الحكم الذي أدلى به الملك بعد استماعه لدلائل وبراهين الخصمين[3].

لم يكن المسلمون العرب مولعين بترجمة المؤلفات السنسكريتية فحسب بل كانوا واقفين خير معرفة على اللغة السنسكريتية والعلوم الهندية فيقول المسعودي عن ملك هندوسي لكهمباوت "إنه كان مولعاً بالمناظرة فكان يعقد مجلس المناظرة عندما زار دولته رجل مسلم أو متبع دين غير دينه"[4].

فالبديهي أن المناظرة كان يعقد باللغة المحلية فلا بد لمن يحضره أن يقف على لغة التحدث. والآن نذكر رجالاً بارزين تميزوا بتضلعهم من اللغة السنسكريتية ومعرفتهم للعلوم الهندية أو سبقوا غيرهم وتقدموا على الآخرين في رغبتهم في تاريخ الهند ولكن أخبارهم لم تصل إلينا مفصلة أو لم ينالوا من الشهرة ما كانوا جديرين بها عن هذه الجهة.

أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي: منزلة الواقدي أقل من غيره من المحدثين في رواية الأحاديث ولكنه عالم شهير للتاريخ والسير والمغازي، ولد في 130ه بالمدينة المنورة ثم ارتحل إلى بغداد لأجل البؤس والفقر فرحّب به يحيى البرمكي وزير الخليفة هارون الرشيد وكذا أكرمه الهارون وجعله قاضياً، المنصب الذي استعلى عليه حتى في عصر المامون. توفي في 207ه.

نال مؤلفه صيتاً ذائعاً في المغازي، وكذلك ألّف الواقدي كتباً في فتوح البلدان العديدة بما فيها كتابه "فتوح العراق" كما ذكر القاضي رشيد بن الزبير (كان

---

[1] الفهرست، ص 424
[2] مروج الدهب، 162/1
[3] الفهرست، ص 425-429
[4] مروج الذهب ومعادن الجوهر، 289/1

حياً في 462هـ) كتابه "أخبار فتوح بلد السند" وذكر بالإحالة إليه فتح قيقان على يدي عبد الله بن سوّار العبدي عامل أمير المؤمنين معاوية للسند وإرسال حاكمه الهندوسي السالف الهدايا الثمينة إليه[1].

ولكن لم يذكر هذا الكتاب عامة المؤرخين الذين قاموا بكتابة ترجمته فيمكن أن يحوي كتابه "فتوح العراق" باباً في فتوح السند مثلما نجده في كتاب البلاذري "فتوح البلدان" (أي باب فتوح السند).

وعلى كل حال ولو كان "أخبار فتوح بلد السند" كتاباً مستقلاً بذاته أو باباً من أبواب كتاب في التاريخ ولكنه يبدو من هذا أن الواقدي أول مؤرخ رغب في تاريخ الهند الإسلامي.

أبو الحسن علي بن محمد المدائني: ومن رغب بعد الواقدي من المؤرخين العرب في تاريخ الهند وفتوحه بصورة منظمة هو المدائني الذي كان ماهراً في الأنساب والطبقات وعالماً كبيراً للفتوح والمغازي وراوياً موثوقاً به للأخبار والأيام. يقول ابن النديم إن المدائني كان أعلم من غيره من المؤرخين بخراسان والهند وفارس[2].

وقد ذكر ابن النديم مؤلفاته عن تاريخ الهند وهي "كتاب ثغر الهند" و"كتاب عمّال الهند" و"كتاب فتح مكران"[3].

كان المدائني مولى عبد الرحمن بن سمرة، سافر بعض أجداده مع عبد الرحمن من كابل أو السند إلى البصرة، وكان عبد الرحمن بن سمرة قد عقد الصلح مع حاكم زرنج (أفغانستان) على ألفي عبد حين غزوته لكابل في 133هـ[4] فمن الممكن أن هؤلاء العبدة قد شملها بعض الهنود بمن فيهم بعض أجداد المدائني.

---

[1] كتاب الذخائر والتحف، ص 166
[2] الفهرست، ص 137
[3] المصدر نفسه، ص 150
[4] فتوح البلدان، ص 384

ففي ذاك الزمن كان الموالي يسكنون مع أربابهم في جوارهم فكانت عشيرة المدائني تسكن سكة ابن سمرة في البصرة وبها ولد المدائني في 135هـ وبها نشأ وترعرع[1].

وفي ذاك العصر كانت البصرة مركزاً كبيراً للعلم والسياسية وكانت الهند تحت سيطرتها كعامة بلاد العجم فكان يسكنها الزط والميد والسيابجة من الهند كما سكنها الأساورة من فارس وعلى هذا ولأجل نسبته إلى الهند فأراد المدائني أن يؤلّف كتباً عن الهند وتاريخها.

قضى المدائني معظم أيام حياته بالبصرة ثم سافر إلى مدائن وفي النهاية ارتحل إلى بغداد فتوفي بها[2]. وفي بغداد صاحب عالماً كبيراً وهو إسحاق بن إبراهيم الموصلي فعقد المدائني معه أواصر الود والاحترام من حيث تلفظ نفسه الأخيرة بها[3].

ولأجل طول باع المدائني في العلوم فقد التفت إليه الخليفة المامون الذي كان يتبادل معه الآراء في العلم والسياسة[4] فالمدائني أول مؤرخ فاق معاصريه في تاريخ الهند وأخبارها ولكن معظم مؤلفاته عن الهند قد ضاعت كما حدث مع مؤلفاته الأخرى وإلا فلم نحرم التاريخ القديم للهند وبلادها. نجد ذكر كتاباته ومؤلفاته في كتب ورسائل المتأخرين من المؤرخين فقد نقل الطبري في فتوحات خراسان والعراق والبلاذري في أنساب الأشراف وفتوح البلدان وابن فقيه الهمداني في كتاب البلدان، نقلوا أخباراً وروايات عن الهند وبلادها المختلفة وكذا ذكرت روايات المدائني في "چچ نامه" الذي هو كتاب فارسي شهير في فتوح السند.

وفي النهاية نذكر تراجم أبرز المؤرخين والعلماء الذين تضلعوا من اللغة السنسكريتية ومن يرأسهم في هذا الشأن العلامة البيروني الذي كتب ما كتب من مؤلفات عديدة عن الهند القديمة وأخبارها وما يتعلق بها:

---

[1] الفهرست، ص 134 وتاريخ بغداد، 55/12

[2] تاريخ بغداد، 54/12-55

[3] الفهرست، ص 446

[4] معجم الأدباء، 311/5

أبو ريحان البيروني: ولد أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني في 973هـ بخوارزم التي كانت تسمّى بـ"خيوا" في ذاك الزمان. إنه كان عالماً فاضلاً شهيراً من بين علماء القرون الوسطى. وكانت له اليد الطولى في الرياضيات والهيئة والنجوم والطب والفلسفة والتاريخ وعلم الأقوام والجغرافيا وخرائط العالم. إنه أول رجل خارجي تعلّم السنسكريتية وعرف علومها وفنونها حتى نال فيها شهرة دولية. كان البيروني متضلعاً من اللغات الفارسية والتورانية والتركية والعربية واليونانية ولغات الهند. مهر في الفنون الهندية أمثال الرياضيات والطب والهيئة كما مهر في العلوم اليونانية والبازنطينية والشامية. في البداية شدا من علوم الهند عن طريق العربية ولكنه فيما بعد سافر إلى الهند ووقف على لغاتها فعلومها وفنونها. أقام البيروني في الهند لمدة طويلة حتى تعرّف على ثقافة الهندوس وحضارتهم وعلوم السنسكريتية كذلك. ويقول البروفيسور الأسبق لجامعة كولكاتا سنيتي كومار تشترجي (Sneti Kumar Chatarjee): إنه يجدر حتى الآن أنْ يعتبر في طليعة الواقفين على العلوم والفنون الهندية".

وبما أن الهندوس كانوا بخلاء في إعطاء كتبهم الدينية لغيرهم من الناس ولذلك فقد واجه البيروني صعوبات في التعرف على علوم الهندوس وأديانهم وهو يقول بنفسه إنه قد أجبر على أن يحفظ العديد من البرانات ومن ثم استطاع أن ينقل كتب السنسكريتية العديدة إلى العربية وبالعكس.

لم يكن البيروني عالماً واسع الاطلاع ومحققاً دقيق النظر فحسب بل كان متواضعاً لأتباع الأديان الأخرى وغير متعصب لدينه فهو كان يوافق أفكار حكماء الهند على كونه مؤمناً حقاً وكان يقدّر بعض إنتاجاتهم وإبداعاتهم العلمية برحابة صدره، إنه كان معترفاً بأنْ قد برز من بين الهندوس أفاضل الفلاسفة والمهرة في الرياضيات والهيئة. إنه لم يحاول أن يثبت أن الإسلام أفضل من الديانة الهندوسية بل كان يتنفر من المناظرات الدينية بالنسبة للمناقشات العلمية إلا أنّ حبّه للحق قد جرّه إلى أنْ يخالف بعض أفكار الهنود ويظهر عدم قناعته بها ولكن هذا الاختلاف ليس إلا من نوع الاختلاف العلمي الموضوعي.

من أبرز مؤلفات البيروني "عجائب الهند" ولو أنه قام بتأليف غيره من العديد من المؤلفات، أما مؤلفاته عن الهند فهي موزعة في ثلاث زمر:

(1) ترجماته من العربية إلى السنسكريتية (2) وترجماته من السنسكريتية إلى العربية (3) وتحقيق علوم الهند وقضاياها.

هذا من مآثره الجليلة أنه أعلم العرب والإيرانيين بعلوم الهندوس كما أخبر الهندوس عن علوم العرب والإيرانيين وقام بترجمة الكتب السنسكريتية لمن لا يعرف إلا العربية كما ترجم الكتب العربية لمن لا يعرف إلا السنسكريتية. إنه أول رجل أخبر المسلمين عن البرانات بعد دراستها مباشرة وذكر مقتبساتها في غير موضع من كتابه "كتاب الهند"، لم يكن العرب واقفين حتى على اسم البرانات قبل هذا العالم المنطلق الفكر، وكذا تأثر ببهاغوات غيتا وهو أول من نشر أفكاره فيما بين المسلمين وكذا نقل ما احتيج إليه من أخبار وعلوم رامايانا ومهابهاراتا ودهرم شاسترا لمنو، إنّ له منّة كبرى على الهندوس أنه نشر قديم حضارتهم وثقافتهم وعلومهم وأفكارهم في العالم وهكذا فأحياها للناس إلى يوم القيامة.

محمد بن إسماعيل التنوخي: إنه زار الهند قبل البيروني وكان عالماً بارعاً للنجوم والهيئة. ولما رجع من الهند حمل معلوماتها النادرة. إنه يتعلق بالقرن التاسع الهجري ولكننا لم نقف على أخباره الشخصية.

أبو محشر الفلكي: إنه أيضاً كان منجماً وفلكياً شهيراً للقرن التاسع الهجري. ولتعلم الهيئة والنجوم والسنسكريتية أقام بفارانسي مركز الهندوس الديني الشهير لمدة عشرة أعوام. لم نقف على أخباره الشخصية كذلك. بعد ذكر سذاجة الهندوس وحكمتهم ومهارتهم في العلوم وحكمة ملوكهم ورغبتهم في العلوم وحبّهم للعدل وإشرافهم على شعوبهم يقول: إن بلادهم بعيدة من بلادنا ولذلك فلا يصل إلينا إلا القليل من علومهم فلا نكاد نتعرف على علمائهم وفضلائهم. وهناك في الهند ثلاثة مكاتب للفكر في علم النجوم: (1) سدهانت (2) وأرجبهر (3) وأركند. ولكني لم استطع إلا نيل علم السدهانت وعلى هذا بنى المسلمون علم مراصدهم.

ورغبة العرب والمسلمين في علوم الهند وعلوم غيرها من البلاد قد صانت هذه العلوم عن ضياعها وقد صدق العلامة شبلي النعماني حيث قال:

"في العهود المتوسطة نقل المسلمون التراث العلمي لكافة أقوام العالم إلى لغاتهم ولو لم يبرز المسلمون في العالم لضاع اليوم كل التراث العلمي ليونان ومصر والهند وفارس".

ولما دخلت قافلة الإسلام المباركة بلاد الهند بورك بقدومها المبارك حيث نزلت هي وأقامت وتحوّل الوادي الغير ذي زرع إلى زروع وحدائق خضراء.

ترجمة من الأردوية: د. أورنك زيب الأعظمي

فهرس المصادر والمراجع

1. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجواهر، المطبعة الأميرية، باريس، سنة الطبع لم تذكر
2. أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري: فتوح البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1866م
3. أبو العباس موفق الدين المعروف بـ"ابن أبي أصيبعة": عيون الأنباء في طبقات الأطباء، اسم المطبع لم يذكر، مصر، 1881م
4. أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق النديم: الفهرست، المطبعة الرحمانية، مصر، 1929م
5. أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الحافظ: تاريخ بغداد، مطبعة سعادة، مصر، 1931م
6. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الهمداني المعروف بـ"ابن فقيه": كتاب البلدان، مكتبة الجغرافياء، 1885م
7. أبو عثمان عمرو بن الجاحظ بن بحر بن محبوب الكتاني البصري: البيان والتبيين، المطبعة العلمية، مصر، سنة الطبع لم تذكر
8. أبو عثمان عمرو بن الجاحظ بن بحر بن محبوب الكتاني البصري: رسالة فخر السودان على البيضان، لم يذكر الكاتب تفاصيل الطبع لهذا الكتاب.

9. أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف بـ"اليعقوبي": تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل، ليدن، 1883م

10. الرشيد بن الزبير، القاضي: كتاب الذخائر والتحف، اسم المطبع لم يذكر، الكويت، 1959م

11. السيد سليمان، الندوي: عرب وهند کے تعلقات (العلاقات بين العرب والهند، بالأردوية)، مطبعة معارف، دار المصنفين أكادمية شبلي، أعظم كره، الهند، 2010م

12. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي: معجم الأدباء، المطبعة الهندية، مصر، 1290ھ

13. صاعد بن أحمد الأندلسي، القاضي: طبقات الأمم، المطبعة الكيثوليكية، بيروت، 1912م

14. غلام علي آزاد، البلغرامي: سبحة المرجان في آثار هندوستان، معهد الدراسات الإسلامية، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره، الهند، الطبعة الأولى، 1976م

15. مطهر بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، مطبعة باريس، 1899م

التأثير الصوفي في شعر إقبال ومواقف المترجمين العرب من ترجمته العربية

- جاويد أحمد پال

مدخل:

يعتبر محمد إقبال من أكبر شعراء الشرق في العصر الحديث، فقد نقل شعره إلى شتى اللغات بما فيها اللغة العربية. وكلامه هذا يتسم باللهو ببعض التقاليد الفارسية لاسيما تلك التي لها بذور عميقة في التصوف الفارسي، والتي واجه المترجمون العرب صعوبة في نقلها إلى العربية، فخابوا في ترجمتها وفق معطيات الأصل، لاجئين إلى التصرف والتحريف، وزدْ على ذلك قناعات بعض المترجمين الخاصة تجاه الطابع الصوفي على شعره، فحينَ تناولها صاوي شعلان وحسين مجيب بالتصريف لكي تصلح للنفسية العربية والإسلامية، حذف عبد الوهاب عزام بعض الأجزاء التي خشي أن تسبّب سوء الظن بالشاعر أو الخلاف في المجتمع أو التي لم تنفعل بها عاطفته. فبالرغم من الجهود المضنية التي بذلها هؤلاء المترجمون، لم تنقل بعض الملامح لهذا الشعر إلى العربية كما ينبغي.

التصوف بين الشعر العربي والشعر الفارسي:

التصوف ظاهرة معروفة في كلّ الحضارات والأديان، قد أخذ أشكالاً مختلفة وفق الثقافات والظروف المتباينة التي نشأ فيها، وذلك بسبب الاختلاف في طبيعة هذه الثقافات والظروف، ولكن العقيدة المشتركة في جميع هذه الأشكال المختلفة هي إمكانية الاتصال المباشر مع الحقيقة المطلقة أو مع ما هو المقدس بالتجربة الداخلية، فبادئ ذي بدء لم يمنح الإسلام فرصاً كثيرة لاتجاهات الزهد أن تنتظم في فلسفة مستقلة للتصوف، وذلك لكونه ديناً يشمل رسالة إلهية للفرد والجماعة معاً، ولاتجاهه نحو الداخل والخارج في الوقت نفسه، وفضلاً عن أن البيئة العربية التي حلّ فيها الإسلام لم تكن تسمح لأحد بالفرار من واقع الحياة.

ولما دخلت الشعوب الأخرى في حظيرة دين الإسلام الحنيف؛ وتغيّرت الأوضاع السياسية والاجتماعية؛ وامتزجت الثقافات المختلفة بعضها ببعض، انتظم التصوف في شكل الحركة الدينية والثقافية في هذا المحيط الاجتماعي المخلوط. وانعكست هذه التغيرات على الأدب- والأدب مرآة الحياة- ووجد التصوف فن الشعر خير وسيلة له للتعبير عن نفسه، إذ أن أداة الإدراك عند الصوفي هي نفس أداة الإدراك عند الشاعر ، و كلاهما يسقيان من ينبوع واحد، فيشبه الشاعر الصوفي في التجربة الجمالية، يقول محمد منصور: "هذه الرؤية أو التجربة الجمالية التي يمرّ بها الفنّان تشبه تجربة أو رؤية الصوفي، وإن اتجه الشاعر نحو الكلام ضرورة ومال الصوفي إلى السكوت في كثير من الأحيان، فيتشابه الشاعر مع الصوفي في الوسيلة ويتحد معه في الهدف، فكلاهما لا يعول على المنطق، و يضع العقل بعد القلب في الترتيب، وكلاهما يهدف إلى تكوين رؤية للعالم"[1]. ولكن الشعر العربي لم يفسح للتصوف مجالاً قدر ما فسح له الشعر الفارسي، والشعر العربي ما زال أقرب إلى الواقع في أغلب أشكاله مقارنة بالشعر الفارسي الذي اتسع لما وراء الواقع أكثر منه، بالإضافة إلى ذلك، كان المتصوفون الكبار ينتمون إلى بلاد الأعاجم، وأنهم أثّروا اللغة الفارسية بأعمالهم الشعرية وأثرَوها، وأما الذين كتبوا بالعربية حول تجاربهم الصوفية سواء أ كانوا العرب أم غير العرب أمثال محيي الدين بن العربي، وأبي حامد الغزالي، وحسين بن منصور الحلّاج وشهاب الدين السهروردي وغيرهم فكانت جلّ إنتاجاتهم في النثر العربي العلمي. وأما ما أوثر عن ذي النون المصري، ورابعة البصرية وسري القطي وغيرهم من الشعر الصوفي فقليل نادر أو بسيط جداً. كان شعرهم يمتاز بالعاطفة الصادقة الساذجة ولكنه يفقد روعة الفن أحياناً كما يفقد رمزية الشعر الصوفي، وأما ديوان 'ترجمان الأشواق' لابن العربي فلا تبدو منظومة صوفية إلا بتفسير المؤلف وتأويله له في 'ذخائر الأعلاق'، تقول أنيماري شيمل عن شعره: "يكاد أحدٌ يتذوق، دون أن يشعر، وصف ابن العربي للسفر عبر الصحراء ووصفه للنساء الحسناوات في الهوادج ولمظاهر الحيوانات والطبيعة كما يتذوق الشعر

[1] الشعر والتصوف (الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر)، ص 25

عن موضوع الحبّ الإباحي، ولكن تفسيره يجعل هذه الرؤية مستحيلاً"[1]. ولم يستحسن الدكتور شوقي ضيف شرح عبد الغني النابلسي لديوان ابن الفارض الصوفي الشهير الذي يوجد عليه طابع التصوف أكثر وضوحاً من غيره من الشعراء العرب، يقول شوقي ضيف: "ومن الحق أن شعر ابن الفارض شعر صوفي نظمه في الحبّ الإلهي، ولكن من الحق أيضاً أنه ينبغي ألّا نذهب بعيداً في تأويله، وأن نقف به عندما أراد له صاحبه من تصوير لوجده الرباني وعشقه الإلهي وأحواله فيه ومقاماته وما ابتغاه من السموّ بروحه إلى الاتصال بالكائن الأعلى، وقد اتخذ وسيلة إلى هذا التصوير الغزل بالذات الإلهية غزلاً ظامئاً لا يروى صاحبه أبداً،.... ولكن ينبغي ألّا نبالغ فيه مبالغة عبد الغني النابلسي وأمثاله ممن يتسع في تأويل أشعار ابن الفارض، صارفين ألفاظه عن دلالاتها التي وضعت لها إلى معانٍ لا تصحبها أي قرينة على استخدام الألفاظ فيها حتى لتكاد تنعدم الصلة بين معانيها الجديدة ودلالتها اللغوية الصحيحة."[2] ودلالة الألفاظ في الشعر الصوفي العربي أقرب إلى الحبّ الإنساني المادي، لأن روح التصوف غير منتظمة وغير صريحة في الشعر العربي بالمقارنة مع الشعر الصوفي للغة الفارسية وربما خائفة أيضاً من ردود الفعل العنيفة المتوقعة، والتعبير الواضح عن روح التصوف في الشعر العربي ما زال يحتاج إلى التسامح الواسع حتى يظهر بقوة وانتظام، وناهيك مثال الملحمة الفارسية لجلال الدين الرومي التي تحتوي على جلّ محتويات رسالة التصوف بانتظام ووضوح، ولا يوجد في العربية ما يقابله، وإذًا فتغلغلت مؤثرات التصوف في الشعر الفارسي بأكمله وكانت نظرية وحدة الوجود من أهم هذه المؤثرات ولكنها لم تؤثر في الشعر العربي إلا متأخراً، يقول عاطف جودة: "كان مذهب وحدة الوجود من أهم المعاني الذي دار حولها هؤلاء الشعراء الفرس و لكن عبقريتهم استطاعت أن تقدم معاني وحدة الوجود والحب الإلهي بطريقة رمزية رائعة ... وأن ارتباط هؤلاء الشعراء بالمذهب في فارس وميلهم إلى التأويل الباطني الرمزي قد جعلاهم يعبرون بحرية أكثر، فبيئتهم سمحت لهم بحرية التعبير بينما كان ابن العربي - وغيره – مهدداً باتهامات خطيرة لو اتبع أسلوب التعبير الواضح في شرح أفكاره. أما هؤلاء الشعراء

[1] Mystical Poetry in Islam، ص 40
[2] فصول في الشعر ونقده، 3/209-210

الفرس فلم يكن هناك هذا التهديد وقد اتخذوا الشعر وسيلة تعبير كما ورثوا تراثاً يمضي على نفس الدرب في الأدب الفارسي»[1]. وهذا الفارق الكبير بين الشعرين قاد نيكلسون أن يستنتج: "كان التصوف أكثر تلائماً للفرس من العرب، وأثره على الأدب العربي لا يقارن بأثره المرموق الذي أثبته على الذهن الفارسي من القرن الحادي عشر الميلادي إلى اليوم، وباستثناء عدد ضئيل، جميع شعراء الفرس العظام (يمكننا أن نضيف شعراء تركيا) يتكلّمون بلغة المجاز ويستخدمون الصور الرائعة وتقدّم رباعيات الصوفي الوجودي أبي سعيد بن أبي الخير النموذج الأدبي الأول لها. وليس لدى العرب حتى شاعر صوفي واحد يستطيع الوقوف مع الشعراء الفرس وهو شرف الدين عمر بن الفارض (ولد 1181م)."[2] لا شك أنّ 'اليوم' الذي ذكره نيكلسون قد مضى معه، وشاهدنا بعد ذلك جيلاً جديداً للشعراء المعاصرين العرب الذين عاشوا بعد الحرب العالمية الثانية واستخدموا تراث التصوف للتعبير عن تجربتهم الشعرية، فاستغل شعراء الحداثة كأدونيس، وصلاح عبد الصبور، وعبدالوهاب البياتي وغيرهم رموز الشعر الصوفي، ورأوا فيه ملجئاً آمناً للهروب من ضوضاء عصرهم وفوضاه. ومع ذلك "فلم يمارس الشاعر العربي المعاصر التصوف العملي، أو كفلسفة، يتوحد فيها المتصوف مع المطلق، ويتصل به اتصالاً مباشراً، يتسم بالصفاء"[3]. فنتيجة لذلك لم ينجح هذا الاتجاه تماماً في سدّ الفجوة التي لم تزل توجد بين الشعر العربي والفارسي. فتأثير التصوف في الشعر الفارسي ما زال أكثر تعمقاً من الشعر العربي، فقدخلق التصوف جواً مختلفاً للشعر الفارسي طوال السنين والشعر الأردي تبعه في كل ذلك، (لأن اللغة الفارسية دعامة عظيمة للّغة الأردية). فقد كان الشعر الفارسي مجرداً من الروح والعاطفة قبل شموله عنصر التصوف[4]، فمنحه التصوف الروح، والتصوف "مهما انتقده الناقدون –بحق وبغير حق – معروف بإثارة الحب، وتغذيته وتنميته، ويصحّ أن يقال: إن أساسه الحب والعاطفة الذي رافق الشعر الإيراني والأدب الإيراني في أكثر مراحل حياته، وساهم في توسيعهما

[1] الشعر والتصوف (الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر)، ص 31
[2] The History of Arabic of Arabic Literature، ص 394
[3] الشعر والتصوف (الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر)، ص 9
[4] أنظر للتفضيل: شعر العجم، 120/5

وتقويتهما"[1] ولعب التصوف أيضاً دوراً في تطهير وتوسيع دلالات المفردات التي كانت تستعمل للهو والمجون، فألبس التصوف إيحاءات جديدة للمفردات التي كانت تدل على هذا اللهو والمجون أمثال الساقي، وبائع الخمر، وكل ما يتعلق بالخمر مثلاً الكأس والحانة والزجاج والسكر والثمل والصحو والمطرب والطرب وغيرها – هذا ما لا يتيح للشعر العربي بشكل عام، ودخلت الفلسفة وعلم الأخلاق في الشعر عن طريق التصوف، وتوسع الشعر الفارسي أيضاً للمصطلحات الجديدة والتلميحات المتنوعة[2]، وتتراود فيه المفردات والتراكيب الفلسفية كوحدة، وكثرة، وكل، وجز، وفنا، وبقا، وعقل، وعشق، ومطلق، ومقيد، وبيخودي، وهستي، ونيستي، وغيب، وشاهد، ووجود، والمجازات كسراب، وخواب، وعدم، ودير، وبتخانه، وتماشه، وخيال، وجام، ومے، وموج، وبحر، وآيينہ، وشعلہ، ونے وغيرها كما توسع للمفاهيم والرموز الصوفية التي لا يتناولها الشعر العربي عامة. وهذه المؤثرات المميزة في الشعر الفارسي والشعر العربي، حدّدت بنية شعر إقبال وبنية الترجمة العربية له، فشعر إقبال ينهل من المنهل الفارسي الثقافي واللغوي، بينما تحدّد البيئة العربية وثقافتها وقوف العرب على هذا الشعر في عملية الترجمة، ونقسّم شعر إقبال الذي يتسم بطابع التصوف إلى فرعين، الأول: يوجد فيه التأثير الصوفي، ولكن لم يشعر المترجمون بصعوبة في نقله إلى اللغة العربية، وهو أكثر عدداً وكمية، والثاني: الشعر الذي لم يتمكن للمترجمين أن يجاروا الشاعر فيها فاحتاجوا إلى الانحراف من الأصل لأجل الثقافية المختلفة، ونورد هنا الشعر من هذا القبيل فقط.

التصوف عند إقبال:

وقبل الخوض في الموضوع المباشر نتوقف قليلاً عند القضية المهمة التي ما زالت تناقش في الأوساط النقدية، وهي موقف إقبال من التصوف، يصنّفه بعض النقاد مؤيداً للتصوف بينما يعارضه البعض الآخر، ولا شك أن إقبال كان مؤيداً ومعارضاً معاً للتصوف، ويعبّر الدكتور حسن حنفي عن احتجاجه على موقف إقبال المشتبه حسب تعبيره بقوله: "وإقبال ضد التصوف ومع

[1] الطريق إلى المدينة، ص 99
[2] ينظر للتفصيل: شعر العجم، 5/134-137

التصوف، ضد تصوف الفناء ومع تصوف البقاء، ضد تصوف العبادات ومع تصوف المعاملات، ضد تصوف الآخرة ومع تصوف الدنيا. فإذا تخلى العرب والعجم عن الرسالة فيبقى الصوفية الأقدر على حملها. كل مصطلحاته من الصوفية، المقامات والأحوال والعشق والمحبة والقلب والنفس والوجود والفناء والبقاء والرضا ... إلخ"[1]. والحقيقة أن شعر إقبال يستدعي الدراسة المستوعبة والعميقة لفهم المواقف المختلفة للشاعر. ومما لا شك فيه أنه استغل الشعر الصوفي الفارسي شكلاً ومضموناً لعرض أفكاره، إلا أنه انتقى منه بالدقة ما كان ملائماً لطبيعة رسالته، يقول الدكتور سيد عبد الله: "انتخب إقبال بعض الجوانب من فكر المتصوفين ومزجها مع أفكاره ليصنع دستوراً للعمل لأجل التوجيه الاجتماعي، لا ينكر أحدٌ من فائدته التطبيقية"[2]. وصرح إقبال نفسه في بعض رسائله أن جلّ أفكاره مقتبسة من أفكار الصوفية المسلمين فإقبال يستخدم رمز الخمر والمعراج والقطرة والبحر وغيرها على منوال الصوفية، وأثرُ الشعر الصوفي واضحٌ فيه حتى في فلسفة الذات. حسب تعبير إقبال، 'الذات لا تكتمل حتى تتوسع إلى درجة تتيه فيها الآفاق وتخرج من قيود الزمان والمكان'- لما طالت المشاجرات حول انتقاد إقبال لحافظ الشيرازي والتصوف بعد نشر "أسرار خودي"، كتب أكبر الإله آبادي الشاعر الأردي الشهير بأسلوبه الفكه في إحدى رسائله: حضرت اقبال ہی خودی کو بڑھا کر "ہمہ منم" کــہ دیں تو مطلب حاصل ہے[3] (إنْ يوسّع إقبال مفهوم الذات فيجعلها "أنا الكل" فالغرض موفي به) فربما أصاب الشاعر أكبر لأن مجمل ما دعا إليه إقبال بفلسفة الذات هو أن لا يُفني الإنسان قطرة ذاته في البحر المحيط، ولكن عليه أن يجذب البحر إليه ليوسّع قطرته حتى يحوّلها إلى بحر متباين من المحيط اللامتناهي. وبالجملة فلا يمكن لأحد أن ينكر أثر التصوف في شعر إقبال.

بعض ملامح التصوف في شعره ومواقف المترجمين:

فمن الميزات المتأثرة بالتصوف لشعر إقبال ميزة الحب الإلهي مع جرأة الشاعر في تخاطبه لله – سبحانه وتعالى – اعتماداً على عفوه الواسع على

---

[1] محمد إقبال، فيلسوف الذاتية، ص 567
[2] مقامات إقبال (باللغة الأردوية)، ص 69
[3] شرح أسرار خودي، ص 41-42

طريق الشعر الصوفي الفارسي، فقد عارض الفقهاء الصوفية قديماً لشطحاتهم ولوصف حبيبهم بالظلم أو بعدم الاهتمام بعاشقيه[1]، وتستخف الصوفية بالظاهر على حساب الباطن خلافاً للفقهاء، وقد احتج إقبال نفسه على هذا التقسيم للشرع في "رموز بيخودي" ولكن هذا التقسيم له جذور عميقة في الأدب الصوفي، فضرب الصوفية أمثالاً لإصلاح النية مع الله دون تزيين الظاهر، وقصة الراعي مع موسى-عليه السلام- الذي أورده الرومي في ملحمته واحدٌ من دروسهم لتعمير الباطن دون مبالاة بالظاهر، وتستهزء الصوفية بالزهد والتقوى والوعظ والجنة وغيرها كردّ الفعل لتشدد الفقهاء عليهم، وأمثالها موجودة في الشعر الفارسي والأردي، يقول حسين مجيب المصري عن هذه الظاهرة: "أصبح ذلك ظاهرة تقليدية مرعية لدى شعراء الفارسية من المتصوفة لا ينفكون عنها، فكان الشاعر منهم يسمّي نفسه في شعره (رند) بمعنى ماجن أو خمير، ويسمّي سواه (زاهد)، ولا شك أن هذه نهاية السخرية والتهكم، لأن من بين شعراء التصوف الفرس من أطلقوا على أنفسهم أسماء مستعارة ترمز إلى أنهم قوم كافرون، وهم مع هذا من كفرهم في رأي غيرهم، خير منهم وهم عند الله بأرفع منزلة، وكأنما كان مقصدهم من مثل هذا إبانتهم عن ثباتهم على مذهبهم دون أن يبالوا برأي سواهم فيهم من غير المتصوفة"[2].
أما تخاطب إقبال مع الله تعالى وجرأته رغم إيمانه الراسخ به وحبّه المخلص له فإنها أيضاً ترجع إلى أساس صوفي، وقد ألحق بعض النقاد هذه الظاهرة في شعره إلى موضوع شعره (فلسفة إثبات الذات) الذي يتطلب هذا المنهج في الأسلوب[3]، ولا يُرفض ذلك منهم إلا أن هذه الجرأة، بالإضافة إلى كل ذلك، رمز خاصّ للحب عند أصحابها، وحسب تعبير إقبال:

رمزیں ہیں محبت کی گســـــتاخی وبــے باکی

---

[1] ينظر للتفصيل: أخبار الأخيار للشيخ عبد الحق الدهلوي في تراجم الصوفية الجشتية لأمثلة هذه المشاجرات

[2] قصائد مختارة ودراسات، ص 108

[3] هذا رأي عبد السلام الندوي ورأي خليفة عبد الحكيم في هذا الأسلوب من أثر نيتشه، أنظر 'إقبال كامل'، ص392، وراجع أيضاً "إقبال ایک صوفی شاعر"، ص 294 وشبه هذا المؤلف بلطمات النساء حسب قوله

ہر شوق نہیں گستاخ، ہر جذب نہیں بے باک[1]

الترجمة: إن الجسارة والجرأة كنايتان عن الحب، فليس كل أنواع الشوق جسارة كما ليس كل أنواع الحب جرأة. وقلّد إقبال مرشده جلال الدين الرومي في بعض تراكيبه لأبياته الشتى مثل قوله:

بزير كنگـــــرۂ كبرياش مردانند فرشته صيد وپيمبر شكار ويزدان گير

ترجمة: يوجد تحت عرش كبريائه رجالٌ بإمكانهم أن يصيدوا الملائكة ويقنصوا الرسل ويحيطوا بالله.

ويقول إقبال:

در دشت جنونِ من جبريل زبوں صيدے يزداں بكمند آور اے همت مردانه

ترجمة: ليس جبريل إلا صيد وضيع في غابة جنوني، وأيتها الهمة السامية! اجعلي الإله فريسة لك. وقال أيضاً:

گفت رومى اے سخن را جاں نگار تو ملك صيد استى ويزداں شكار

ترجمة: قال الرومي: يا مزين روح الشعر، أنت قناص الملائكة وصياد الإله.

ترجم هذا البيت بعض المترجمين كما يلي:

فأجاب الشيخ: يا رب العلاء أنت صياد ولكن فى السماءِ

هذا، ولم ينكر النقاد الكبار للإقباليات في شبه القارة الهندية أمثال الأستاذ يوسف حسين خان هذا الأسلوب للشاعر وقد قدم يوسف حسين لنا هذا الأسلوب بشيئ من استحسان في كتابه الجامع عن إقبال فيقول:

"وخاطب إقبال الذات الإلهية في بعض المواضع خطاباً يظهر من خلاله أنه وجّه كلام الشوق إليه (جلّ وعلا) لا إلى الغير، ويظهر أيضاً من هذه الجرأة بدون أيّ اصطناع مقامه الكبير، حيث يقول الشاعر:

قصـــــــــور وار غريب الديار هوں ليكن

[1] كليات إقبال (المجموعة الشعرية الأردية)، ص 473

ترا خرابـــــــــــه فرشتے نه كرسكے آباد

مري جفـــــــــا طلبي كي دعائيں ديتا هے

وه تيرا دشت ساده وجهـــــــــــان بے بنياد

مقـــام شوق تيرے قدسيوں كے بس كا نهيں

انهي كا كام ہيں جن كے حوصلے هيں زياد

ترجمة: ولو أني مخطئ وغريب، ولكن لم تستطع الملائكة أن يعمروا هذ الخراب (الدنيا)،
وتدعو تلك الصحراء القاحلة أي عالمك بدون الأسس لجهدي وكفاحي (لأنني عمّرته)،
ولن يبلغ غاية الشوق أصحابك القدسيون (الملائكة)، فينالها من يمتلك الهمم العالية (الإنسان).

يقول الشاعر بعد ذلك:

تو نے يہ كيا غضب كيا مجھ كو بھي فاش كرديا

ميں ہي تو ايک راز تھا سينۂ كائنـــــــات ميں"[1]

ترجمة: جئت ظلماً ونكراً بأن أبديتني أيضاً فقد كنت، على الأقل، سراً في ذات صدر الكون.

ويروي هذا الناقد أمثلة لهذا الأسلوب واحداً تلو الآخر، ويناشدنا أن نلاحظ ابتكار الشاعر فيه يقول الناقد للقراء:

"لاحظوا جمال الفكر وحسن التعبير عند الشاعر الجريء:

رمزيں هيں محبت كي گستاخي وبيبـــــاكي

هر شوخ نهيں گستاخ هر رمز نهيں بيبـاک

فارغ تو نه بيٹھے گا محشر ميں جنوں ميرا

[1] روح إقبال، ص 121

يا اپنا گريبـــــاں چاک يا دامن يزداں چاک[1]

." انتهى كلام يوسف حسين [2].

ويتناول بالنقد الدكتور أسلوب أحمد الأنصاري غزلية من الديوان "زبور عجم" مطلعها:

ما از خدا گم شده ايم او بجستجوست چو ما نياز مند وگرفتـــــار آرزو

ترجمة: نحن نغيب عن الله وهو يتفقدنا، فهو باحث مثلنا، وأسير بالأمل.

ويعلّق الناقد المذكور على هذه الغزلية قائلاً: "الجرأة في التخاطب والطاقة والتأنق التي توجد فيها بالإضافة إلى إيقاد الفكر وإبراز الخيال كلها لا يتيسر إلا لشاعر ذي نظر ثاقب ورتبة عالية كإقبال، وعلى الذين يعترضون على الغزلية اعتراضاً بدون جدوى عليهم أن ينظروا في نظرية الغزلية ويحاولوا فهمها"[3]. حتى أن الشيخ أبا الحسن الندوي لما عبّر عن عدم موافقته لبعض آراء الشاعر الفلسفية في محاضراته التي ألقاها في 'مدراس' لم يشر إلى هذه الظاهرة في كتابه 'روائع إقبال' [4]، وقد رأى البعض أن إقبالاً يرجّح أن يستعمل كلمة 'يزدان' مكان كلمة 'الله' إذا أراد شيئاً من هذا النوع، وهناك من الدارسين القليلي الصيت أمثال ابن أحمد النقوي وكليم الدين أحمد من اعترض على هذا الأسلوب[5]، ولكن لم ينكره النقاد الكبار للغة الأردية والفارسية بوجه عام، والشعر العربي ربما لا يقبل هذه الظاهرة طبعاً، فقد أنكر العرب للمتنبي وغيره من الشعراء خروجهم عن المألوف في هذا الشأن. فالمترجمون وقعوا في المشكلة خلال مواجهتهم لهذه الظاهرة في شعر إقبال، فانحرف أكثرهم عنه، فعلى سبيل المثال غضّ طرفه عنها الدكتور حسين مجيب حيث نقل مضمون البيت دون أي اعتراض عليها:

---

[1] ترجمة: الجرأة والجسارة رمزان للحب، وليس كل أنواع الحب والشوق بالجريء أو الجسور، سوف لا يقعد جنوني عاطلاً يوم الحشر، فيمزق إما جيبه أو ذيل قباء الله.

[2] روح إقبال، ص 122، وينظر أيضاً: ص 50 حيث يقول: إن هذه الجرأة تتولد إذا يفهم ويعرف السكير إشارات الساقي وهذه اللهجة تمنح لمن تنكشف أسرار العشق ورموزها على قلبه.

[3] إقبال كي منتخب نظمين اور غزلين، ص 255

[4] روائع اقبال، ص 20

[5] ينظر للتفصيل: فكر اقبال، ص 53-54

گرچه ما مرغان بے بال و پریم از خدا در علم مرگ افزوں تریم[1]

ترجمة: ولو أننا طيور بلا جناح وريش، ولكننا أعلم من الله بالموت.

ترجمته:

نحـــــــن طير بجناح لا تطيـــــر علمنا بالموت مقطوع النظيـــــر[2]

وفحوى البيت أن الله عين الحياة وهو حيّ لا يموت بل لا تأخذه سنة ولا نوم، وذاته أعلى من الموت والعدم وقيود الزمان والمكان، وفي جانب آخر لا بد لكل إنسان أن يتذوق طعم الموت، فالشاعر يستخرج من هذه الحقيقة نكتة شعرية طريفة، وهي أن الإنسان أعلم من الله بالموت لأنه يواجهه ويمارس حلوه ومرّه، ولا شك أن المترجم اختار طريقة سليمة للخروج من هذا المأزق بقوله: "علمنا بالموت مقطوع النظير"، ولكن ضاعت فيه تلك اللدغة التي بواسطتها تنفذ المعنى في النفوس، واعترف في هامش البيت التالي بأنه صرف المعنى قائلاً: "وقد صرفنا المعنى عن أصله بعض الشئ في ترجمة هذا البيت خشية فهم المبالغة فيه على ظاهرها".[3] وكذلك عالج المشكلة في الأبيات التالية:

اگر ایں نامه را جبـــریل خواند چوں گرد آں نور ناب از خود فشاند[4]

ترجمة: لو قرأ جبريل هذا الكتاب، لنفض عن نفسه ذلك النور الناصع الذي يرتديه كما ينفض الغبار.

ترجمته:

وجبـــــريـل كتـــابي إن رآه أنـــار لنـــا بلمـــح من سنـــاه

وعلّق المترجم على هذا البيت قائلاً: "تصرفنا بعض الشئ في ترجمة هذا البيت كراهية فهم المبالغة فيه على الظاهر"[5]:

نگہ از جلوۂ او ناشکیب است تجلي هائے او یزداں فریب است

---

[1] كليات إقبال (المجموعة الشعرية الفارسية)، ص 626
[2] ديوان محمد إقبال، 165/2
[3] المصدر نفسه، 375/1
[4] كليات إقبال (الفارسية)، ص 539
[5] ديوان محمد إقبال، 377/1

ترجمة: العين لا تصبر عن تجليه، وتجلياته تخادع الله بفتنتها وسحرها.

ترجمته:

إليـــــــه العين في شوق شديد تجل منه إعجاب الحميـــــــد

ويصرف المعنى دون التصريح في الهامش في مثل هذه الأبيات:

چناں با بندگي در ساختم من نگيرم گر مرا بخشد خدايى[1]

ترجمة: ألفت العبودية واتفقت معها، حتى لو أمنح الآن الربوبية بدلاً منها لا آخذها.

ترجمته:

ألفت صفات عبد منذ دهر فليس لكل هذا من لزوم[2]

وأما الشيخ صاوي شعلان فكانت لديه فرص كثيرة لتجنب هذه المواضيع، لأنه لم يتقيد بحرفية الأصل في عمله، وإنه تمتع بحرية كبيرة، وأضفى على ترجمته خصائص جمالية كثيرة بالمقارنة للمترجمين الآخرين، وتحليل قصيدة الشكوى على هذا المقياس الذي نحن بصدد البحث عنه يظهر أن متابعة وتيرة الأصل ونبرته كانت مستحيلة لديه أو غير مرغوب فيها لأسباب ثقافية، ولا ندّعي بذلك أنه كان عليه أن يراعي حرفية الأصل في الترجمة، ونورد ههنا بعض الأبيات من القصيدة الأردية ومعانيها ثم نتبعها ببعض الأبيات من ترجمة الشيخ صاوي شعلان بالإضافة إلى ترجمة الدكتور حازم محفوظ النثرية كي يتضح لنا هذا الفارق:

جرأت آموز مري تاب سخن ہے مجھ کو

شکوہ اللہ سے خاکـــم بدھن ہے مجھ کو[3]

ترجمة: الرغبة الشديدة في التعبير عن الشكوى التي تختلج في ضميري علّمتني الجرأة، فأصرح الآن - وفي فمي التراب- أن لي الشكوى إلى الله.

---

[1] كليات إقبال (الفارسية)، ص 895
[2] ديوان محمد إقبال، 429/1
[3] كليات إقبال (الأردية)، ص 231

ترجمة صاوي شعلان:

أشكو، و فمي التراب، وإنمـــــا أشكو مصاب الدين للديّـــان[1]

ترجمة حازم محفوظ: إن استطاعة النظم تجعلني جريئاً، أنا أشكو إلى الله، والتراب في فمي[2].

اے خـــــدا شكوۂ ارباب وفا بهي سن لے

خوگر حمد سے تهوڑا سا گله بهي سن لے

ترجمة: اللهم! استمع إلى شكوى أهل الوفاء، وأذن قليلاً لشكوى من طالما تعوّد الحمد لك.

ترجمة شعلان:

يشكو لك اللهم قلب لم يعش إلا لحمـــــد علاك في الأكوان

ترجمة محفوظ: يا رب استمع إلى شكوى أهل الوفاء، اسمع من الذي عادته أن يحمد (الله)، قليلاً من الشكوى.

رحمتيں هيں تري اغيار کے کاشانوں پر

برق گرتي هيں تو بيچارے مسلمانوں پر

ترجمة: رحمتك وسعت الأجانب، وأما المسلمون فلا تنزل عليهم سوى الصواعق.

ترجمة شعلان:

فإذا السحاب جرى سقاهم غيثه واختصنا بصواعق التدميـــــــر

ترجمة محفوظ: غير أن رحمتك (تعاليت) نعم الجميع، والمسلمون يمتحنون أكثر من غيرهم.

پهر بهي هم سے يه گله ہے كه وفادار نهيں

---

[1] ديوان محمد إقبال، 93/1

[2] الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال، ص 167-175

هم وفادار نهيں تو بهي تو دلـــــــدار نهيں[1]

ترجمة: وفي جانب آخر تشكو إلينا أننا غير أوفياء، فإن حقّ هذا فلست أنت بمن يشكر.

ترجمة شعلان:

إن لم يكن هذا وفاء صادقا فالخلق في الدنيا بغير شعور[2]

ترجمة محفوظ: ومع كل هذا، فإن الإنسان غير وفي، لو كنا غير أوفياء، فإنك رحيم (بنا).

خنده زن كفر هيں احساس تجهے هيں كه نهيں

اپني توحيـــد كا كچھ پاس تجهے هيں كه نهيں

ترجمة: الكفر يضحك منا، ألا تحسّ هذا؟ ألا تهمّ قليلاً بتوحيدك؟

لا يوجد معادل عند شعلان.

ترجمة محفوظ: إن الكفر يضحك، وأنت (يا الله) تعلم هذا، وأنت (يا رب) في مقدورك الحفاظ على توحيدك.

قهر تو يه هيں كه كافر كو مليں حور وقصور

اور بے چارے مسلماں كو فقط وعدۂ حـــور

ترجمة: من الظلم الصريح أن يعطى الكافر الحور والقصور، وأما المسلم المسكين فلا يعطى إلا الوعود الفارغة بحور الجنة.

ترجمة شعلان:

أنا ما حسدت الكافرين، وقد غدوا في أنعم ومواكب وقصــور

بل محنتـــــي ألا أرى في أمتي عملاً تقدمــه صداق الحور

---

[1] كليات إقبال (الأردية)، ص 235

[2] ديوان محمد إقبال، 96/1

ترجمة محفوظ: من الظلم أن يجد الكافر (في الدنيا) القصور والحور، أما المسلمون المساكين، فليس لهم إلا الوعد بالحور (العين)

وزاد شعلان البيت التالي من عنده فحاول تخفيف جوّ التوتر السائد في القصيدة:

عاقبتنا عدلاً فهب لعدونا عن ذنبه في الدهر يوم عقاب

إذًا نلاحظ في كل الأمثلة السابقة أن المترجمين الشيخ صاوي شعلان والدكتور حازم محفوظ لم يستطيعا أن يواكبا الشاعر في أسلوب تخاطبه مع الله تعالى اللهم إلا ترجمة محفوظ للبيت الأخير المذكور أعلاه، وكلاهما عدلا عنه وخفّفا الحدة والصراحة الموجودتين في هذا الأسلوب، وكذا يبدو أن قضية شكوى الإنسان أمام الله ضعف تقديمها بينما كانت قوية في القصيدة الأصلية.

أما المترجم البارز الآخر عبد الوهاب عزام فيلاحظ في ترجمته نمط خاص في حذف الأبيات، وهناك عدد كبير من الأبيات المحذوفة، فمثلاً إنه حذف الأبيات في "أسرار خودي" عن وصف يبدو مبالغاً في شأن خليفة الله منها مثلاً :

نائب حق همچو جان عالم است هستئ او ظل اسم اعظم است[1]

ترجمة: يعني خليفة الله مثل روح العالم، ووجوده كظل للاسم الأعظم.

وكذلك حذف بعض الرباعيات والغزليات على نمط خاص ربما يدل على إعراضه عن هذه الظاهرة – بحيث وجد فيها بعض النقاد التطرف من هذا النوع، وخاصة الرباعيات رقم:11 و12 و16 و18 و34 و42 و47 و81 و118 و130 و134 وعلى سبيل المثال، نتناول الرباعية رقم 11:

نـواے عشــق را ســاز اســت آدم كشـايد راز وخود راز است آدم

جهاں او آفريد، ايں خوب تر ساخت مگـــر با ايزد انباز است آدم[2]

ترجمة: الإنسان موسيقى لنشيد العشق، هو يكشف عن السرّ بينما ذاته سرّ محض، ولو خلق الله العالم ولكن الإنسان قام بتحسينه وتزيينه، وعلى هذا فالإنسان يشترك مع الله في شئون الخلق.

---

[1] كليات إقبال (الفارسية)، ص 44
[2] المصدر نفسه، ص 198

الفكرة غير المألوفة في هذه الرباعية هي: الإنسان يشترك مع الله في تزيين الكون، وأغلب الظن أن عزاماً ترك الرباعية لهذه الفكرة، وطبيعة هذه الرباعيات كلها من هذا النوع، وقد ترك أيضاً الأبيات الأخرى في مدح علي كرّم الله وجهه سيأتي ذكر ذلك فيما بعد، ورغم كل ذلك، يمتاز الأستاذ عزام عن جميع المترجمين بنقل الأبيات المحتوية على الأفكار الصوفية من هذا النوع بشكل كبير، ومن الأبيات التي ترجمها بشيئ من الانحراف والتي توجد فيه الظاهرة التي تناقشها هذه المقالة، ترجمة البيت التالي للأستاذ عزام:

مزي اندر جهـانے كور ذوقے كه يزداں دارد وشيطاں ندارد[1]

ترجمة: لا تعش في الدنيا عديمة الذوق التي يوجد فيها الله ولا يوجد فيها الشيطان.

فلا تحفل بكون فيه نقص به المولى وليس به الغرور[2]

وما قلنا عن جرأة الشاعر بعض الأحيان عند الله – سبحانه وتعالى – نستطيع أن نقول معاكساً لذلك في وقوفه عند ذكر النبي – صلّى الله عليه وسلّم – حيث إنه يمسك بالأدب والتواضع والإجلال بشكل أكبر، كأنه كان في ذهنه القول الشائع عند بعض الصوفية: *با خدا ديوانہ باش وبا محمد هوشيار* . فللشاعر منهجه الخاص في مدح النبي –عليه الصلاة والسلام، قلما يوجد مثاله في الشعراء الآخرين وأشار إلى ذلك عبد السلام الندوي في كتابه عن إقبال، بأنه جعل شعر المدح شعراً قومياً حيث عرض حال كل المصائب التي يعانيها المسلمون أمام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،[3] وكان حب إقبال للنبي –صلّى الله عليه وسلّم – فاقد النظير من بين الشعراء المعاصرين، فقد قال يوسف سليم الجشتي إن إقبالاً كان يحبّ النبي أكثر من الله وإقبال نفسه قال:

معنئ حرفم كنى تحقيــق اگر بنگـــــرى با ديدۂ صديق اگر

قوت وقلب وجگـر گردد نبى أز خدا محبوب تر گردد نبى[4]

---

[1] المصدر نفسه، ص 203
[2] ديوان محمد إقبال، 299/1
[3] ينظر للتفصيل: إقبال كامل، ص 399
[4] كليات إقبال (الفارسية)، ص 101

ترجمة: إذا تناولت معنى كلامي بالبحث والتحقيق فلا تنظر فيه إلا بعين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لتكون قوتك قوته صلّى الله عليه وسلّم وقلبك قلبه وروحك روحه، وهكذا فيصبح النبي أحبّ إليك من الله تعالى.

فأوضح الجشتي في شرح الشطر الأخير (سيكون حبّك للنبي أكثر من حبك لله) بقول إقبال: "آمنت بالله تعالى على دعوة النبي –صلّى الله عليه وسلّم – وإلا فالعقل الإنساني لا يصل إلى الله ولا يعرفه، ومبلغ العقل ومنتهاه ليسا إلا الشك"[1]. ومن المفارقة العجيبة أن سمير عبد الحميد كره أن يترجم هذا الشطرالأخير في صورته الأصلية فترجمته: إن أردت أن تحقق في معنى كلامي فانظر بعين الصديق حتى تفهم، فهو لنا قوة القلب والروح وهو أحبّ إلى القلب من جميع الخلق[2].

وذكر في ملاحظاته أن هذه مبالغة من الشاعر أخذها عليه البعض وقد ورد في الأصل 'الرب'[3]. يقول الدكتور عبد السلام الندوي:

"تغلب حبّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في قلب إقبال على حبّ الله، وكانت أمنيته الأخيرة أن يؤدي فريضة الحج، لكن الدافع الحقيقي وراء هذه الأمنية كان إرادته لزيارة ديار الحبيب صلّى الله عليه وسلّم، وقد خاطب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قائلاً:

دراں دريا كه او را ساحلے نيست دليل عاشقـــــاں غير از دلے نيست

تو فرمودي ره بطحـــــــا گرفتيم وگرنه جز تو ما را منزلے نيست"[4]

ترجمة: وفي ذلك البحر الذي لا شاطئ له (البحر كناية عن النبي صلّى الله عليه وسلّم) يهدي العشّاق قلوبهم فقط، ولقد زرنا مكة على أنك أمرتنا به وإلا فلا غاية لنا سواك.

وطبعاً فقد خرج شعر إقبال عن حد المألوف في هذا الشأن، ويشكو الدكتور حسن حنفي والدكتور عادل التل هذا من الشاعر[1]، وكان إقبال يذهب مذهبَ

---

[1] شرح رموز بيخودي، ص 140
[2] ديوان الأسرار والرموز، ص 202
[3] المصدر نفسه، ص 323
[4] إقبال كامل، ص 394

الصوفية عن الحقيقة المحمّدية، وكان متفانياً في حبّ الرسول – صلّى الله عليه وسلّم. و"قد ألهمه هذا الحب العميق معاني شعرية عجيبة"[2] وكان من المستحيل أن يسايره أحدٌ من المترجمين في التعبير عن هذا الحب، وهو لا يقبل أن يبدّل كلمة في بعض مدائحه للنبي – صلّى الله عليه وسلّم. وخير مثال لذلك كلمة 'موجے' (يعني موجة) في واحد من أبياته، فقد اقترح بعض أصدقائه أن يبدّل هذه الكلمة، وكذلك اقترح أستاذه مير حسن أن يبدّلها بكلمة 'مشتے' (يعني قبضة) إلا أنه لم يقبل، والسبب وراء ذلك أنه كان يصف بيت النبي –صلّى الله عليه وسلّم وحسب عقيدته تليق به كلمة 'موج' أكثر من كلمة 'مشت' لأن الموج فيه الشفافية[3]. والبيت كما يلي:

طور موجے از غبـــار خانه اش كعبه را بيت الحرم كاشانه اش[4]

ترجمة: الطور موجة من غبار منزله وبيته للكعبة بيت الحرم.

لا يليق بنا أن نرجو من عبد الوهاب عزام أن يكون حساساً وحذراً إلى هذا الحد، ولا يجوز لنا أن نؤاخذه لإضافة كلمة 'نقع' إلى النبي –صلّى الله عليه وسلّم في الترجمة لأن التزام ذلك مستحيل لأيّ مترجم:

موجة من نقعه الطور الأشمّ داره، للكعبة العظمى حرم [5]

فالمترجمون لم يحسّوا خطورة هذا الموضوع عند الشاعر واستهانوا في نقل الأبيات إلى حد كبير. وهناك بيت آخر في مدح النبي صلّى الله عليه وسلّم يتناوله يوسف حسين خان في كتابه بهذه الكلمات:

"ذهب (إقبال) للحج في عالم الخيال، ولما أراد أن يذهب من مكة إلى المدينة، خاطب الله تعالى بجرأة العشاق، وقال: 'إنني أذهب إلى ديار حبيبي، وامكث مع عبادك الخواص بمكة'. إذاً ههنا يظهر إخلاص إقبال وحنينه ووجده دون

---

[1] أنظر: محمد إقبال: فيلسوف الذاتية، ص 567-68، وأيضاً: مقالة بعنوان 'النزعة المادية عند الشاعر محمد إقبال' على الموقع:
www.eltwhed.com/vb/showthread.php%3F2688-%25C7%25E1%25E

[2] روائع إقبال، ص 41

[3] إقبال كا فن، وينظر للتفصيل في المقالة: ترميمات اقبال كا تنقيدي جائزة، ص 15

[4] كليات إقبال (الفارسية)، ص 19

[5] ديوان محمد إقبال، 137/1

أي ريب، ونشعر من خلال هذا البيت كأن حبّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم تعدّى حبّ الله، لا توجد نماذج كمثل هذا في الشعر عن المديح النبوي:

تو باش اينجا و با خاصـــان بيامیز

كه من دارم هوائي كوچہ دوست"[1]

ترجمة: امكث ههنا (بمكة المكرمة) واحتك بالخواص الأثرياء، فإني أهوى حي الحبيب (المدينة المنورة.

ربما لم يفهم الدكتور حسين مجيب هذه الرباعية إذ ترجمها:

بقيت هنا و لي روح تســـير إلى البطحـــــــاء أشواقي تطير

خواص القوم عائشهم، تلبث بشوقي دار من أهـــــوى أزور[2]

فذكر عن الأشواق أنها تطير إلى البطحاء يعني مكة، بينما يقول الشاعر ما معناه أن أشواقه تطير إلى إحدى مدن (يعني المدينة المنورة) تأتي البطحاء (يعني مكة) في الطريق إليها. إليكم نصّ الرباعية:

بدن وامانده وجـــانم در تگ و پوست

سوئے شهرے كه بطحاء در ره اوست

تو باش اينجا و با خاصـــــــاں بيامیز

كــه من دارم هوائي كـــوچہ دوست[3]

وكذلك الرباعية التالية التي سبق ذكرها ترجمها الدكتور مجيب بعدم الدقة:

دراں دريا كــه او را ساحلے نيست

دليل عاشقـــاں غير از دلے نيست

---

[1] روح إقبال، ص 212
[2] ديوان محمد إقبال، 431/2
[3] كليات إقبال (الفارسية)، ص 901

تو فرمودي ره بطحـــــــا گرفتيم

وگرنه جـز تو ما را منزلـے نيست

ترجمتها كما يلي:

ببحر شطه لم أدر بعـــــده دليل العاشقين القلب وحده

إلى البطحـــاء تأمرنا بسير وإلا كنت ما وقفت عنـده[1]

ولم يفهم صاوي شعلان أيضاً خطورة الموضوع حينما ترجم بعض الأبيات في المدح يبدو كأنها ترجمة عشوائية:

عصر ما ما را زما بيگانه كرد از جمال مصطفى بيگانه كرد

سوز او تا از ميانِ سينه رفت جوهر آئينـــه از آئينـه رفت[2]

ترجمة: إن عصرنا هذا أبعدنا عن أنفسنا وذلك لأنه صرفنا عن جمال المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، حتى ذهبت لوعة حبّه عن صدورنا وذهب جوهر المرآة عن المرآة، والمراد بالمرآة القلب.

ترجمة شعلان:

أو تدري أننا من عصـــــــــــرنا

غرباء فيـــــــــــــــه عن أنفسنا

كل حي معـــــــــــرض عن ذاته

فقد الجوهـــــــــــــر من مرآته[3]

وكان لصاوي شعلان قناعاته في هذا الموضوع، فترجمته للبيت التالي ترجمة وتأويل في نفس الوقت لفرض رؤيته الخاصة على الترجمة، وتابع هذا المنهج ببراعة في القصيدة كلها:

اے تو ما بےچارگاں را ساز وبرگ

---

[1] ديوان محمد إقبال، 447/2
[2] كليات إقبال (الفارسية)، ص 820
[3] ديوان محمد إقبال، 362/2

وارهان ايں قـوم را از ترس مرگ[1]

ترجمة: يا من هو متاع للمساكين مثلنا، فخلّص هذا القوم من خوف الموت.

يا رأس مال البائسين ويا منار الحـائرين

ادع الإله يهب لأمّتك: الشجاعة واليقين[2]

ثم هناك أمور أخرى لها علاقة مع التصوف، ومنها مدح آل البيت ومدح بعض الصوفية، ونجد المترجمين يلاحظون قناعاتهم في نقلها إلى العربية، فقد حذف عزام الأبيات التي استخدم فيها الشاعر الآثار الضعيفة عن مدح علي بن أبي طالب –كرّم الله وجهه –والأبيات موجودة في "أسرار خودي" بعنوان "في شرح أسرار أسماء علي المرتضى" وحذف من "رموز بيخودي" الأبيات التي تحتوي على مدح الحسين –رضي الله عنه– وهي تحت عنوان "في معنى الحرية الإسلامية وسرّ حدث كربلاء" ولا نعرف بالتأكيد لماذا حذف هذه المدائح، وما يهمّنا ههنا هو أن هذه المدائح رائجة في التصوف الفارسي باسم "المناقب"، والشعر الفارسي والأردي ينطويان أيضاً على جنسين خاصين وهما "المرثية" و"القصيدة"، فلذلك تلائم هذه المدائح مع شعر اللغتين، وربما حذف المترجم لأن الذوق العربي لا يوافقها، أو كما علّل الدكتور حسن حنفي عن هذا الحذف: "قد يكون السبب في حذف بعض الأبيات سبباً يتعلق بالمضمون العقائدي أو الأخلاقي أو السياسي، فالشعر ينتقل من بيئة إلى بيئة، من بيئة شيعية إلى بيئة سنية أو من منظومة قيم حرة إلى منظومة قيم محافظة أو من نظام سياسي حرّ إلى نظام سياسي تسلطي.... قد لا ينفعل الشاعر المترجم بقصيدة للشاعر المؤلف بالرغم من انفعال مترجم آخر للشعر إلى النثر أو حتى القارئ مثل قصيدة 'في معنى الحرية الإسلامية' وسر حادثة 'كربلاء'".[3] يقول إقبال في هذه القصيدة في مدح الحسين رضي الله عنه:

آں شنيدستي كه هنگام نبـــرد عشق با عقل هوس پرور چه كرد

آن امام عاشقـــــان پور بتول سرو آزادے ز بستان رســـــول

[1] كليات إقبال (الفارسية)، ص 844

[2] ديوان محمد إقبال، 401/2

[3] محمد إقبال فيلسوف الذاتية، ص 13و14

الله الله باي بســـــــــم الله پدر معنئ ذبح عظيم آمد پســـــــــــر
بهر آں شهـــــزادۂ خير الملل دوش ختم المرسلين نعم الجمـــــل
درميان امت آن كيواں جنـاب همچـو حرف قل هوالله در كتـــاب
موسى وفرعون وشبير ويزيد اين دو قوت از حيات آمــد بديد.[1]

ترجمة: هل سمعت عما فعله العشق مع العقل الذي يربي هوساً وحرصاً، ذلك (العشق) هو إمام العشاق وابن فاطمة البتول والذي هو صنوبر عالٍ طليق في رياض الرسول، ويا للعجب أنّ أباه هو باء 'بسم الله' والولد نفسه تفسير لقول 'ذبح عظيم'، إن كتفي خاتم النبيين نعم الجمل لأمير خير الأمم (حسب تعبير النبي صلّى الله عليه وسلّم)، وذلك صاحب السموّ تطاول السماء ومكانته في الأمة بمثابة مكانة 'سورة الإخلاص' في كتاب الله، موسى وفرعون، والحسين ويزيد قوتان متضادتان نابعتان من الحياة نفسها.

وكانت هناك إمكانية أن ستكون هذه الأفكار سبباً للخلاف في المجتمع إذا كانت الحرية معدومة والتسامح مفقوداً، ومع ذلك، إنها لو تبدو لبعض الناس مبالغة فمبالغتها لا تناقض الشعر بل تصير أكثر ملائمة له لاعتماد الشعر على المبالغة كأداة البلاغة. والأمر الآخر عند إقبال أن بعض مصطلحاته الخاصة لا تدل على الطقوس الشرعية، فمثلاً أنه لا يعني بأنات الليل وآداب الصبح بالضرورة صلاة الصبح، وهو يستخدم هذه الكلمات على طراز ما هو أقرب إلى النمط الصوفي من النمط الفقهي، توجد عند كبار الصوفية، مثلاً، يقول حافظ الشيرازي:

مرا ازيں ظلمات كه راهنمائي كرد دعائے نيم شبي بود وگريۂ سحري

ترجمة: الشيء الذي هداني في هذه الظلمات كان دعائي نصفَ الليل وبكائي وقتَ الفجر.

إذاً ترجمة هذا البيت لعبد المعين الملوحي لا تبرز هذا الفارق:

زمستـانى هـواءوں ميں گـرچہ تهى شمشيـر كى تيـزى
نہ چهوٹهے مجه سے لندن ميں بهى آداب سحر خيزى[1]

[1] كليات إقبال (الفارسية)، ص 110

ترجمة: بالرغم من أن هواء الشتاء البارد كانت حادة مثل السيف، لم تفتني في لندن آداب القيام في السحر للأشغال العبودية.

ترجمة عبد المعين الملوحي: كان البرد قارساً كالسيف ورغم ذلك لم أدع صلاة الفجر في لندن.[2]

ونظراً إلى أن عبد المعين الملّوحي نقل الديوان من ترجمته الفرنسية، ثم نظمه زهير ظاظا وأي محاولة لإبراز الظاهرة التي نحن بصدد إثباتها لا مبرر لها، وفي الحقيقة أن بعض المفردات التي استخدمها الشاعر للدلالات الكبيرة والإيحاءات الواسعة، فتضيقت إيحاءاتها ودلالاتها في ترجمتهما.

الخاتمة:

بإمكاننا أن نستنتج من هذا البحث الموجز المتواضع أن المترجمين العرب لم يسايروا الشاعر في استخدام بعض الأساليب المتأثرة بالتصوف، فمالوا إلى التصرف والتأويل في الترجمة، ففي حين فضّل عبد الوهاب عزام حذف مثل هذه الأبيات، رجّح الشيخ صاوي شعلان والدكتور حسين مجيب والدكتور حازم محفوظ وسمير عبد الحميد أن يأوّلوا معاني الأبيات. ولم يساير أحدٌ منهم إقبال في هذه الظاهرة إلا قليلاً نادراً.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم محمد منصور: الشعر والتصوف، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولي، 1999م
2. ابن أحمد، النقوي: فكر اقبال، إداره تحقيقات ونشريات اسلامي، جامعة عربية مئو ناث بانجان، أوترابراديش، الهند، الطبعة الأولى، 2007م
3. أبو الحسن علي، الندوي: روائع اقبال، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، الهند، الطبعة الخامسة، 2004م

[1] كليات إقبال (الأردية)، ص 471
[2] مختارات من شعر الدكتور الفيلسوف محمد إقبال، ص 7

4. أبو الحسن علي، الندوي: روائع إقبال، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، الهند، الطبعة الخامسة، 1991م

5. أبو الحسن، الندوي: الطريق إلى المدينة، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، الهند، الطبعة الخامسة، 1987م

6. أحمد عيسى الخطاب: مختارات من شعر الدكتور الفيلسوف محمد إقبال، دار الإرشاد للنشر، حمص، 2008م

7. أسلوب أحمد، الأنصاري: إقبال كي منتخب نظمين اور غزلين (المختار من منظومات إقبال وغزلياته- بالأردية)، أكادمية غالب، دلهي الجديدة، الطبعة الأولى، 1994م

8. انيماري كيميل: As Through a Veil: Mystical Poetry in Islam، مطبعة جامعة كولومبيا، نيو يورك، 1982م

9. حازم محفوظ (المترجم): الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م

10. حسن حنفي، الدكتور: محمد إقبال فيلسوف الذاتية، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2009م

11. خالد عباس، أسدي، الدكتور (المحرر): محمد إقبال: قصائد مختارة ودراسات، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2012م

12. خليفة عبد الحكيم: فكر إقبال، ايجوكيشنل پبلشنگ ہاوس ، علي گره، 1977م

13. سمير عبد الحميد إبراهيم (المترجم): ديوان الأسرار والرموز، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثانية، 2009م

14. سهيل، البخاري: إقبال ايک صوفى شاعر، مكتبه أسلوب، كراتشي، 1988م

15. سيد عبد الله: مقامات إقبال (باللغة الأردوية)، دهلي، اردو بازار، مكتبة تشمن، (بدون تاريخ الطبع)

16. سيد عبد الماجد، الغوري (الإعداد): ديوان محمد إقبال، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، 2003م

17. شبلى النعماني، العلامة: شعر العجم، دار المصنفين، أعظم كره، الهند، 1999م

18. شوقي ضيف، الدكتور: فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1988م

19. عبد الحق، الدهلوي، الشيخ: أخبار الأخيار، أخبار الأخيار (ترجمة أردوية: محمد منير رضا قادري)، ماه نور ببلكيشنز، متيامحل ، دلهي، 2005م.

20. عبد السلام، الندوي: إقبال كامل (بالأردية)، دار المصنفين، أعظم كره، الهند، 1999م

21. گوبي چند نارنگ (المحرر): إقبال كا فن، ايجوكيشنل پبلشنگ هاوس ، دهلي، الطبعة الرابعة، 2007م

22. محمد إقبال: كليات أُقبال (المجموعة الشعرية الأردية، شرح: عبد الحميد يزداني)، كتابي دنيا، دهلي، 2004م

23. محمد إقبال: كليات أُقبال (المجموعة الشعرية الفارسية)، شيخ غلام علي ايند سنز، لاهور، 1972م

24. الموقع على الإنترنت: www.eltwhed.com/vb/showthread.php%3F2688-%25C7%25E1%25E

25. نيكولسون: The History of Arabic of Arabic Literature، ايديلفي تيريس، لندن، 1907م

26. يوسف حسين خان: روح إقبال (باللغة الأردية)، أكادمية غالب، دلهي الجديدة، الطبعة السابعة، 1976م

27. يوسف سليم، الجشتي: شرح أسرار خودي، اعتقاد پبلشنگ هاوس، دهلي، 1998م

البروفيسور أبو محفوظ الكريم المعصومي، حياته ومآثره

- د. أورنك زيب الأعظمي

البواربة جمعُ البوربي مصطلح وضعه العلامة غلام علي آزاد البلغرامي لمن قطن شرقي الهند من ولايات الله آباد وأودهه وعظيم آباد. هذه هي الولايات الثلاث التي تسمّت مجموعتها باسم "ديار بورب"، و"بورب" (Pūrab) كلمة هندية تعني "المشرق". قد قام فيها العلم وقعد منذ فجر تاريخها فبرز فيها علماء كبار وأدباء حذّاق وفنّانون مهرة ولكل منهم صيت ذائع تجاوز حدود الوطن وبلغ كل أنحاء العالم. فكما ولد بها كبار علماء التفسير والحديث والفقه والحكمة فكذلك برز فيها أدباء اللغات العديدة المحلية والعالمية وشعراؤها الفحول. ومن بينهم من اشتهر بإحياء التراث العربي والإسلامي نقداً وتحقيقاً ونشراً، واسم البروفيسور أبو محفوظ الكريم المعصومي واحد من هؤلاء الباحثين والمحقّقين الذين أحيوا من التراث العربي الإسلامي ما قد كاد أن يموت وأن يجهل عنه العالم العربي ذاته. وبجانب هذا فهو كان شاعراً كبيراً للعربية والفارسية والأردوية وكان يكتب كذلك بالإنجليزية وكان له اليد الطولى في علم التفسير والحديث فنودّ اليوم أن نسلّط بعض الأضواء على سيرته وخدماته في مختلف مجالات العلم والأدب والفن.

الخلفية الثقافية: وفرة الجوّ الملائم أمرٌ مطلوب لنشأة ذوق وتنميته فبدونه لا يرجى هذا الأمر إلا قليلاً نادراً. ومن حسن الحظ أن البروفيسور أبو محفوظ الكريم المعصومي قد وفّق جواً ملائماً لنموّ ذوقه العلمي والأدبي فكان أبوه عالماً كبيراً في عصره كما كان أخوه الدكتور صغير حسن المعصومي من كبار المحقّقين في مجال البحث والتحقيق وزدْ على هذا جهده الجهيد الذي بذله في الظفر بهذه الغاية التي تفتخر بها الهند وأبناؤها. يقول هو عن أبيه وروعته في العلم والتعليم:

"كان أبي مولانا محمد أمير حسن بن الشيخ محمد معصوم، رحمهما الله تعالى، خامس إخوانه الستة وقد حصل على العلوم الإسلامية إلى بعض أبواب كتاب "مختصر المعاني" للتفتازاني في المدرسة الإسلامية في مدينة (بهار شريف) ثم سافر إلى مدينة (إله آباد) من عواصم مقاطعة (أوترا برديش) وانتسب إلى المدرسة السبحانية بها، فزامله ثلاثة آخرون منهم مولانا أبو المحاسن محمد سجاد، وهؤلاء الأربعة هم الطبقة الأولى للمتخرجين على الشيخ القدوة مولانا عبد الكافي وأعوانه في التدريس بهذه المدرسة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية. واختبرهم على رؤوس الملأ أعلام العلماء إذ ذاك. ولما جاءت نوبة أبي، أعجب به أحد المختبرين العلامة الكبير مولانا أبو الخير محمد عبد الوهاب السربهدوي، إعجاباً شديداً، حتى كتب على ورقة الشهادة قطعة ارتجلها في وصف هذا الطالب ثم أثبت توقيعه عليها وهي بنصها وفصها كما يلي:

تلألأ في الدجى بدر منيـــــر وفي الأفلاك فوق النـور نور

أضاء بضوئه صفحات دهــر وفي لمعـــــــــانه برّ وبير

وهذا الدر نوره نور علـــــم ببهجة وجهه انشرح الصدور

به اكتسب العلاء عزيز مصر غريب الدهـــر في علم أمير

نقلاً عن ورقة الشهادة"[1].

انتسب أبوه إلى المدرسة العالية، كولكاتا في 1908-9م وقضى بها حوالي ثماني سنوات. لقّبته الحكومة البريطانية بـ"شمس العلماء" في 1913م. وتوفّي في عام 1917م.

إنه قام بالتدريس في المدرسة السبحانية ومدرسة معين الإسلام والمدرسة العالية والمدرسة الحمادية.

وأما أخوه الأكبر الدكتور محمد صغير حسن المعصومي (ت 1996م) فيقول عنه الشيخ سحبان روح القدس الندوي:

[1] بحوث وتنبيهات، ص 64-65

"قد رزق الشيخ محمد أمير حسن ولدين أحدهما الدكتور صغير حسن المعصومي (ت 1996م) والآخر حضرة الأساتذة العلامة أبو محفوظ الكريم المعصومي. اعتبر هذان الأخوان من محقّقي الطبقة الأولى فقد نال الدكتور محمد صغير حسن شهادة الدكتوراه من جامعة أوكسفورد على "كتاب النفس" لابن باجة الأندلسي (ت 533هـ) الذي قام هو بإعداده كما قام بنشر النص العربي للكتاب وترجمته الإنجليزية --- كان الدكتور صغير حسن بروفيسوراً للدراسات الإسلامية في جامعة بهاول (الباكستان) ثم انتسب إلى معهد البحوث الإسلامية (إسلام آباد) وتقاعد على المعاش كمدير ومن ثم اختير أستاذاً زائراً في الجامعة الإسلامية الدولية (ماليزيا) وأنفق هنا سنة ونصف سنة. إنه قام بنشر مقالته القيّمة حول "الإمام فخر الدين الرازي وكتابه كتاب النفس والروح" في مجلة الدراسات الإسلامية (إسلام آباد) وكان عضواً لمجمع اللغة العربية (المجمع العلمي العربي سابقاً) وقد نشر له العديد من المؤلفات التي قام هو بتحقيقها ومن أبرزها "الرسالة الباهرة في الرد على أهل الأقوال الفاسدة" لابن حزم وكذا قام بتحقيق "اختلاف الفقهاء" لأبي جعفر الطحاوي، الذي نشره من جامعة إسلام آباد، الباكستان. توفّي بإسلام آباد في 1996م"[1].

ولعل جوّاً أكثر ملائمة من هذا يصعب تواجده الآن في الهند وفوق هذه فقد قام أساتذته البارعون بتربيته الجيّدة كما شجّعوه تشجيعاً وسيأتي بيانه فيما بعد.

مسقط رأسه: كما ذكرت في المدخل أن ديار المشرق كانت موزّعة في ثلاث ولايات؛ الله آباد وأودھ وعظيم آباد، ويقع مسقط رأس البروفيسور المعصومي في الولاية الثالثة أي عظيم آباد. وعظيم آباد هي بتنة (Patna) القديمة وضواحيها، ومحافظة بتنة أصبحت الآن محافظة نالدة (Nālanda)، ومسقط رأس المعصومي يأتي تحتها في بلدة بهار شريف (Bihār Sharīf) التي سمّي بها ولاية بهار. ولد المعصومي في حيّ "مهوا تولة" (Mahuwa Tola) الذي كذلك يعرف بـ"سوسرائي" (Sausarāi) الذي كتبه البروفيسور المعصومي "سرائ"[2].

[1] مجلة "معارف"، 184/3/222-223

[2] بحوث وتنبيهات، ص 63

ولد البروفيسور أبو محمد[1] محفوظ الكريم المعصومي البهاري في هذا الحيّ في 31 من شهر يوليو سنة 1931م إلا أن السيد أبو الكلام الرحماني كتب سنة ولادته 31 من شهر أغسطس سنة 1931م[2] وهو وهم منه وذلك لأن المعصومي نفسه ضبط تاريخ ولادته ما ذكرناه آنفاً وقد أجمع عليه عامة العلماء والباحثين وأصحاب التراجم.

دراسته الابتدائية والعليا: بدأ دراسته ببيته ثم التحق بمدرسة في حيّه تسمّى "مدرسة منير الإسلام" ودرس بها حتى التحتانية ثم رافق والده إلى كولكاتا ودرس حتى العلوم المتوسطة على والده المكرّم وشقيقه الأكبر الدكتور صغير حسن المعصومي، ولنسمع قصة تعلّمه على والده وشقيقه الأكبر على لسانه فهو يقول:

"كنت أصغر أولاده الذكور واتفق لي أن أرافقه في الأسفار قبل أن أجاوز السنة الخامسة من عمري، فقرأت عليه كتاب الله العظيم إلى آخره مع بعض الكتب الأردوية ثم الفارسية إلى أن جاءت نوبة اللغة العربية تصريفاً ونحواً إلى "الشافية" و"الكافية" لابن الحاجب و"الفوائد الضيائية" شرح الكافية للشيخ عبد الرحمن الجامي. وقد أحفظني أبي كتاب "نصاب الصبيان" لأبي جعفر الفراهي، وهو مجموعة قصائده الفارسية سرد فيها مفردات اللغتين العربية والفارسية وهي على أوزان العروض المختلفة كلها، ثم أحفظني كتاب "نيل الأرب في مثلثات العرب" للشيخ اللغوي حسن قويدر الخليلي. وقد شارك أبي في تدريسي وترغيبي في إتقان اللغة العربية نظماً ونثراً أخي الكبير الدكتور محمد صغير حسن المعصومي الذي نال الدكتوراه من أوكسفورد وصار أحد أعضاء مجمع اللغة

---

[1] وجدنا هذه الكنية في كتاب "فقه السنن والآثار" الذي جاء فيه:
"إلى حضرة الأستاذ البارع في علوم الشريعة الحقة المضطلع بأعباء التعاليم الدينية القحة طلّاع أنجدة لمّاع أندية مولانا المفتي السيد محمد عميم الإحسان المجددي البركتي عمّ فيضه أنشأها الأستاذ الفاضل الأديب أبو محمد المدعو بمحفوظ الكريم المعصومي البهاري ممتاز المحدثين سلّمه الله، الناشر"، فقه السنن والآثار، ص 397 ولكنه عادة يكتب "أبو محفوظ الكريم معصومي".

[2] مجلة "روح أدب"، 73/98-95/26

العربية المراسلين بدمشق، قرأت عليه اللامية المنسوبة إلى السموأل بن عاديا وغيرها وبعض الحكايات من "نفحة اليمن" للشرواني وأشياء أخرى"[1].

وعلى مشورة من والده التحق البروفيسور المعصومي بمدرسة في دهاكه تسمّى "مدرسة حمادية" ولكن أدّى الاختبار من هيئة الامتحانات المدرسية، كولكاتا ونجح بتقدير ممتاز في 1943م حائزاً على الدرجة الثالثة على مستوى الولاية، وقد أخطأ السيد محمد أمين عامر فيما قال إنه نال شهادة "العالمية" من المدرسة العالية، كولكاتا (الجامعة العالية حالياً) في 1949م[2]. فكلتا المعلومتين اللتين وفّرهما السيد محمد أمين عامر خاطئة وذلك لأنه قد تمّ تعيينه كمدرّس مساعد في المدرسة العالية في 1949م.

وهذه هي السنة التي أصاب والده المرض الشديد فغادرها ورجع إلى داره في بهار شريف فمضى هنا لسبيله. نعم، قد التحق البروفيسور المعصومي بصف "الفضيلة" في المدرسة العالية، كولكاتا في 1943م وقد أدّى اختبارها في 1944م فنال الدرجة الثانية على مستوى الولاية ثم التحق بصف "التخصص في الحديث" ونجح فيها حائزاً على الدرجة الأولى على مستوى الولاية.

وثم أصرّت والدته على أن يتزوّج فرضي عنها كما غادرها لدهاكه على مشورة من شقيقه الأكبر لكي يستفيد منه في مجال العلوم الجديدة[3].

وقد بقي ذكر علي كره فيما بين المعاهد التي استفاد منها المعصومي فقد حصل بها البروفيسور المعصومي على شهادة البكالوريوس في 1967م وعلى شهادة ماجستير في 1969م إلا أنه لم يعمل الدكتوراه من هنا.

شيوخه وأساتذته: والشيوخ والأساتذة الذين استفاض منهم خلال دراسته أو تأثر منهم في حياته هم كما يلي:

1. أبوه المكرّم الشيخ محمد أمير حسن (ت 1943م)
2. الشيخ محمد نذير الدين الكتكي (ت 1945م)

---

[1] بحوث وتنبيهات، ص 66
[2] مجلة "روح أدب"، 60/98-95/26
[3] بحوث وتنبيهات، 67-68

3. المفتي السيد محمد عميم الإحسان المجددي البركتي (ت 1947م)
4. العلامة الشاعر عبد الرحمن الكاشغري (ت 1979م)
5. المفتي محمد شفيع الله حجة الله الأنصاري الفرنغي محلي (ت 1979م)
6. شمس العلماء ولايت حسين البيربهومي (ت 1984م)
7. شقيقه الأكبر الدكتور صغير حسن المعصومي (ت 1996م)

الوظائف والخدمات: بدأ عمله بالعون العلمي المقدّم إلى العلامة الشاعر عبد الرحمن الكاشغري فقد كان البروفيسور المعصومي حبيباً لدى الشيخ محمد ضياء الحق عميد المدرسة العالية، دهاكه وهو كان يتقلب إليه فأشار العميد الذي كان من شيوخه أن يقوم بدراسة نقدية لتفسير الطبري تحت إشراف العلامة الشاعر عبد الرحمن الكاشغري، العمل الذي بدأ به في 1948م كما قام بكتابة مقالة قيّمة بالأردوية عرّف فيها بالكتاب ونشرت في مجلة "معارف" الشهرية الهندية فأثنى عليها العلماء والباحثون وشجّعوا الكاتب.

وخلال هذه المدة أعلنت حكومة غربي بنغال بإحياء المدرسة العالية بكولكاتا فقدّم البروفيسور المعصومي الطلب للتدريس فيها، الذي نال القبول وتعيّن البروفيسور كمدرّس مساعد (Assistant Teacher) في هذه المدرسة فرجع الشيخ إلى الوطن[1].

عمل البروفيسور المعصومي على ذلك المنصب حتى الثامن من فبراير سنة 1950م وفي التاسع من فبراير سنة 1950م تمّ تعيينه كأستاذ مساعد في تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية، المنصب الذي عمل عليه حتى العاشر من أكتوبر سنة 1968م وفي الحادي عشر من أكتوبر سنة 1968م عيّن بروفيسوراً في الحديث والتفسير وقد تقاعد على المعاش وهو كان يعمل على هذا المنصب في 31 من يوليو سنة 1991م[2].

---

[1] وقد كتب السيد محمد أمين عامر اسم المنصب "Assistant Moulvi"، مجلة "روح أدب"، 61/98-95؟26

[2] وقد كتب السيد محمد أمين عامر عن شهر التقاعد على المعاش أنه أغسطس سنة 1991م، مجلة "روح أدب"، 62/98-95/26 بينما ما كتبته قد ضبطه المعصومي نفسه، بحوث وتنبيهات، ص 69

وخلال احتلاله منصب البروفيسور أقيم مقام العميد، ويقول السيد شميم أختر سعيد إنه تقاعد على المعاش كعميد للمدرسة[1] ولكن يبدو من وثائق المدرسة أنه جعل العميد مرتين؛ إحداهما في المدة ما بين 1969م حتى 1971م والأخرى في الفترة ما بين 1973م حتى 1983م ولو أن كلا المنصبين مهمّ ولكن المعصومي لم يشر إليه.

وظائف وخدمات أخرى: وبجانب هذه الوظائف تولّى البروفيسور المعصومي وظائف أخرى وخدمات ومناصب عديدة كما عيّن عضواً لهيئات متعددة فمن تلك الوظائف والخدمات والمناصب ما يلي:

1. ركن، المجلس الإداري، دار العلوم بندوة العلماء، لكناؤ
2. ركن، المجلس الإداري، دار المصنفين، أعظم كره
3. عضو، هيئة الإدارة، مجلة "معارف"، دار المصنفين، أعظم كره
4. عضو، الجمعية الآسيوية، كولكاتا
5. ركن، الجمعية الإيرانية، كولكاتا
6. عضو، الجمعية الإيرانية، كولكاتا
7. رئيس التحرير، مجلة "إندو إيرانيكا"، الجمعية الإيرانية، كولكاتا
8. ركن، المجلس الإداري، أكادمي غربي بنغال الأردوي، كولكاتا
9. رئيس، أكادمي غربي بنغال الأردوي، كولكاتا
10. عضو، هيئة التحرير، مجلة "روح أدب"، أكادمي غربي بنغال الأردوي، كولكاتا
11. رئيس، الأوقاف، غربي بنغال
12. ركن، بزم أحباب (منظمة الأدباء)، كولكاتا
13. إمام العيدين، مسجد مدينة كولكاتا الجامع
14. مشرف، مختلف المدارس الإسلامية ---[2].

وقد أخطأ السيد علقمة شبلي[1] حيث كتب أن البروفيسور المعصومي كان ركناً للمجلس الإداري لمدرسة الإصلاح بسرائ مير. والواقع أنه لم يكن ركناً له بل زارها مرة واحدة كما أخبرني به مديرها الشيخ أشفاق أحمد الإصلاحي.

---

[1] مجلة "روح أدب"، 80/98-95/26

[2] المصدر نفسه، 9-10 وغيرهما

في مجال البحث والتحقيق: قضى البروفيسور المعصومي معظم عمره في القراءة والدراسة فهو كان يكثر القراءة، يحكي قصة دراسته السيد أشرف أحمد الجعفري القائم بشئون مكتبة الحاج عبد الله كما يلي:

"والواقع أن الشيخ المعصومي كان ولعاً بالدراسة والقراءة فهو كان يقرأ ولو شيئاً ما فذات مرة جاء في الليل وقال للسيد وقار عظيم: إنك تغلق باب المكتبة بعد الساعة التاسعة ليلاً فنطلب منكم أن تحجزها لي بالليل على قدر من المال لكي أجلس فيها في الليل وأدرس هنا بهدوء واطمئنان"[2].

كان الشيخ يكتب قدر ما كان يقرأ أي هو كان مكثراً في الكتابة كما كان مكثراً للقراءة. يقول السيد أشرف أحمد الجعفري:

"وبالجملة فقد شهدت خلال مدة خدمتي للمكتبة، الممتدة على ست سنوات أنه كان يقرأ في معظم الأحيان، والحق أنه كان يكتب وينشر قدر ما كان يقرأ ولكن موضوعي ليس بدراسة تحليلية لخدماته الأدبية والعلمية وعلى هذا فأصرف النظر عن ذكرها ولكني لا أصبر عن القول بأنه كتب بالعربية والفارسية والأردوية والإنجليزية ما لن يمكن به لأحد أن يصرف النظر عن شخصيته"[3].

وقد كان الشيخ مولعاً بالكتابة منذ صغره فهو بنفسه يكتب:

"حينما لم أكن أعرف أستاذاً غير أبي وأمي، وذلك عند مروري بالكافية لابن الحاجب، وبشرحها الموسوم بالفرائد الضيائية للعلامة الشيخ عبد الرحمن الجامي، لعبت بقريحتي داعية التلهي بألعوبة عجيبة، وهي أني- سرّاً من أبي وأخي كليهما- كنت أقرأ بنفسي كتاب حياة الحيوان للعلامة الدميري، وأستعين لحل مشكله وغريبه بكتاب "الصراح" للشيخ الإمام أبي الفضل محمد بن عمر بن خالد المدعو بجمال القرشي الذي ظفر بنسخة مصحّحة من صحاح الجوهري بخزانة كتب المدرسة الصاحبية البرهانية المسعودية بكاشغر فترجم مفردات اللغة وسمّى هذه الترجمة "الصراح من الصحاح" فكنت أولاً وقبل كل شيئ، أغيّر بعض كلمات الإمام الدميري تغييراً يسيراً أو كثيراً مهما استطعت في

---

[1] المصدر نفسه، 9

[2] المصدر نفسه، 50

[3] المصدر نفسه، 55-56

التعبير عما ذكره وشرحه الدميري في كل ترجمة من تراجم الحيوانات. فهكذا كنت أؤلّف لنفسي على كل من الإبل والأسد والفرس وما إليها كتيباً على حدة، وكنت أزبر هذه التأليفات القصيرة بخط يدي على قرطاس ثمين من صنع بعض البلدان الإفرنجية وأستعمل المداد الأسود الصيني للكتابة وكنت أعتقد في نفسي أنها مؤلفاتي! ثم اتفق ذات يوم أني اطلعت في ذخيرة أخي على "الدر النضيد في غرّ القصيد" و"المقامات السنديبية" وكلاهما للعلامة الشيخ الكبير مولانا عبد الأول الجونفوري أصلاً والسنديبي مولداً (دفين كلكتا) والأول ديوان شعره والآخر مجموعة مقاماته على منهج الهمذاني والحريري. فتاقت نفسي اللعابة أن تؤلّف على طرازها مجموعة مقالات عديدة فاتفق لي تأليفها ووصفت فيها جبال (راج كير) وغياضها بعربيتي الأولى نثراً ونظماً فسمّيتها (المقامات الراجكيرية). وكل ذلك كان مما اخترعه طبعي دون مبالاة بالخطأ والغلط. هذه الألاعيب أفادتني كثيراً، حتى إنني لما اشتركت في مختلف الامتحانات المدرسية أو الجامعية كنت لا أخشى أن تذهب كتابتي سدًى أو تعود عليّ قليلة الجدوى"[1].

نشرت أولى كتاباته مجلة المدرسة العالية في 1951م فقد قام فيها البروفيسور المعصومي بتحقيق قصيدة "العروس" لشاعر القرن الأول خالد بن صفوان، وفي أثناء ذلك نشرت له مقالة حول أهمية تفسير الطبري. كان البروفيسور آنذاك ابن 17 أو 18 سنة ومن ثم تدفّقت له عين الكتابات والبحوث التي استمرت حتى موته فما كتبه الأستاذ المعصومي قام بكتابته بدقة وجودة، وفيما يلي فهرس وجيز لمقالاته المصطفاة:

1. أبو جعفر المصادري، نتف من حياته وآثاره وتلاميذه ومن إليهم
2. أبو علي الهجري ونوادره
3. قدامة بن جعفر الكاتب، بحث في نسبه وإسلام سلفه
4. كعب بن زهير، نسبه وشعره
5. شرف الدين البوصيري في قصيدته الميمية
6. صدر الدين الشيرازي، حياته ومآثره

[1] بحوث وتنبيهات، 57-58

7. العلامة مرتضى الحسيني البلجرامي الزبيدي، حياته وآثاره
8. شاناق الهندي، نتف من ترجمته وآثاره مع تحقيق فصل من كتابه "منتحل الجواهر"
9. خسرو ومكانته في اللغة العربية
10. مع خسرو في حدائق شعره، تفاريق معربة وموزونة من شعره الفارسي
11. مقطتفات من شعر غالب
12. أغاني الشعب الكشميري
13. نظرة في أهمية اللغة العربية في الهند
14. إطلالة على ازدهار الحديث والمحدثين في إيالة بهار
15. قصة الأرز في الأدب العربي
16. قرابة أم مسطح من أبي بكر الصديق
17. نظرات في كتاب "المحدث الفاضل بين الراوي والواعي" للرامهرمزي
18. على طرر سير أعلام النبلاء للذهبي
19. ذكرى العلامة عبد العزيز الميمني الراج كوتي
20. طرر اللآلي وسمطها الغالي
21. قصيدة العروس
22. نفاضة الجراب حول ديوان ابن الدمينة
23. روائع نادرة من شعر جميل بثينة
24. ديوان بشر بن حازم الأسدي
25. ديوان ابن مقيل
26. كتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي

أسلوب الكتابة والتأليف: كان أسلوب كتابة البروفيسور المعصومي شبه صعب فهو كان يختار في نثره وفي نظمه كلمات صعبة وتراكيب معقدة ولكنه لم يرغب عن الموسيقى في كلامه فقد قرأت معظم كتاباته، نظماً ونثراً، إنها تعلوها الموسيقى ولو كلماتها صعبة. هذا الأسلوب من كتابته نشهده في كل من كتاباته العربية والأردوية والفارسية إلا أنه لم يراع ذلك في كتاباته الإنجليزية. يقول عن أسلوبه في الكتابات الأردوية السيد أبو الكلام الرحماني:

"أما فيما يتعلق بلغة الشيخ المعصومي فلا شك أن أسلوبه جذّاب خلاب إلا أن لغته صعبة ولعل السبب وراء ذلك سيطرة العربية والفارسية عليه لاسيما الصبغة العربية التي قد سيطرت عليه إلى حدّ لم يعلها لون آخر وعلى هذا فنجد في كتاباته الأردوية اللون العربي الصعب"[1].

وكذا يقول السيد نور الهدى:

"كان الشيخ المعصومي قد طوّر اللغة العربية وآدابها وعرف كنه القرآن والحديث، وقضى معظم عمره في التدريس والتعليم. واللغة العربية لغة أهل الجنة وستحيى حتى وبعد القيامة وعلى هذا فلا بد من أن يشوب كتابات الشيخ المعصومي، نثراً ونظماً، جانب من الكلمات العربية والفارسية. لم يكد القليلو العلم من علماء كولكاتا القليلي البضاعة في الثقافة والعلماء المزعومون يصبرون على علوّ كعبه في اللغة والأدب ---- وفوق ذلك فقد كانت شخصيته جامعة بين العلم والتقوى"[2].

ويجمل بنا لفهم أسلوب كتابته وتأليفه أن ننقل فيما يلي نتفاً من كتاباته العربية والأردوية والفارسية والإنجليزية فيقول الشيخ المعصومي وهو يبدأ بمقالته حول "قصة الأرز في الأدب العربي":

"هذه وقعة تاريخية، وليست قصة تنسجها فكرة كاتب، وهنالك حوادث جمة وعاها التاريخ، وهي تشبه أقاصيص يبتكرها بارع من الكتاب، تكون لنا في قراءتها متعة ولذة- فهذه القصة من قبيل تلكم الحوادث.

الأرز- كما تعرفون- ضرب من الحبوب معروف- وهو غداء هام عند أكثر شعوب آسيا- يرجع تاريخ زرعه في الهند خاصة إلى حوالي خمسة آلاف سنة قبل الميلاد كما ثبت في ضوء أحدث الاكتشافات الأثرية.

ما كان الأرز يعرفه العرب في الماضي السحيق. فلا بد أن تكون كلمة (الأرز) دخيلة على لغتهم شأن طائفة كبيرة من الألفاظ المأخوذة عن مختلف اللغات استعاروها في أثناء الروابط التجارية بينهم وبين الهنود وغيرهم من أمم الشرق.

---

[1] مجلة "روح أدب"، 79/98-95/26

[2] المصدر نفسه، 34

لقد تعدّدت صورة الكلمة على ألسنة العرب فصارت ست لغات أرز وأرز مثل رسل ورسل- وأرز وأرز مثل أشد وعتل- ورز وربز مثل ود وجد هذه الأخيرة لغة عبد القيس وهي قبيلة- كما عرفتم في الحديث النبوي- تسكن البحرين وقطر البحرين من أقرب الأقطار العربية إلى الهند يحول بينهما الخليج الفارسي"[1].

ویقول حین الکلام عن شعراء العربیة الهنود:

"اہل عجم کی ترقی وعروج کے ساتھ ساتھ فارسی زبان بھی پروان چڑھی اور یھی ان کے درباروں کی زبان بنی لیکن اس کا مطلب ھرگز یہ نھیں کہ ان کو زبان عربی کے ساتھ اعتنا نہ تھا، کیونکہ ھمیں انھی زبانوں میں زمخشری، رشید الدین وطواط، حسن صغانی، عبد القاھر جرجانی، بدیع الزمان ھمدانی، خطیب تبریزی، ابو بکر خوارزمی جیسے سینکڑوں ائمۂ لغت واعیان شعر وادب کے نام ملیں گے، جو آسمان عجم ھی کے مھر وماہ تھے. اھل عجم نے عربی کی خدمت اپنی مادری زبان سے کم نھیں کی، وہ ان کی مذھبی زبان تھی، اس لئے اس کو احترام کی نگاہ سے دیکھتے تھے، اور آج تك اسی نگاہ سے دیکھی جارھی ھے.

عربی شاعری جب صحرا سے نکل کر اھل بادیہ کی عنجھیت اور مخضرمین کی عبقریت کھو بیٹھی اور ادباء مولدین، عربوں کی فطری سادگی اور ان کی خالص عربی تعبیر واسلوب کو زیادہ دنوں تك قائم نہ رکھ سکے، تو رفتہ رفتہ اس صحرائی ادب کی معصوم سادگی عجم کے صنائع وبدائع کی رنگارنگی میں گم ھوگئی.

اھل عجم نے اپنے خیالات کو عربی قالب میں ڈھالا، قوانین وضوابط قیاسیہ کو برتنے میں وہ بیشک کامیاب رھے، لیکن اس تعبیر واسلوب کو نہ پاسکے، جو خالص عربی اسلوب کھا جاتا ھے. قواعد علمیہ کے ذریعہ کسی زبان کے تمام اسالیب وطرق کا احاطہ نھیں کیا جاسکتا کہ ان کا جاننے والا اپنے ما في الضمیر کو اس زبان کے مخصوص طریقہ میں

[1] بحوث وتنبیهات، ص 447-448

بالكل اسی طرح تعبیر کرسکے جس طرح ایک اهل زبان ادا کرتا هے، اس کے لئے اس زبان کے اسالیب کی دائمی مزاولت وتتبع شرط هے.

عجمی ادباء کے کلام میں سب سے بڑی خامی اسی "اسلوب" کی هے. ان کا کلام رفعت خیال، جدت طرازی، امیال وعواطف اور دوسرے اوصاف کے لحاظ سے کتنا هی بلند هو لیکن اس میں عربوں کے مخصوص انداز بیان کا فقدان نظر آتا هے، اس لئے وہ نقادان سخن کی نگاهوں میں نهیں جچتا"[1].

ويقول في مقالته عن حياة وخدمات الشيخ مخدوم شرف الدين أحمد بن يحيى:

"Maniar in the neighbourhood of Patna is a well known place to the antiquarians. Just before the expansion of Muslim rule in the northern parts of India, according to some recent findings, the area including Maniar was under a certain Raja Govinda Chandra Dev of Kanouj. It is almost established from the contents of a copper plate issued by the said Raja, some time in Jayeshtha, 1183 Vikrama Samayat, corresponding to the year 1126 A.D. However, the early history of the place under the banners of Islam begins with the arrival of a certain group of Muslims led by the celebrated Imam Mohammad b. Abu Bakr alias Taj Faqih, eight years before the downfall of Gaznavids, when Shamsuddin Mohammad b. Shah wrested the Punjab from Khusrau Malik in about 1186 A.D./582 A.H. In other words, the arrival of Taj Faqih occurred about twenty years earlier than the march of Ikhtiaruddin Mohammad b. Bakhtiar Khalji towards the zone of Magadh Desk.[2]"

---

[1] مجلة "معارف"، مارس، 1950م

[2] مجلة "Indo-Iranica"، 10/2-1/63

الشعر: كان البروفيسور أبو محفوظ الكريم المعصومي من شعراء العربية والأردوية والفارسية. قد وفّق القريض في صغر سنه فقد قرض منظومة في هلال رمضان حينما بلغ من عمره التاسع. نسي البروفيسور تلك المنظومة إلا صدراً لبيت وهو:

طلع الهلال لنا برونق نوره[1]

أول ما صدر له من القصائد والمنظومات ما قاله مهنّئاً على كتاب "فقه السنن والآثار" للأستاذ العلامة عميم الإحسان المجددي. قرض المعصومي هذه المنظومة حينما جعل يدرّس في المدرسة العالية[2]، والمنظومة كما يلي:

هام الفـــؤاد وما له يتبخـــــــتر ... وإذا تميس يراعتي فالمحـــــبر
فكأن غانـــــية ســـلافة فطـــرة ... طلعت فما برح استهـيم المزبـــر
موصـــوفة في شكلها ممشـــوقة ... في قدّها درّيّـــة تتسعّـــــــــــر
معسولة الشفتين تنشـــــــر ميّتاً ... أنفاســـها مسـك تفـــوح وعنـــبر
رقـــــــراقة سقت البدور بنورها ... فتلألأت وجبـــــــينها متبـــلور
حسناء رائقة الجمـــــــال بديعة ... بيضـــاء محنتها فلا تتصـــــوّر
زهراء من لمع الهـــــدى تخليقها ... يسـقى شـقائق وجنتيها الكـــوثر
يا ما أحيـلي خنـدريس رضـــابها ... في جنـبها ماء الحيـــــــاة مكدّر
قدســـــــية نسباً دوين جمـــالها ... الشـمس تخسـف غبـــطة والعيّـر
عرفت بآثار الرســـــــول لأنها ... ذرأت بما نطـق النبـي الأطهـــر

---

[1] بحوث وتنبيهات، ص 66

[2] وقد ذكر الشيخ أبو سحبان روح القدس الندوي (مجلة "معارف"، 228/3/184) أن العلامة المعصومي قرض هذه المنظومة حينما كان طالباً في المدرسة العالية وهذا خطأ بيّن فإن الكتاب الذي نشرت فيه هذه المنظومة جاء فيه كما يلي:
"إلى حضرة الأستاذ البارع في علوم الشريعة الحقة المضطلع بأعباء التعاليم الدينية القحة طلّاع أنجدة لمّاع أندية مولانا المفتي السيد محمد عميم الإحسان المجددي البركتي عمّ فيضه أنشأها الأستاذ الفاضل الأديب أبو محمد المدعو بمحفوظ الكريم المعصومي البهاري ممتاز المحدثين سلّمه الله، الناشر"، فقه السنن والآثار، ص 397

عشقاؤها حفوا بكل كـــــــرامة وفخـــامة بين الكـــــرام ووقّروا
طوبى لعشّـــــــــاق الحديث لأنهم وجهـــــاء حولهم بدور تزهـــر
واليوم عاشقها الحمـــــــيم قتيلها أستاذنا الشهم النبـــيه الأزهـــر
الســـيد الســـند المؤثل مجـــده حلف المعـــالي الزاخـر المتبحّر
وله إذا وضعت منـــــابر غـــزة شمّـاء فارعـــة الســماوة منـــبر
إحســـــــانه عمّ العـــــوالم كلها عمّ الســماء بما تجـــود وتمطـــر
يا أيها المتفـــــــــقه الندس الذي سقي المعـــارف لن يضرّك منكر
ولك المآثر في المحـــــافل والعلى حقّـاً فأنت المـــــدرة المتـــــنوّر
ولك المعـالم في الزمـــــان بريقها ملأ الســـــــماء بأرضـها تتـنوّر
ولك التآليـــــف التواضع حشـوها درّ مضئ فالقـــرائح تبهـــــــر
ولأنت غوّاض الحديث تخوض في قاموسـه الطامي العبـاب ولا تمخر
لله درّك من سلـــــــيل معارف فإذا دروسك سلسبـيل يزخـــــر
أعظـــم بما ألفت من سـنن الهدى[1] ونظمت من درّ تلوح وتزهـــــر
وسبكت آثار النبي مجـــــــوّداً فإذا صحيـفتها صـــــباحٌ مسفر
و[2] نفخـت كلّ روايـة بدرايـــــة فقهـــية حتى الغوامض تظهـــر
ونثرت مخّ فقـــــــاهة حنفـــية في حسـن تبيين كـــدرّ ينـــــــثر
سيشعّ نورك في الجهات مشعشعاً حتام بارقة الحقـــــــــائق تستر
يا حضـرة الأستاذ جئتك واصـفاً بعـض المدائح كلما أتشـــــــعّر
ما جدّ في علـــــياء قـدرك مادحٌ إلا يقـدّم رجـــــله فيؤخّـــــــر
ما لي يدان بمدحك السـامي وهل قطـر يفـوز بمدح بحر يزخـــــر

[1] فقه السنن والآثار
[2] الواو ليست في الأصل وبدونها لا يستقيم الوزن

ولك المـدائح فـوق ما أنا ضغـته لا ذاك تلفـــــــيق ولسـتُ أزوّر

أحـظاك ربّ الناس كلّ كـــرامـة ووقـاك طـول الدهـر عما يحذر[1]

وممن استفاض في الشعر العربي يجيب عليه البروفيسور المعصومي نفسه فهو يقول:

"صغيرية: نسبة إلى أخي وشقيقي الأكبر الدكتور محمد صغير حسن، عضو المجمع اللغة العربية بدمشق وأحد أعضاء المجمع العلمي الهندي، نزيل إسلام اباد، أطال الله بقاءه، وبنوره استمرت استضاءتي في الشعر العربي وجميع أصناف الكتابة باللغة العربية إلى أن أسعدني الحظ بلقاء الأستاذ الشاعر المفلق عبد الرحمن الكاشغري رحمه الله."[2].

وقصائده ومنظوماته تحوي المدح والتقريض ومنظومات مختلف المناسبات والرثاء والتفاريق فلا نجد أي بدعة في شعره بالنسبة للموضوعات إلا أن كلامه يشبه كلام شعراء العصر الأموي من مثل أبي تمام وفي الهند يشبه كلامه شعر الشاه ولي الله الدهلوي وفضل حق الخيرابادي وفيض الحسن السهارنفوري ومع هذا فنجد في أبياته كثيراً من الموسيقى. ولنقرأ بعض نماذج شعره كما يلي:

يقول المعصومي وهو يرثي الشيخ شبير أحمد العثماني:

قـف ســـاعة بين المقـابر وهناك تنهمـــــل النواظر

وهنا "لسان الصمـت" أند ى من خطيب ذي زماجر

وهنـاك للقلـب الســـــليـ م إذا نأمــل كل زاجـــر

وإذا بكيـت مؤبـــــــــناً فابك الكبــير ابن الأكابر

شبـير أحمـد ســيد العلمـ اء جمّــاع المـــــــــآثر

هــذا الذي عرفـــت فضا ئله البوادي والحـــواضر

هـــــذا الذي ما قـط تنسا ه المكاتب والدفـــــــاتر

---

[1] فقه السنن والآثار، ص 397-398

[2] مجلة المجمع العلمي، يوليو 1985م/1-343/2

حقٌ لئن ترثيه عيـــــــدا ... ن المســـــــاجد والمنابر
حـقٌ لئن تبكـــــــــيه أقلا ... م الكتـــــــــابة والمحابر
هـــذا تبكّـــــــــــيه بأر ... بعْة عيـون أولي البصائر
وهـو الذي دحضـــت لدى ... عرفـــــانه حجج المكابر
ولســـانه كمجـــرّد ذي الـ ... شفرتين بكفّ شاهـــــــر
فبحكـــــمة وخـطابة غـرّا ... ء سخّـــر كلّ نافـــــــر
أحيى بملهـــــــــمه العلو ... م وقبـــــــله كانت دواثر
وأتى بتفســـــــــير الكتا ... ب فلاح وجه الحق زاهـر
ومطالـــب سمجـــت قريـ ... حته بها، بيض المســـافر
الله وفّـــــــــــــقه فجا ... ء بسعيه يحيي الشعـــائر
بالله أي رزيـــــــــــــة ... حلّت فتندهش المشـــاعر
تالله لا تحـظى بشـــــروا ... ه المحـــافل والمحـــاضر
أ فقـــــيد بغـــــــداد الجـ ... ديد منقـي ترابك كل ماطر
درّت عليـك سحـــــــائب ... تتـلو روائحهـا البواكـــــر
يا عين وابكـي ســـــــيداً ... ما قط ســـــايره مســـــاير
بطـــــــلاً تقـاذفـت البلا ... د به وخانـــــــته الأواضر
رجل العـــزيمة غير مفـ ... لول الشـــــــباة من البواتر
أما "التتـــــــــــار" فأمه ... وجـدوده مثم المنـــــــاخر
يدعـــى بـ"جـار الله" في ... حفـظ الشـريعة غير جائر
تبكيه تركســـــــــتان بل ... كل المـواطن والمهـــــاجر
يســـقيه وادي النـــــيل ... سقـــياً مستمراً غير ضائر
فكذاك تنقـــرض العصو ... ر وتمّحـي تلك المفـــــاخر

أما المنـــــــــية فهي لا تذر الكبـــار ولا الأصاغر
والله يطـــــــوي الدهـ ـر كيف يشاء طياً وهو ناشر[1]

ويقول مهنّئاً بكتاب "شعراء الرسول في ضوء الواقع والقريض":

زوّدينا حمـــــــــــائمَ الأطلال بأفانـــــــين سجعك المتوالي
لقّنينا بشـــــــــــدو كعب وجسّا ن وشرواهما فحـــــول الرجال
شعراء الرســـول من زمر الصحـ ـب كـرام النفـوس غرّ المعالي
شعراء الرســـــول ما فوقهم من شعـــــراء مصاقع الأقـــــوال
شعراء الرســـــــول بالله لم يأ توا بشيئ من هجـــــنة أو هزال
شعراء الرســـــول أكرم بهم من صُدُق في فعـــــــالهم والمقال
شعراء الرســـــول أعظم بهم من كرمـــــاء فطاحـــــل الأبطال
شعراء الرســـول عونهم في الشعـ ـر جبريل ملأك ذو فضـــــــال
شعراء الرســـــول أنصـــار دين الله جهراً في السرّ والأعمـــــال
لم يشب عدهم جفـــــــاء ولو كا ن قليلاً ولا قذى الأوحـــــــال
لم ينل (هوميـــــروس) أو (فرجل) أو شاعر ما، حظـوظهم من منال
(شعراء الرسول) في واقـــع الأمـ ـر وحرّ القريض عقـــــد اللآلي
اللآلي الرطاب أصـــــدافها الصد ق والإخلاص ثم حسن الفعـــال
قد غذاها الإيمـــــان بالله والرسـ ـل وآيات ربـنا ذي الجـــــلال
إنّ أصحاب خاتم الرســـل جـاؤا إي وربّ الورى بسحـــــر حلال
هم رهـابين كل ليـــــل وفرسا ن المذاكي غداة يوم النضـــــال
شعـــرهم أم نوافـــــــج المسـ ـك نمت عن عرار وأقحوان الرمال
شعرهم للنفـــــــوس أنفع تريا ق وأنفى لكل داء عضـــــــال

[1] مجلة "برهان"، 127-126/2/24

إنّ سفـــــراً بشعـــــــرهم يتجلّى لاح فوق الشعرى وضيئ الجمـــال
إنّ هذا العقـــــــد المفصّـل أبهى ما أضاءت به نحور الليـــــــالي
كل بيت في الانتقـــــــــاء ومجلا ه ومغـــــــــزاه الحق سلك اللآلي
درر البحـــــــــــر، يعتليها لآلي كلمات تروى مدى الأجـــــيال
هم خيار المخضـــــرمين لهم فضـ ل جليـــــــــل إلى مزايا جـزال
كم مزايا لهم أتت في كتـــــــاب الله، تتلى في الحـلّ والترحـــــال
وصفهم حازه الأناجيـــل والتـــو راة من قبل دون أي انتحـــــــال
رضي الله عنهم، ورضـــــوا عنـ ه بنصّ التنزيل لا التقـــــــــوال
لك يا صاحب الغـــــــرام بهم منـ قبة حزتها بغير اختـــــــــــلال
جنت تقفـــو ابن سيد الناس بالتطـ واف حول الموضـوع يا خيـر تال
كل بحـث نقّحته من هنـــــــا جا ء نقي اللباب بالغـــــــــــربال
لك فوق النقـــــــــاط سلطة بحّا ث مطلّ من شاهقـــات العـلالي
ولقد سقت كل مغـــــــــزى بضاد يّ مبين سلاســـــل سلســـــال
جبت بالله يا سعيد وعـــــــــورا ووهـــــاداً دون الوجـي في مجـال
قد خدمت الفصحى الكريمة مذ عهـ د طويل بلا وني واعتـــــــــدال
لك في معرض الصحـافة في الفصـ حى يراع لم يشـــــك أدنى كلال
لك في معـــرض الخطابة في الحـ ق لســـان لم يرم باضمحـــــلال
أنا، بالله معجـب بثـــــــــري أر ضـك مأوى الليـوث والأشـــبال
يا سعيد الرحمن! كم أعظمـــــــياً فقته بارعاً عديم المثـــــــــال
فقت لا الأعظمـيين وحـدهـمو بل غيرهم من أولي النهى والكمـــال
حقّ أن يفخـــــــر الشـيوخ بسيما ك، فقد أورثوك غرّ الخصـــال
هم شـموس التقى وبيض الدراري ونجوم الدجى وشـمّ الجبـــــال

نبغـــــــاء، بهم غدت تزدهي النـ دوة فوق الملوك والأقيـــــــــال
إنّ هـــذا الذي يسمّي "علـــــياً" قرمهم، لا يزال أسمى الرجـــال
ليس في العــرب لا ولا العجم فيما لاح، شرواه بين أهل الكمـــــال
إنّ هــذي عقيـــــــدتي وعفا الله تعالى عن كل معنى التغـــــالي
قادك الألمعـــــــــي (رابع) الوقـ اد، فيما أرى بحسن اعتـــــدال
وأراك النهج المســـــوّب لاستيـ فاء شتى الفصـــــول باستدلال
فتأتي لك العكـــــــوف على البحـ ث بالأهـــداف كلها بانفصـال
صاحب الفضـــــل! إنني كلما فهـ ت بشيئ، ما فهت باستعجـــال
إنني ذرة فخـــــــــذ من طفيفي حسب طوقي من ربنا المتعـالي
قـــــد تسـلمت من كتابك هـــذا نسخـــة صنتها كأغلى الغوالي
كيـف لا؟ وهي من هـــداياك والآ تي بها فوق كل عـال وغـــال
إنّ هـــــــذا للصولتي أبو فيـضـ ي الأزهـــري حلف المعـــال
ذلك الأزهـــــــري ما زال محبو باً، بقطـــــري بيهار والبنغال
أنت يا مرسل الهـــــــدية مفضا ل كبـــــير وأيما مفضـــــال
قمت أزجي إليك شكـــراً ووسعي لم يجز قط ســـاحة الإقـــلال
لست ممن يجيد شعـــــــراً ولا نثـ راً فهاكم ما صـــاغ حالي وقالي[1]

وله قصيدة طويلة في ذكرى العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي[2].

وكذا قرض القصائد بالفارسية ولكنه لم يخلف كثيراً فيها فننقل ما يلي مختارين من مختلف المجلات الصادرة عن الهند:

فيقول المعصومي عن "بزم إيران":

---

[1] مجلة "البعث الإسلامي"، 81/8/43-83
[2] مجلة المجمع العلمي، يوليو 1985م/1-2/214-323

بزم ایران است باغے دلســـــتاں طور دانش را چراغے ضوفشاں
در بلندی مهر وانجـــــــم آستاں یا فرود آمد ز گردوں کهکشـــاں
یا مگر کلکته گشته آسمـــــــــاں در برش مهـــر ومه واستارگاں
هر یکے مضراب شن بر تار جاں طوطی شکر شکن، شیرین زباں
غـــــــربی بنگاله را روح رواں غلغله انداخته اندر جهـــــــاں

بزم ایراں باد یا رب! بے خزاں[1]

ویقول في نفس القصيدة:

آهـــــوئے تاتار ما، ایں بزم ما نافه ســـیار ما، ایں بزم ما
درهم ودینـــــار ما، ایں بزم ما اندك وبسیار ما، ایں بزم ما
لولوئے شهــوار ما، ایں بزم ما لاله وکهسار ما، ایں بزم ما
گردش پرکار ما، ایں بـــزم ما سنجش أفکار ما، ایں بزم ما
کبك خوش رفتار ما، ایں بزم ما طوطئ گفتار ما، ایں بزم ما
نیکی کـــــردار ما، ایں بزم ما بربط هر تار ما، ایں بزم ما
سبحـــــه وزنار ما، ایں بزم ما طــره دستار ما، ایں بزم ما

بزم ایراں قبله دانشـــــــوراں[2]

وبجانب اللغة العربية والفارسية فهو قرض الأبيات باللغة الأردوية وهي لغته الأم ولكن قصائده ومنظوماته ليست بكثيرة فهو نفسه يقول عن شعره الأردوي:

"لا أدّعي بأني شاعر كبير للأردوية فقد نشرت لي بعض القصائد والمنظومات في الجرائد الأردوية المحلية كما نشرت لي ملحمة طويلة (قلمنامه) في جريدة

[1] مجلة "Indo-Iranica"، 22/2-1/63
[2] المصدر نفسه، ص 23

"انقلاب" الصادرة عن مومبائ خلال الأيام الأخيرة لمدير تحريرها المرحوم ظ. الأنصاري"[1].

وفيما يلي نموذجان من شعره الأردوي فهو يقول في منظومته المخمّسة على طراز منظومة العلامة السيد سليمان الندوي:

میرے مولا دل احســـــــــان شناسا دیدے

موج زمـــــــزم میں دلی روح سراپا دیدے

روح قرآن میں بسی زندہ تمنـــــــــا دیدے

صدق احســاس کی دولت میرے مولا دیدے

غم امروز بھلا دے غم فـــــــــــــردا دیدے

میری ہستی ہے گناہوں سے رہین پســتی

عفو فرما مری ہو ہر معصیت وسرمســتی

لطف سے تیرے ہو سرسبز یہ اجڑی بستی

دھن کچھ ایسی ہو فراموش ہو اپنی ہستی

دل دیوانہ وســـــــــــــــودائ وسودا دیدے

بھر دے تاریك فضـــــــا نور اتم سے اپنے

درس قرآن پڑھـــــــــا لوح وقلم سے اپنے

راہ سنت پہ چلا فضـــــــل ونعم سے اپنے

اپنے میخانے سے اور دست کرم سے اپنے

دونوں ہاتھوں سے مرے ســاغر ومینا دیدے[2]

كانت هذه أبيات المنظومة التي تضرع فيها إلى الله والآن اقرأ أبياتاً لمديح النبي صلّى الله عليه وسلّم:

---

[1] مجلة "روح أدب"، 67/98-95/26

[2] مجلة "معارف"، 229/3/183

الله رے کیا شـــــــان رســول عربی ھے
فرمـــــــــان خدا سیرت والائے نبی ھے
معـــــــــــراج امم سنت امی لقبی ھے
آدم کے لئے فخـــــــر یه عالی نسبی ھے
مکی مدنی هاشـــــــــــمی ومطلبی ھے
سن اے زائر طیبـــه که تری کیسی ادا ھے
یه تیرا سفر موجب الطاف خـــــــدا ھے
یعنی که جو رخ تیرا سوئے شاه هـدی ھے
آهسته قدم نیچی نگه پست صـــــــدا ھے
خوابیده یهاں روح رســـــــول عربی ھے[1]

وکذا یقول متبعاً منظومة مخمّسة قرضها مولانا أبو الکلام آزاد:

الله رے شکســـــــــته پری بے زبان کی
ھے انتها بهی درد داســـــــــــتان کی
لو شمع کی نه کیوں هو زبان ترجمـان کی
نشتر بدل ھے آه کسی سخت جـــــان کی
نکلی صدا تو فصـــــد کهلے گی زبان کی
ڈوبی جو نبض قـوم تو اب کس کا هو سرد
یه چاره گر کهاں سے کریں گے علاج درد
سرهـــانے میرے پهول چڑهیں لاکه سرخ وزرد
گنبد ھے گردباد تو ھے شامیـــــــانه گرد
شرمنده میری قبر نهیں سائبـــــــان کی

[1] المصدر نفسه، 229-230

کشتی هوس کی عـــــزم کے هاتهوں ڈبودیا

جو کچه که میرے هوش نے پایا تها کهودیا

شه رگ میں اپنی درد کا نشـــــــتر چبهودیا

هوں نرم دل که دوست کی ماننـــــــد رودیا

دشمن نے بهی جو اپنی مصیبت بیـــان کی[1]

وفاته: لما تقاعد الشيخ المعصومي على المعاش أحاط به الأسقام واحد تلو الآخر وأشد سقم وأهلكه سقم الكلية والشيب يعضّده، وكفى بالشيب داءً، فوقع فريشاً في الدار إلا أن ذاكرته لم تزل تعمل على ما يرام فقد لقيته قبل موته بأشهر وبيدي كتابي "شعر الفيض" الذي قمت بإعداده فرآه البروفيسور وأثنى عليه وقال: ليتني شاب فأعمل معك" ولكن من الأسف أني لما انتسبت بجامعة "فيسفا-باراتي" لم يوفّقني موته العاجل فرصة لقائي معه فقد لبّى المرحوم دعوة ربّه في الساعة السابعة صباح يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر يونيو سنة 2009م. إنا لله وإنا إليه راجعون.

آراء وانطباعات العلماء والباحثين عنه: إنه من المحققين والباحثين السعداء حظاً الذين قد شهدوا ثمرة جهودهم الجهيدة في حياته وذلك لأن الرجال في الهند يشكون اعتراف الحضور بفضلهم وعبقريتهم فهو يثنى عليهم بعد الموت خصوصاً ولكن البروفيسور المعصومي قد أثنى عليه العلماء في حياته وبعد موته كذلك وأكبر شاهد على ذلك تمتعه من المناصب العليا في مختلف الدوائر الحكومية وغير الحكومية، وفيما يلي آراء وانطباعات بعض العلماء والباحثين عن شخصيته:

فيقول العلامة المحقق عبد العزيز الميمني:

"--- فأعجبني منه حرصه على البحث والتنقيب والنظر والتمحيص. والمجتهد أصاب أو أخطأ لا يحرم ثوابه وإن حرم صوابه. على أن فيما زبر قلمه فوائد علمية لا يستهان بأمثالها، وكل نفس تجزى بأعمالها ---"[2].

---

[1] مجلة "معارف"، 230/3/183

[2] بحوث وتنبيهات، ص 15

ويقول العلامة حمد الجاسر:

"--- فقد اطلعت في جزء ربيع الأول سنة 1389هـ يونيو سنة 1996م على بحث ممتع للأستاذ أبي محفوظ الكريم المعصومي، يدل على أنه كان يطلع على مؤلفي عن الهجري، وقد رأيت نشر هذا البحث لما فيه من معلومات قيمة، تدل على ما يتصف به كاتبه الأستاذ الجليل من سعد اطلاع وقوة واهتمام وعناية بالأدب العرب، وباللغة العربية لغة القرآن الكريم"[1].

ويقول الدكتور صغير حسن المعصومي:

"إنه تأثر بما نظمت أحياناً باللغة العربية فجعل وهو في عنفوان الشباب ينظم أبياتاً باللسان العربي وإنه سبقني في هذا الميدان وحفظ الأشعار العربية من دواوين المتنبي والحماسة وشعراء الجاهلية وشعراء المعلقات السبع على وجه الخصوص واهتم في تحقيق الألفاظ واستعمالها فنما وشحذ ذوقه الأدبي وملكته في الفصاحة في البيان والأسلوب البديع العربي"[2].

ويقول سالك اللكنوي:

"إن العلماء والباحثين يعتبرونه متضلعاً من اللغتين العربية والفارسية ولكن له نظرة عميقة على الأدب الأردوي فلم توجد مؤلفات قيمة قديمة وحديثة إلا وقد قرأها، له اطلاع واسع ومقالاته تتصف بالمعلومات الكثيرة القيمة، وقد نشر له مقالات في مجلة "معارف" في زمن كان العالم المحقق الكبير السيد سليمان الندوي يقوم بإدارتها فأثى العلماء عليها وأمطروا عليها شآبيب المدح والثناء"[3].

ولنقرأ ما أدلى به الأديب الصحفي الكبير ظ. الأنصاري من انطباعه في ندوة علمية:

"مقالة الشيخ المعصومي في هذه الندوة كانت هي التي لم يسبق لها نظير"[4].

ويقول السيد علي أكبر الرضوي:

---

[1] المصدر نفسه، ص 20
[2] مجلة "البعث الإسلامي"، 53/4/55
[3] مجلة "روح أدب"، 65/98-95/26
[4] المصدر نفسه، 70

مجلة الهند

"إنه عالم كبير إلا أنه يقضي حياته بأسلوب طاهر ساذج فله حجرة في القسم الخارجي من الدار وفيها سرير قديم وعلى الأرض وضع السجادة الهندية وعليها وضع الكرسيان فهو يجلس نفسه على السرير ويترك الكرسيين للضيوف وعلى الجدران رفوف تطول لأربع أو خمس أقدام فيها كتب ورسائل فهو يقضي خلوته بدراسة الكتب والرسائل"[1].

ويقول الشيخ محمد الرابع الندوي:

"الشيخ المعصومي من العلماء الهنود الذين لهم أهمية كبرى في شبه القارة كلها وفي خارجها وقد كانت لي علاقة خاصة معه فهو كان ركناً مكرّماً للمجلس الإداري لندوة العلماء كما كانت له علاقة علمية وتحقيقية معها وقد استفاد العديد من أساتذة ندوة العلماء من مشوراته العلمية"[2].

ويقول الدكتور أجمل أيوب الإصلاحي:

"يعدّ الأستاذ العلامة أبو محفوظ الكريم المعصومي مثلاً فذاً بين نظرائه من علماء الهند، فهو عالم ذو باع طويل في العلوم الإسلامية وبخاصة في التفسير والحديث والتاريخ، أما العربية فقد سيط من لحمه ودمه، فبرّز فيها عالماً وأديباً وكاتباً وشاعراً، مع تضلعه من اللغات الفارسية والأردية والإنجليزية. وعلاوة على ذلك كله هو بحّاثة من الطراز الأول، معنيّ بالتراث الإسلامي مطبوعه ومخطوطه. لا أعلم من معاصريه الأحياء من علماء شبه القارة الهندية من اجتمعت فيه هذه الخصال كلها معاً. وقد تجلّت خصاله هذه في كتاباته من حيث تنوع موضوعاتها وكثرة مصادرها، ووسمت منهجه في البحث والدراسة بسمات متميزة"[3].

ويقول الشيخ عمير الصديق الندوي:

"--- ولأجل اطلاعه الواسع وقوة ذاكرته وعمق نظره يحتل نقده وتحليله للأوهام والزلات العلمية، ولو قمنا بإحصاء مقالاته من هذا النوع فهي تبلغ

---

[1] مجلة "معارف"، 231/3/183

[2] مجلة "روح أدب"، 11/98-95/26

[3] بحوث وتنبيهات، ص 13

المئات، ونطاق مقالاته وبحوثه يتسع المواضيع من ابن جرير إلى الشاعر غالب وكلها قيّمة رائعة"[1].

ويقول الشيخ سحبان روح القدس الندوي:

"كان للعلامة علاقة وطيدة مع علماء وحكماء كل مذهب للفكر والرأي وهو كان مكرّماً في كل دائرة علمية وأدبية. وبالرغم من عظمته وجلالة قدره فهو كان ساذجاً للغاية أنيساً خليطاً برجال كل طبقة ودرجة. إنه قضى حياة ملؤها طهارة وقناعة وصبر وثبات بجانب عفوه وصفحه، حلمه واصطباره"[2].

ويقول الدكتور عبد المنان:

"كان عالماً كبيراً ومفكّراً ناجحاً وظريفاً، كان له اطلاع واسع على علوم الدين لاسيما الدراسات الإسلامية، انتسب بقسم اللغة العربية ونال شهرة ذائعة بين الناس"[3].

ويقول الشيخ أنيس أحمد الإصلاحي:

"كان الشيخ المعصومي ينتمي إلى بهار شريف وتوطن كولكاتا، درّس بالمدرسة العالية لمدة 40 سنة كمدرّس ناجح، كانت له نظرة عميقة على التفسير والحديث والأدب والتاريخ وكتب عنها ما اتصف بسعة الاطلاع وإنصاف النقد ويوجّه العلماء والباحثين نحو جوانب جديدة، سيطت اللغة العربية وآدابها من لحمه ودمه كانت له رغبة خاصة في التراث العلمي (المخطوط والمطبوع) وقد أعطاه الله ذاكرة قوية للغاية فلم يغلبه النسيان حتى في أواخر أيام حياته"[4].

أخلاقه وعاداته: اتصف البروفيسور المعصومي بما سما وزكا من الأخلاق والسجايا ولو أن قد تسلّلت إليه زلات إلا أن خلقه العظيم قد غلب هذه الزلات ومن أسمى أخلاقه وسجاياه ما يلي:

---

[1] مجلة "روح أدب"، 66/98-95/26
[2] مجلة "معارف"، 230/3/183
[3] مجلة "روح أدب"، 14-13/98-95/26
[4] مجلة "نظام القرآن" الفصلية، عدد يوليو سنة 2009م، ص 69

- **الجمع بين العلم والتقوى:** ومن أسمى سجاياه جمعه بين العلم والتقوى فكانت تقواه أقوى بقدرما كان علمه أوسع فيقول السيد نور الهدى:
"قد اتضح من خلال علاقاتي العتيقة ومشاهداتي القريبة ومجالسي المختلفة معه أن الشيخ المعصومي لم تثمر محامده كما يرام لأجل العصر الحديث المائل إلى المادة ولو أنه كان عالماً كبيراً وتقياً صالحاً، لم يسهل للناس أن يبلغوا ما بلغه الشيخ من علو كعبه في العلم والتقوى"[1].
- **الالتزام بالمبادئ:** كان الشيخ المعصومي يلتزم بالمبادئ وهو كان يرى أن مثل هذا الالتزام شعبة من الإيمان فهو كان يبلغ الموقع بالميعاد، يقول الدكتور عبد المنان:
"قد تميّز الشيخ المعصومي بالتزامه بالمبادئ والميعاد فهو كان يفي بوعده إن قال لأحد إنه سيصل بالميعاد ولو أن الأشغال كانت تعرقل سبيله وربما كان يلبّي حاجيات السائل والمحتاج"[2].
- **السذاجة:** كما كان الشيخ على قمة من العلم والتقوى فقد سيطت السذاجة من لحمه ودمه فلم يعتبر نفسه أعلى وأسمى من أحد غيره فيقول السيد علقمة شبلي مشيراً إلى جانبه هذا:
"كان الشيخ أسوة للسذاجة والتواضع، قد امتدت علاقتي به أكثر من نصف قرن فقد كنت ألقاه في كولكاتا بصورة متواصلة وقد كنت أوفّق الاستفادة منه كما اتصلت به لمدة طويلة في الأكادمي الأردوي وكنت مشيراً له خاصاً. كان الشيخ يتكرّم بزيارته لداري ما دامت حياته جيدة كما كنت أحضر بيته دائماً، كان الشيخ متواضعاً وساذجاً إلى حدّ أنه حينما كنت أرجع إلى داري كان يصحبني إلى سكة ترام لتوديعي، ولكن مثل هذه القيم تفوتنا اليوم"[3].
- **الصبر:** كان الشيخ صابراً وشاكراً للغاية فلم يشك إلى أحد ما أصابه من الهموم والأخطار، يقول السيد علقمة شبلي:

---

[1] مجلة "روح أدب"، 26/95-98/32-33
[2] مجلة "روح أدب"، 26/95-98/13
[3] المصدر نفسه، 10-11

"من رأى الشيخ المعصومي عن كثب يعرف جيداً أنه عانى العديد من المصائب والشدائد ولكنه لم يشكها إلى أحد فلم يستطع الأحباء والأقرباء بأن يفطنوا لما يحيط به من الآلام والمصائب"[1].

- **الأثرة:** قد كان الشيخ المعصومي مفطوراً على الأثرة فهو كان يزر وزر غيره من الأصدقاء والأحباء، وكان يفضّل الصلح فيقول السيد نور الهدى:

"كان الشيخ المرحوم مفطوراً على الصلح مع الناس فكان يصبر على أخطر شيئ وأكبره خسارة، إنه كان قابلاً للغاية للصلح مع الناس والصبر على الأوضاع، ولو أنه كان يرى ما يرى الإسلام الثواب والعقاب ولكنه كان يعفو عن كثير ويؤدّي كفارة زلات الآخرين من جيبه فكأنه كان يزر وزر غيره من الناس"[2].

- **استخدام ما حلّ من الأسباب:** من صفاته الخاصة التي تذكّرنا بالسلف هي استخدامه لما حلّ من الذرائع والأسباب فلم يستخدم الشيخ وسيلة مكتبه الحكومي لشغله الذاتي وعمله الشخصي، يفوتنا هذه الصفة اليوم. يقول السيد أكبر علي:

"كان قسم الأوقاف قد وفّر للشيخ أسباب المواصلات وذرائعها ولكنه لم يستخدمها لحاجته الشخصية، وهذا من البهجة والسرور أن في زماننا من لا يسيئ استخدام ما وفّر له من الأسباب والتسهيلات"[3].

- **صفاته الأخرى:** وبالجملة فقد كان البروفيسور المعصومي يتصف بالأخلاق العظيمة والعادات السامية والسجايا العالية فيقول السيد عبد المنان عن كونه جامعاً للصفات والخصائص:

"عاطفة العشق مرآة للفطرة البشرية ومزاجه الإنساني الموهوب وهي صورة مترقية للإنس والودّ، وهي تضمن صالح القيم البشرية وأمينة للحفاظ عليها وبقائها، إنها تدعو القوى مثل الأثرة والوفاء والفقر والغنى وسعة الآفاق وحب الإنسانية وتهيم بما فطر عليه البشر، ويمكن لنا أن نشهد لمحة عن هذه كلها

---

[1] المصدر نفسه، 11

[2] المصدر نفسه، 43-44

[3] مجلة "معارف"، 231/3/183

في شخصية الشيخ المعصومي. يمكن أن نعبّر عن أفكار الشيخ بمخّ بُعدِ الفكر وثبات النظر، وهذا المخّ منه يسبق غيره من الرجال"[1].

وبجانب هذه الأخلاق الحسنة العظيمة قد تسلّل إلى حياته شيئ من اللمم والزلة مثل أنانيته المتجاوزة للحدود وسرعة غضبه وما شابههما من الزلات، فيقول السيد أشرف أحمد الجعفري:

"وبجانب هذه كلها قد شاب مزاجه شيئ من سرعة الغضب وقد واجهت هذه الزلة منه كثيراً ---- ولكن هذا من الواقع أني لست وحيداً في هذه المواجهة بل قد واجهها الآخرون غيري فلقوا العتاب منه"[2].

ولكن هذه الزلات لم تغلب محاسن أخلاقه فيقول السيد نور الهدى:

"ربما وقع الخلاف بيني وبينه أثناء خدمته في المدرسة العالية وانتسابه إلى أكادمي بنغال الغربية الأردوي فواجهت أنانيته المتجاوزة ولكن لم ينس ثقافته وحضارته فلم ينل من عزتي"[3]

فهرس المصادر والمراجع

1. أبو محفوظ الكريم معصومي: بحوث وتنبيهات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م
2. محمد عميم الإحسان البركتي: فقه السنن والآثار، المطبع المجيدي، كانفور، ولاية أوترابراديش، الهند، 1373ھ
3. مجلة "معارف" (بالأردوية) الشهرية الصادرة عن دار المصنفين أكادمي شبلي، أعظم كره، ولاية أوترابرادش، الهند
4. مجلة "روح أدب" (بالأردوية) الفصلية الصادرة عن أكادمي غربي بنغال الأردوي، كولكاتا، غربي بنغال، الهند

[1] مجلة "روح أدب"، 16-15/98-95/26
[2] المصدر نفسه، 49
[3] المصدر نفسه، 36

مجلة الهند

5. مجلة "إندو إيرانيكا" (بالإنجليزية) الفصلية الصادرة عن الجمعية الإيرانية، كولكاتا، غربي بنغال، الهند
6. مجلة "برهان" (بالأردوية) الشهرية الصادرة عن ندوة المصنفين، دلهي، الهند
7. مجلة "نظام القرآن" (بالأردوية) الفصلية الصادرة عن مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، ولاية أوترابرادش، الهند
8. مجلة المجمع الهندي العلمي الفصلية الصادرة عن جامعة علي كره الإسلامية، علي كره، ولاية أوترابرادش، الهند
9. مجلة "البعث الإسلامي" الشهرية الصادرة عن مؤسسة الصحافة والنشر، دار العلوم بندوة العلماء، لكناؤ، ولاية أوترابرادش، الهند

الفيـــــــــل

- الشيخ بدر جمال الإصلاحي

الفيل في اللغة: الفيل حيوان من أضخم الحيوانات من فصيلة الفيليات ورتبة الخرطوميات، له خرطوم طويل يرفع به العلف والماء إلى فمه، وله نابان بارزان كبيران، يتخذ منهما العاج، والجمع أفيال وفيول وفيَلة، قال ابن السكّيت: ولا تقلّ أفيلة، والأنثى فيلة، وصاحبها فيّال. وليلة مثل لون الفيل أي سوداء لا يهتدى لها، وألوان الفيلة كذلك. واستفيل الجمل: صار كالفيل، والتفيّل: زيادة الشباب ومهكته؛ قال الشاعر:

حتى إذاما حان من تفيّله

وقال العجاج:

كلّ جُلال يملأ المحبّلا ويجنّس قرم، إذا تفيّلا

وتفيّل إذا سمن كأنه فيل، ورجل فيل اللحم: كثيره[1].

ويضرب به الثقيل الخسيس.

وداء الفيل: مرض يحدث منه غلظ كثيف في القدم، والساق تتخلّله عجر ضغيرة ناتئة. الفيّال جمعه فيّالة: صاحب الفيل، فيّل اللحم جمعه أفيال: كثيره، المفيولا: أولاد الفيل[2].

وأصحاب الفيل: جنود أبرهة الحبشي الذي غزا مكة قبيل الإسلام، فهلك جيشه بمعجزة. الفيّال: مروّض الفيل جمعه فيّالة[3].

فيل البحر: فظّ، حيوان ثديي بحري (Walrus)[1] نوع من السباع المائية شبيه بالفقمة، قبيح المنظر، وللذكر منه نابان طويلان في فكه الأعلى[2].

---

[1] لسان العرب: مادة فيل
[2] المنجد في اللغة: مادة فيل
[3] المعجم الوسيط: مادة فيل

الماموث (Mammoth): هو من فصيلة الفيلة، ضخم منقرض، كان يعيش في أوربا الوسطى قبل مليون سنة. كان ارتفاعه 4.5 متراً، وقد عاصر إنسان ما قبل التاريخ وكان يوجد أيضاً بسيبريا، وقد اكتشفت أول جثة كاملة لفيل الماعوث عند مصبّ نهر "لينا" شمالي سيبريا سنة 1798م وكانت مدفونة تحت طبقة من الجليد الذي حفظها سليمة تماماً منذ آلاف سنة. وهو بأنياب معقوفة وشعر بري، وكان يعاصر الكركدن الوبري الهائل والنمرالضخم السيفي الأنياب.

في مايو 2007م تم اكتشاف جثة انثى عمرها شهر واحد لماعوث صوفي عملاقة في طبقة من الجليد بالقرب من نهر "يوريبي" (Yuribei) في روسيا، حيث تم دفنها لحوالي عشرة آلاف سنة.

"الصناجة" هي حيوانات ضخمة من طائفة الثدييات فصيلة الفيليات، منقرض وهي نوع من "الماموث" الذي سكن الشمال وأمريكا الوسطى في أواخر العصر البليوسين وحتى انقارضها إلى نهاية البلايستوسين، أي منذ أحد عشر ألف سنة.

ويعدّ "الماستودون" الأمريكي من أحدث الأنواع وأكثرها شهرة لهذا الجنس.

على الرغم من تشابه الصناجة (الماستودون) مع الفيل والماموث من حيث الشكل والحجم إلا أنه لا يوجد بينها ارتباط وثيق، وتختلف أسنان "الصناجة" بشكل كبير عن أعضاء عائلة الفيلة، فلدى الصناجة نتوءات مخروطة غير حادة شبيهة بالحلمة على تاج الضرس وهي الملائمة أكثر لمضغ أوراق الشجر من تلك عالية التاج التي يتمتع بها الماموث، وتناسب أنشطة الرعي ويعني اسم "ماستودون" "حلمة الأسنان" كما أنها الاسم القديم لهذا الجنس.

وجمجمة الصناجة أكبر ومفلطحة أكثر من جمجمة "الماموث" كما أن هيكل الصناجة العظمى أكثر قصراً وقوة.

عاش "الماستودون" الأمريكي (الماموث الأمريكي) وهو العضو الأكثر حداثة في هذا الجنس، منذ نحو 3.7 مليون سنة الماضية، حتى انقرض منذ عشرة آلاف سنة ما قبل الحقبة العادية، وهذا تمت معرفته عن طريق الحفريات التي تم اكتشافها في الاسكا ونيو إنجلترا (New-England) في الشمال وحتى

---

[1] القاموس العصري: مادة فيل

[2] المنجد في اللغة: مادة: فيل

فلوريدا (Floridia) وكاليفورنيا (California) الجنوبية وجنوباً وصولاً إلى هوندوراس (Honduras) ويشبه الماموث الأمريكي الماموث في الشكل، ولكن بالإضافة إلى غطاء سميك من الشعر، وكانت لديه أنياب يمتد طولها أحياناً إلى خمسة أمتار، وكانت منحنية إلى الأعلى ولكن أقل انحناءً من تلك التي يتمتع بها الماموث وكان يعيش في مشجرات التنوب الباردة ومن المعتقد أنه كان يعشب في قطعان. والتقارير التي قدمت تشير إلى اختفائه من أمريكا الشمالية من حوالي 12700 الماضية، وكان هذا جزءً من الانقراض الجماعي الذي تعرضت له معظم الحيوانات الضخمة التي عاشت في عصر البليستوسين (Pleistocene) وكان ذلك إثر التغيرات المناخية السريعة في أمريكا الشمالية على الأرجح كما يعزو ما حدث لهم إلى الأسلحة المعقدة المصنوعة من الصخور والتي استعملها الكلوفيس (Clovis) وصائدها وربما تسبب سكن الباليو في القارة الأمريكية وتجمعاتهم كبيرة العدد نسبياً قبل 13000 سنة، وأنشطة الصيد التي قاموا بها في استنزاف سكان المستودون تدريجياً[1].

كان في قديم الزمان كثير من فصائل الفيل وكانت بعضها أكبر بكثير من فيل هذا الزمان، وكان ناباها طويلين جداً ويسمّى "مموث"، وكانت مختلفة من فيل هذا الزمان، وبعضهما كانت ذات صوف طويل وتسمّى "مستودون" وانقرضت هذه الأنواع قبل خمسين ألف سنة على التقريب.

وبقيت الآن ثلاثة أنواع منها فقط، توجد اثنان منها في إفريقية، وواحد في جنوب شرقي آسيا وهذا النوع يسمّونه بالفيل الهندي وإن كان يوجد في سريلانكا، وماليزيا، وتائلاند، وسيام، وبورما، وإندونيسيا، وغير تلك من بلاد الجنوب الشرقي من آسيا.

وكان أهل الهند يستعملونه قبل ستة آلاف سنة في مختلف شئونهم وأعمالهم مثلاً في الحمل والنقل من مكان إلى مكان فينقلون الأخشاب والجذوع من الغابات إلى الأسواق التجارية، ويركبونه عندما يخرجون لصيد الأسود والنمور والسباع الأخرى في الغابات الكثيفة، يقلع الفيل أشجار الغابات ويقطع أغصانها المكثفة، ويركبونه في مناسبات الأعياد والزواج، ويستخدمونه في الحروب.

[1] فيكيبيديا، الموسوعة الحرة

الفيل من عائلة Elephatida وهو من أكبر الحيوانات الأرضية اليوم، ويوجد منه نوعان وهما إيلفاز Elephas ولوكوسودتا Loxoxodonta وكانت توجد منه نوع ثالث أيضاً ولكنه انقرضت قبل ثلاثين ألف سنة منذ اليوم يقال لها ميموث (Mammuthus). والآن توجد في العالم نوعان من الفيلة (1) الإفريقي (2) والهندي.

وكانت توجد منذ آلاف السنة كثير من أنواع الفيلة ولكنها انقرضت يا للأسف قبل العصر الجليدي. يكون عجل الفيل في بطن أمه اثنين وعشرين شهراً ويكون وزن عجله مائة وخمس كلوغرامات، والفيل يعيش من خمسين عاماً إلى سبعين عاماً، وقد سجّل عمر فيل اثنان وثمانون حولاً.

وقد وجد أكبر الأفيال جثة في أنغولة، كان وزنه 10900 كلوغرام، وأصغر الفيل جثة يكون كالخنزير في جثته.

الفيل علامة للعقل والفظاظة وفاق جميع الحيوانات في هذه الصفة حتى على دولفين.

قال أرسطو مرة إني لم أجد حيواناً أفضل من الفيل عقلاً وفطانة.

وجاءت كلمة الفيل في القرآن المجيد مرة واحدة فقال تعالى:

"أ لم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل"[1].

ووردت كلمة "الفيل" في كتب الأحاديث عدة مرات:

1. ولدت أنا ورسول الله عام الفيل (الترمذي، مناقب: 2)
2. قال الزهري في عظام الموتى نحو الفيل (البخاري، وضوء: 67)
3. ولكن حبسها حابس الفيل (عن مكة) (البخاري، شروط: 15)
4. إن الله عزّ وجلّ حبس عن مكة الفيل (البخاري، علم: 39، ومسلم، حج: 447، وأبو داؤد، مناسك: 89، والدارمي، بيوع: 60)
5. ورقها كأنه مثل مثل آذان الفيل (البخاري، بدء الخلق: 6، ومناقب الأنصار: 42، ومسلم، إيمان: 259، والنسأي، صلاة: 1)[2]

---

[1] سورة الفيل: 1

[2] المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، المجلد الخامس، مادة: فيل

ولكن لا تعرفه العرب حق المعرفة لأنه لا يوجد الفيل في بلادهم، ولما استورد الفيل إلى البصرة في القرن الثاني الهجري (في بدء القرن الثامن عشر الميلادي) جاء الناس من أقاصي البلاد وجمعوا في البصرة لبينظروا إليه وكانوا يتعجبون بخلقته[1].

والإمام مالك (ت 179هـ) كان يلقي الدرس في المسجد النبوي وجمع في حلقته طلبة العلم وعشّاق الحديث من أقاصي البلاد فورد الفيل فجأة فخرجوا ليشاهدوه متعجبين بخلقته لأنهم لم ينظروا قط كمثل هذا الحيوان إلا انا طالباً لم يخرج واستمرّ في الدرس واستماع الحديث فسأله الإمام: يا أنس! لماذا لم تخرج لمشاهدة الفيل ولا يوجد الفيل في بلادك الأندلس أيضاً فأجاب التلميذ: يا أستاذ! إني تركت وطني وكابدت مصاعب السفر لتحصيل العلم ولرؤيتك وما جئت لمشاهدة الفيل فسرّ جواب التلميذ أستاذه ودعا له بزيادة العلم فصار بفضل دعائه إماماً في الحديث فقيهاً في الشريعة الإسلامية.

كان في قديم الزمان توجد في هذا الكوكب الأرضي عائلات الفيل المختلفة فبعضها كانت أكبر بكثير من فيلنا يقال لها "مموث" وبعضها أصغر منها يسمّونه "مستاندون" فانقرض جميعها قبل آلاف سنة.

وآن بقيت ثلاثة أنواع؛ نوعان منها يوجد في إفريقية، وواحد منها في شرق جنوبي آسيا، ويسمّونه الفيل الهندي، وواحد من هذين النوعين الإفريقيين من الفيل الهندي والآخر أكبر. والفيل الهندي مختلف جداً عن الإفريقي في الخلقة والعادة. أذنا الفيل الإفريقي أكبر جداً من أذني الفيل الهندي.

يوجد الفيل الهندي في سريلانكا وميانمار وماليزيا وفلبين وغيرها من بلاد شرق الهند وما زال أهل الهند يقتنون ويربّون الفيل الهندي منذ آلاف سنة ويستخدمونها في الحروب، والركوب، والاصطياد ورسوم الحفلات والعبادات، ويفتخر الملوك بالركوب عليه ويخرجون موكب الأفيال عند ورود الوفود ويزعمون ذلك عزة وفخراً لهم، وجاء ذكره في أساطير الهند بكثرة، وصنم الهنادكة "غنيش جي" الذي يعبدونه في كل مواقع العيد ومناسبات الزواج وحفلات المسرة الأخرى ويستعملونه منذ القديم وحتى الآن في نقل الجذوع

[1] دائرة المعارف الإسلامية (بالأردوية)، المجلد الخامس عشر (الفيل)

والخشب وتحميل البضائع وقطع السفر البري والبحري ويعبرون خليج البنغال إلى أندمان راكبين الفيل.

ويوجد الفيل في كل ولايات الهند في بنجاب وأوترابراديش وبيهار وبنغال وآسام وأوريسة وكرناتكا وتائلاند وكيرالا من هملايا شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً، إلا في ولايات آندهرابراديش ومادهيابراديش وغوجرات وراجستهان.

ويسكن في الغابات والآجام ذات البحيرات والأنهار.

الفيل أكبر الحيوانات البرية، وهو يأكل كل يوم 225 كلوغراماً من الأعشاب والأوراق وأغصان الأشجار ويجبّ نجوم القصب حباً، ويشرب ماءًا كثيراً، وهو يحبّ الاغتسال حباً جماً، ويمرغ في الوحل ويمكث في الماء ساعات ثم ينثر بعد الغسل على جسمه تراباً ليحتمي من الذباب والهوام الأخرى.

ويعيش الفيل مع القطيع، والقطيع يشتمل عادة على أسرته ويكون القطيع مكوناً من سبعة أفيال أو ثمانية. وقد يجتمع في السرب بضع أسر فيصل عدده إلى مائة أو نحوها. يعيش مع سربه فرحاً مسروراً فيرعى ويغتسل ويلعب ويتجول مع سربه ويكون في السرب فيل عظيم مجرّب يعرف الطرق فهو يهدي سربه إلى سواء السبيل ويحذّر من الخطر ومواقع المخافة.

والفيل لا يقيم في مكان واحد مدة طويلة بل يتجوّل في مناطق مختلفة ويهاجر من مكان إلى مكان آخر للماء والعشب.

الفيل لا يجترّ كالحيوانات الآكلة العشب بل يأكل بالاطمئنان والتمهل ويمضغ عذاءه كالإنسان، ويقضي معظم أوقاته في تناول غذائه ومضغه.

ويطوي في ابتغاء رزقه كل يوم خمسة عشر كلومتراً أو أكثر ويمكث في مكان واحد يوماً واحداً أو ثلاثة أو أربعة ويجيئ محبوا الفطرة لمشاهدة منظر رعي سرب الفيل، يلف كومة العشب بخرطومه ويستأصلها من أصلها ويضربها على ركبتيه ينثر ترابه ثم يمسكها من بينها والرأس والأصل يظهر من جانبي خرطومه، لو كان أصل العشب ورأسه جافاً يقطعهما من نابه ويطرحهما، ويأكل ما بينهما من حصة العشب الأخضر.

الفيل يشرب كل يوم ماءًا وافراً، والماء له شيئ لازم، وفي مكان لا يوجد فيه ماء لا يمكث الفيل، ومتى تجفّ الأنهار والغدران يحفر بظلعه التراب ويجعله بئراً صغيراً فيجمع فيه الماء فيشرب منه.

ويحبّ الفيل الاغتسال في ماء عميق واسع، فيغتسل فيه ساعات ويرشّه على جسمه ويلعب فيه وهو يحسن السباحة، ويسيح وكل جسمه يكون غارقاً في الماء إلا جزء من ظهره ورأس خرطومه فيظهر في الماء كجليد يعوم في المحيط.

ويكون رئيسهم بالعموم أنثى طاعنة في السن، طويلة التجربة ويختار مكاناً ملائماً للانغماس في الماء ويدخل هو أولاً ويتبع جميعهم في الماء والأولاد الصغار لا تدخل في الماء بالسهولة بل يتملق لهم ويتجمل لهم وقد تدفعهم الأمّ في الماء ويقضي الفيل للاستحمام ساعات، تارة يلعب في الماء وأخرى يرشّ الماء على جسمه بخرطومه ولما يخرج من الماء يصير لونه الأسود حالكاً لامعاً ثم يتوجه إلى أرض فيها تراب لين فيدققه برجله ويسفّه على جسمه كالبودرة وقد يكون في السرب ذكر ضخم ذو نابين طويلين وإنما يكون الناب للذكر ولا يكون للأنثى وفي بعض الأنثى يكون الناب ولكن صغير جداً لا يظهر في الخارج إلا بوصة أو بوصتان منه.

وناب الذكر الشاب يطول إلى متر أو أكثر منه في بعض الأحيان ولا يكون الناب لبعض الذكر الضخيم ويقال له في الهندية "مكهنا هاتهي" (Makhuna Hāthī) ويوجد هذا القسم في سريلانكا بالكثرة وبالقلة في الهند ويكون المكهنا هاتهي أكبر وأضخم من الفيلة الأخرى ويكون خرطومه متيناً وقوياً جداً قد أعطاه الله الكبر والضخامة عوضاً عن الناب.

إن الذكر لا يعيش دواماً مع الإناث ففي بعض الأحيان يخرج ويذهب بعيداً عن قطيعه لأسابيع مع الذكور الآخرين، وفي بعض الأحيان يعيش الذكر الطاعن في السن منفرداً عن القطيع ولا تكون الأنثى منفردة قط.

وإن الفيل الذكر الشاب قد يهيج هيجاناً ولما يعلم لماذا يهيج وما سبب ذلك وقد يهيج الذكر الطاعن في السن أيضاً ولا تهيج الأنثى ولما يهيج يسيل ماءٌ من ثقب (فتحة) يكون بين عينه وأذنه ويجري على خديه ويرم جبينه، وفي تلك الحال يصير مخطراً جداً يهجم على الإنسان أي على أيّ حيوان فيمسكه بخرطومه

ويشقه أو يدوسه تحت أقدامه ويمزّقه. ويعيش الفيل من ثمانين حولاً إلى مائة حول ويبلغ رشده في الخامس والعشرين سنة من عمره، ويكون ارتفاعه أكثر من ثلاثة أمتار ووزنه أربعة أطنان أو أكثر منه، وتكون الأنثى أصغر من الذكر عادة، وعجله عند الولادة يكون وزنه نحو تسعين كلوغراماً وارتفاعه نحو متر واحد.

ومع ضخامة جسمه تكون خلقته عجيبة جداً، لا يستطيع أن يركع لثقل جسمه كالحيوانات الأخرى وأن يرفع أقدامه معاً ولكن يمشي سريعاً ويقطع مسافة طويلة في أقل وقت ويعبر خليجاً يكون عرضه نحو ثلاثة أمتار بالسهولة، وتنثني ركبته بالسهولة كركبة الإنسان ويكون ظلعه محشوة فيمشي الفيل، على أوراق جافّة ولكن لا يسمع وقع أقدامه وكم مرة يمرّ الفيل بإنسان وهو لا يشعر لخفة أقدامه. وخرطوم الفيل عجيب جداً بين أعضاء جسمه، وهو عضو ضروري له وفي الحقيقة حياته منحصرة على خرطومه، فهو يتنفس به ويأكل ويشرب منه ويقلع الأشجار ويمسك به الجذوع ويرشّ به الماء ويسفّ به التراب على جسمه وجسم غيره ويرفع به الأشياء الكبيرة والصغيرة حتى الإبرة ويشمّها وينشرها به ويمزّقها ويكسرها به ويميّز به بين التراب اللين والصلب. والفيل يحافظ على خرطومه ولا يستعمله في شيئ يضرّه أو يجرحه. وهو كذلك يستعمل رأسه القوي وجسمه الضخيم في قلع الأشجار أو القصب ولا يلفها بالخرطوم ليقلعها ولا يكلفه فوق وسعه.

وإن الفيل يتكلم مع أبناء جنسه ويفهم الكلام الذي يجري بينها مرة يقبع ومرة يصرخ ومرة يهمس. والطفل يدعو أمّه بصوته الجهوري ويكالمها.

ويضرب الفيل بخرطومه على الأرض عند الخطر، يخرج من ذلك الصوت كصوت الطبل تتجاوب الصدى ودويّ الغاب به. والفيل لا يتكلم فقط بل يتفاهم مع أبناء جنسه بالمس والمسح، وبطراز القعود والمشي والدفع، وبطريقة المكث والوقف. وتستعمل هذه الطرق بالعموم عند الخطر أو الهروب أو الملاعبة. والفيلة تحب طفلها حبّاً وكذلك إناث القطيع الأخرى أيضاً تحبّ أطفال زميلاتها. والطفل الصغير تركض وتلعب بين أرجل أفيال السرب ويأمن من الاصطدام أو الدوس بأرجل الكبار. والأمّ تعين في الصعود على الأرض المرتفعة أو النزول في الأرض المنخفضة وتعلمه كلّ شئون الحياة وتربّيه وللتأديب والتعليم تعاقبه عقاباً خفيفاً على عصيان أمرها فتضربه ضرباً غير مبرّح بخرطومه أو يدفعه برجلها.

وقد يودّ ويصادق فرد من فرد من سربه وكذلك الأطفال أيضاً يصادق فيما بينهم ويرتبط كل فرد بأفراد القطيع، يخرج جميعهم معاً من مأواه للرعي وشرب الماء والاستحمام ويعود جميعهم معاً، ولكن ينشر في جماعات صغيرة أو وحداناً عند الرعي أو الاستحمام.

والفيل لا يتعلق ولا يتصل إلا بالفيل، ولا يلتفت إلى من يعيش في الغابة من الجاموس والأيل والغزال والقرد، ولا يخاف منها ولا يهتم بها أنه يثق بقوته ويعتمد على سربه. وسرب الجاموس يتجول مع قطيع الفيل لأنه يأكل مما يقطع الفيل من الأشجار والقصب، وإن الإنسان والأسد والذباب الماص الدم وبعض الدود والسوس والعث أعداء ألدّاء للفيل.

والأسد يروقه أكل لحم الفيل واستهواه وإذا وجد طفل الفيل بعيداً عن سربه فيهجم عليه ويأكله، وكذلك يهجم على الفيل الكبير أيضاً إذا وجد وحيداً أو جريحاً بعيداً عن جماعته، ولكن الأسد عموماً لا يتعرض للفيل ولا يثيره لقوة الفيل وضخامة جسمه.

وإن الذباب الماص الدم وبعض الحشرات الديدان تؤذيه وتضرّه كثيراً ويتحذّر الفيل من أعدائه هذه. ولعله للاجتناب والتحذر منها يرشّ التراب على جسمه أو يتمرغ في الوحل.

الإنسان ألدّ الأعداء وأشدّها للفيل لأنه يصيده ويطلق عليه البنادق ويسلب ملجأه ومرعاه ويقطع الغابات التي يسكن فيها ليجعلها الحقول والمزارع والبساتين، ويشرد الفيل من مأواه وأقام في السدود ونصب في مساكنه أعمدة الكهرباء وما ترك له مناطقه التي يسكن فيها ويرعى ويتجوّل. وقد جعلت الحكومة محميات للفيل يعيش فيها راضياً آمناً مطمئناً.

أنواع الفيل: الفيل حيوان من طائفة الثدييات وآكلات العشب ذو حجم كبير ويعتبر من أضخم حيوانات الأرض، فهو ذو رأس كبير وذيل قصير، وله نابان من العاج ويعيش غالباً في آسيا وإفريقية وهو بذلك ينقسم إلى نوعين؛ الفيل الهندي أو الآسيوي والفيل الإفريقي.

الفيل الهندي أو الآسيوي: وهو أقلّ حجماً من الفيل الإفريقي الأسود، ويتسم بالهدوء النسبي وسهولة الانصياع للأوامر. وبذلك سهل تدريبه واستيناسه في

قارة آسيا ليكون حيواناً من حيوانات الجرّ والحمل، ويستخدم في عمليات قطع الغابات، وهو وسيلة أكثر اقتصادية عن استخدام المكينة، وبسبب طبيعته تلك سهل تدريبه ليكون من حيوانات السيرك، فقد لا تجد فيلاً إفريقياً في السيرك على سبيل المثال.

يتعود الفيل الهندي على اهتمام صاحبه به، ويحب عليه اصطحابه يومياً للاستعمال وحكّ جلده السميك وإن لم يفعل يرفض الفيل العمل.

يتحيّز الفيل الهندي عن الفيل الإفريقي يتحدب ظهره، وصغر أذنيه عن أذني الفيل الإفريقي. إن أذنه على شكل القارة الهندية، وبذلك يمكن تمييزه عن الفيل الإفريقي.

وفي الهند وسريلانكا وبنجلاديش تدخل الفيلة في الاحتفالات الدينية ويجري تزيينها برداء ثقيل مزخرف كثير الألوان كما يتم تغطية نابيه بأغلفة ذهبية.

الفيلة البيضاء: نادرة الوجود وفيما مضى كانت مقدسة وكانت توضع في قصور الملوك والأمراء حتى أن الفيلة البيضاء رسومها وتماثيلها كانت تملأ القصور.

الهندوس يقدّسون الفيلة ويشكّلون أحد أهمّ الآلهة الهندوسية على شكل مخلوق له رأس فيل وجسم إنسان ويسمّى "جانيش" (Ganesh) والأسطورة باختصار هي عندما كان يقائل جانيش إلهة الشر قطعت رأسه فقطع والده رأس فيل ووضعه مكانه، فعاش على ذلك النحو ويجري تصويره على ذلك الشكل.

هياج الفيل: إن هياج الفيل في فترة التزاوج ليهدم الأكواخ ويدمّر المزارع الذي ينتج عن زيادة الهرمونات في تلك الفترة، يفسّرونه على أنه تقمّص أحد الأرواح الشريرة لهذا الفيل[1].

الفيل الإفريقي: هو أكبر حجماً من الفيل الهندي ويتميّز بشكل أذنيه الأكبر حجماً، التي تشبه قارة إفريقيا، كما يمكن تمييزه من ظهره المائل، وليس محدّباً كالفيل الهندي، والفيل الإفريقي أكثر شراسة، ولذلك لم يسهل تدريبه، كما أن هناك سبباً آخر وهو أن الفيل الإفريقي لم يحظ بالاهتمام في سبيل تدريبه كما حظي به الفيل الهندي.

[1] فيكيبيديا الموسوعة الحرّة

وفي إفريقية تقود الأنثى الكبيرة القطعان، وليس الذكور، وهي تقود الطريق من أماكن الطعام، إلى أماكن الشرب، والملح الفائق الأهمية بالنسبة للحيوانات، وينضم إلى القطيع قطعان أخرى ليصل العدد إلى مآت.

يتميز الفيل عن باقي الحيوانات الأخرى بخرطومه الطويل الذي هو امتداد للأنف والشنة العلوية، ويعمل عمل الذراع للإنسان، وذلك أن طرفيه العلوي والسفلي عبارة عن زوائد عضلية تعمل عمل الأصابع، حتى أن الفيل ليستطيع الإمساك بحبة صغيرة "بإصبعيه" مجازاً.

كما يتميز الفيل بأنيابه العاجية التي قد تصل لأحجام كبيرة، والتي تعتبر غالية الثمن، ولذلك تعرض الفيل في إفريقية لخطر الانقراض بسبب صيدها من أجل الحصول على أنيابها[1].

ويحمل الفيل الإفريقي ذكره وأنثاه كلاهما خرطوماً ولكن الفيل الهندي لا يحمل الخرطوم إلا ذكره وفي كل من رجلي الفيل الإفريقي الخلفيتين توجد ثلاثة أظفار وفي كل من الأماميتين أربعة أظفار وفي كل من رجلي الفيل الهندي الخلفيتين توجد أربعة أظفار وفي كل من الأماميتين خمسة أظفار.

سمات الفيل: يتميز الفيل بالذاكرة القوية التي تعي الأشياء والأماكن لسنوات عديدة. ويستفيد بذاكرته تلك في الوصول إلى موارد المياه في فترات الجفاف التي قد تمتدّ لسنوات في إفريقية حاسة الشم القوية التي تمكنه من شمّ الرياح للتعرف على مصادر المياه، وكذلك الأعداء على ندرتها فلا تخشى الفيلة حتى الأسود.

تحب الفيلة التمرغ في الوحل والطمي ورشّ التراب على ظهورها، فذلك يحميها من حرارة الشمس الحارقة، وتمنع عن ظهورها الحشرات المزعجة.

فترة حمل الأنثى سنتان أو اثنا عشر شهراً، ويسمّى ولد الفيل باللغة العربية الفصحى "دغفل" وهي تحنّ على ولدها كثيراً وتدافع الأنثى الكبيرة قائدة القطيع عن جميع الصغار في حالة تعرضهم للخطر، وبالأحرى فإن الصغار مسئولية القطيع بأكمله يدافعون عنهم حتى لو لم يكونوا أولادهم.

[1] المصدر نفسه

وقد تنجب الفيلة توأمين ففي هذه الحالة تحتاج دعم جميع أفراد القطيع لرعاية التوأمين الصغيرين. وجاء في "حياة الحيوان الكبرى" بالنسبة للأفيال:

"الفيل معروف، وجمعه أفيال وفيول وفيلة وصاحبه فيّال، وكنيته أبو الحجاج، وأبو الحرمان، وأبو غفل، وأبو كلثوم، وأبو مزاحم، والفيلة أمّ شبل، وقد ألغز بعضهم في اسمه فقال:

ما اسم شيئ تركيبه من ثلاث وهو ذو أربع تعالى الإله

قيل لتصحيـــفه، ولكن إذاما عكســـوه يصير لي ثلثاه

والفيلة ضربان؛ فيل وزندبيل، وهما كالنجاتي والعراب، والجواميس والبقر.

وبعضهم يقول: الفيل: الذكر، والزندبيل: الأنثى. وهذا النوع لا يلاقح إلا في بلاده ومعدنه ومفارس أعراقه، وإن صار أهلياً.

والذكر ينزو إذا مضى له من العمر خمس سنين، وزمان نزوّه الربيع، والأنثى تحمل سنتين، وإذا حملت لم يقربها الذكر، ولم يمسّها.

وقال البغدادي: إنها تحمل سبع سنين فإذا تمّ حملها وأرادت الوضع دخلت النهر حتى تضع لأنها لا تلد إلا قائمة، ولا فواصل لقوائمها، فتلد والذكر عند ذلك يحرسها وولدها من الحيات.

ويقال أن الفيل يحقد كالجمل، فربما قتل سائقه حقداً عليه.

ويعظم ناباه، وربما بلغ الواحد منهما مائة منّ وخرطومه من غضروف وهو أنفه ويده التي يوصل بها الطعام والشراب إلى فيه، ويقاتل بها، ويصيح وليس صياحه على مقدار جثة لأنه كصياح الصبي، وله فيه من القوة ما يقلع به التأديب، ويفعل ما يأمره به سائسه من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشرّ في حالتي السلم والحرب. وفيه من الأخلاق أن يقاتل بعضه بعضاً، والقهور منهما يخضع للقاهر.

والهند تعظمه لما اشتمل عليه من الخصال المحمودة من علوّ سمكه، وعظم صوته، وبديع منظره، وطول خرطومه، وسعة أذنيه، وثقل حمله، وخفة وطئه، فإنه ربما مرّ بالإنسان فلا يشعر به لحسّ خطوه واستقامته وبطول عمره.

وبينه وبين السنور عداوة طبيعية، حتى أن الفيل يهرب منه، كما أن السبع يهرب من الديك الأبيض، والعقرب تموت إذا أبصر به الوزعة.

وذكر الطرطوشي: إن الفيل دخل دمشق في زمن معاوية بن أبي سفيان، فخرج أهل الشام لينظروه لأنهم لم يكونوا قد رأوه من قبل، وصعد معاوية إلى سطح القصر للفرجة.

وذكر الغزالي: إن رجلاً قال: لقد كنت أسافر إلى الصين، فقدمته مرة، فوجدت الملك الذي به قد فقد سمعه فبكى، فقال له وزراؤه: ما يبكيك أيها الملك: لا أبكي الله لك عيناً، فقال والله ما بكيت لمصيبة نزلت بي، وإنما أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته. ثم قال: إن كان سمعي قد ذهب، فإن بصري لم يذهب، نادوا في الناس ألّا يلبس أحدٌ ثوباً أحمر إلا مظلوماً، وكان يركب الفيل طرفي النهار ويدور في البلد لعله يجد أحداً لابساً ثوباً أحمر فيعلم أنه مظلوم فينصفه[1].

صغار الفيلة ضعيفة لأنها تولد ولا يعمل سوى جزء بسيط من دماغها، في الوقت الحاضر يفتقر الدغل (صغير الفيل) إلى جميع المهارات الحيوية التي تحتاج إليها للبقاء، ومن دون أمّها قد لا يكتب لها البقاء، غير أنّ تأخر نموّها العقلي لا يشكل عائقاً، فهي تتحلّى بميزة أفضل من بقية الأجناس الحيوانية بأن دماغها أكثر ليونة تمنح هذه الميزة الفيلَ قدرة هائلة على التعلم، تتعلم الصغيرة كلَّ ما عليها معرفته من أمّها وأسرتها طريقةَ الشرب وما يجب أكله وطريقةَ الأكل، بالإضافة إلى طريقة الاستحمام ونفض الغبار. عالمها كناية عن سلسلة دائمة من الاكتشافات الجديدة وبعض الدروس أصعب من غيرها، قد يكون اكتشاف طريقة السيطرة على الخرطوم أصعب التحديات لدى صغار الفيل، وتستغرق عامين كاملين لتكتسب المهارة في ذلك، في عالم صغار الفيلة يحتل تعلم المهارات الأهمية نفسها التي يحتلها تعلم مهارات البقاء.

إن مجتمع الفيلة مؤلف من بنية بالغة التعقيد، إنه مجتمع تراتبي يرتكز بشكل أوليّ على السن، وتحتل فيه جميع الفيلة الصغيرة، رتبتها بشكل تدريجي، وسيكون عليها تعلّم إشارات اجتماعية وممارسة آداب الجماعة وإظهار الاحترام للفيلة التي تكبرها سناً، وبخاصة الأمّ الرئيسية. الأمّ الرئيسية هي محور مجتمع

[1] المختار من كتاب حياة الحيوان الكبرى (الفيل)

الفيلة، تنشأ حولها روابط العائلة، فهي التي تقرّر وجهة العائلة يومياً، ووقت نومها، وساعة توقفها عن الأكل، وما ينبغي فعله في أوقات الخطر، أصيب هذا الفيل بسهم سامّ في وقت مبكّر من اليوم، يستهدف الصيّادون الفيلةَ التي تحمل أكبر الأنياب، وبما أنها الأكبر سناً غالباً ما تكون الأمّ الرئيسية أو الأمهات الأوسع خبرة أي الفيلةُ التي تلمّ شمل المجموعة هي المستهدفة.

تشبه صغار الفيل صغار البشر في رغبتها في اللعب والغفلة عن الأخطار، فهي تقضي وقتها في اللعب والتعرف على الحيوانات المحيطة، وتقوم الأنثى الكبيرة وبقية الإناث على رعايتها وحمايتها متى يطلب الأمر ذلك.

قطعان الذكور أقلّ انضباطاً وتعاوناً وترابطاً من قطعان الإناث، وتهيم بشكل منفضل عن قطعان الإناث إلا أنها تتواصل معها بتواصل تحت صوتي، وهي أقلّ تعقيداً من قطعان الإناث.

يقضي الفيل ثلاثة أرباع اليوم في مضغ النباتات الفقيرة في قيمتها الغذائية، ولذلك يستعيض عن ذلك الفقر الغذائي بتعويض الكمية.

والأفيال تعرى الغابات فهي تأكل مأتي كلوغرام من النباتات يومياً، ولذلك فإن الفيل يستبدل ضروس الطواحن ستّ مرات في حياته لكثرة استهلاكها.

يخرج الفيل كمية هائلة من الروث تصل إلى مائة وستة وثلاثين كيلوغراماً، تعيش عليها خنفساء الروث يخشى الفيل النارَ والأصوات العالية، ولذلك فعند هجوم الأفيال على المزارع يسرع المزارعون الآسيويّون بحمل شعلات نارية، كما يطرقون على صفائح.

عندما تشعر الأفيال بقرب موتها أو بالانهاك فهي تذهب إلى أماكن المياه، وقد تموت هناك، وبتراكم العظام يصبح ما يسمّى مجازاً لمقبرة الأفيال. والفيلة عاطفية جداً فيما يتصل بالموتى ويظهر توترها وخوفها، إذاما رأت جمجمة فيل آخر، تماماً مثل الإنسان[1].

فائدة خرطوم الفيل: الفيل تعلم تماماً أنه أكبر الكائنات على وجه الأرض، ولما كان الفيل ضخم الجثة جداً طويلاً يصل ارتفاعه إلى ثلاثة أمتار أو أكثر منه،

[1] فيكيبيديا الموسوعة الحرة

فكان لا بدّ له من رقبة طويلة جداً ليصل إلى الأرض بفمه ليلتقط الحشائش ولأجل الرعي ونحوه، وإن كان ذلك لم يتمكن من حمل رأسه، فلذلك جُعل عديم العنق تلتصق عظام جمجمته بعموده الفقري وعظام صدره، فلذلك تعذر تصويته من فمه لعدم وجود حنجرة أو قصبة هوائية، فليس له صندوق صوت، وتعذر أكله بدون شيئ ممتد يصل إلى الأرض ليأخذ به الغذاء من العشب وغيره، وهذا الممتد يمكن أن يكون آلة للتنفس، فلذلك خلق الله له خرطوماً، وذلك الخرطوم هو أنفه، مع ذلك فقد جعل آلة ليتنفس بها ويتناول بها ما يتناوله بنفسه، وجعل طرفها سلباً ليتمكن من قطع العشب وغيره، فلذلك أنف الفيل يقوم له مقام اليد، ومأخذ خرطومه يوصله إلى فمه، وهو في أعلى فمه، كما جعل أجوف طويلاً، يتعدّى طوله المتر ونصف المتر، ليشرب به الماء ويختزنه وبعد ذلك يوصله إلى فمه[1].

الفيل في الثقافات: ليس أدلّ على ارتباط الفيل بالعظمة والكبرياء من المثل الصيني الذي يقول "ركب فلان فيلاً" أي أصبح سعيداً.

استخدامات الفيل عبر الأزمنة المختلفة: ومن أقدم استخدامات الفيلة التي عرفت سابقاً استخدامها في الحروب فقد هزم الجيش المقدوني الذي قاده الإسكندر الأكبر عام ثلاثمائة وواحد وثلاثين قبل المسيح جنود الفرس الذين امتطوا الفيلة في المعركة كما استخدم القائد المشهور هانيبال قرطاجة عام ثمانية عشرة ومائتين قبل المسيح الفيلةَ من أجل اجتياز جبال الألب في فرنسا لغزو إيطاليا، كما استخدمه جيش أبرهة الأشرم لهدم الكعبة المشرّفة نحو سنة خمسمائة وسبعين من الميلاد، وقد وردت قصته في القرآن الكريم كما ذكرنا.

جامبو: وخلال القرن التاسع عشر لمع اسم فيل إفريقي سمّي "جامبو" وأصبح أشهر من قفا نبك. وقد عرِض هذا الفيل في حديقة الحيوان بلندن لأكثر من سبع عشرة سنة، وجاء الزوّار إلى لندن من جميع أنحاء العالم لمشاهدة أضخم حيوان وقع في الأسر في ذلك الوقت، فقد بلغ طوله 3،4 ميتر، ووزنه أكثر من 5،6 طن ثرى وقد اشتراه عام ألف وثمانيمائة واثنين من الميلاد أجلّ الاستعراضات

[1] شرح تشريح القانون، ص 27

الأمريكي لي. تي. بارنوم وجعل منه نجماً جذاباً في السيرك، ومنذ ذلك الوقت أصبح لفظ "جامبو" يطلق على أي شيئ غاية في الضخامة[1].

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. إيم كيريشنا: بهارتي هاتهي (الفيل الهندي)، وزراة الإعلام والنشر، حكومة الهند، الطبعة الثانية، 1995م

1. عدد من المؤلفين: المنجد، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1960م
2. المعجم الوسيط، المكتبة الحسينية، ديوبند، سنة الطبع لم تذكر
3. كمال الدين محمد بن موسى الدميري: حياة الحيوان الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة
4. جامع أردو إنسائكلوبيديا، قومي كونسل برائ فروغ أردو زبان، آر كے بورم، دلهي الجديدة، 2005م
5. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
6. أي. وتسفك وي. ب. منسنج: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مطبع بريل، لندن، 1942م
7. أبو عثمان الجاحظ: الحيوان، دار الجيل، بيروت، 1990م
8. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
9. أردو دائرة معارف إسلامية، دانش غاه بنجاب، لاهور، الباكستان، 1980م
10. دواوين الشعراء العرب

3. فيكيبيديا الموسوعة الحرّة، المؤرخ في 2013/7/28م

[1] الفيل من الموسوعة العربية

قراءة فى كتاب:-

الرحلة الصينية

- علي العريبي

الرحلة في الأدب التونسي الحديث لها منزلتها ومكانتها بين فنون الأدب الأخرى كالشعر والقصة وفن المقالة. ويبدو أن الوزير المصلح خير الدين هو الذي فتح الطريق أمام الكتّاب التونسيين بكتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" فظهرت كتب عديدة في هذا الفن نذكر منها: صفوة الاعتبار لبيرم الخامس والرحلة الحجازية لمحمد السنوسي والرحلة الأندلسية للورداني.

ولما ظهرت الصحف الوطنية في أواخر القرن الماضي نشرت مجموعة من الرحلات التي قام بها بعض التونسيين إلى أوربا أو إلى الشرق ويعود ذلك إلى رغبة هذه الصحف في إتحاف قرائها: إذ لم يكن لها مخبرون يوافونها بأخبار هذه البلدان، ولم تكن وسائل الاتصال متقدمة كما هي عليه الآن، فظهرت على صفحات الزهرة لعبد الرحمن الصنادلي (1865-1935م) وجريدة الحاضرة لعلي بوشوشة (1859-1917م) من الرحلات، من بينها الرحلة الصينية لعلي الشتيوي.

ونريد أن نهتم بهذه الرحلة لأنها مجهولة لدى أغلب القرّاء، ويعود ذلك إلى أنها نشرت في جريدة أسبوعية مرّ على ظهورها الآن قرابة القرن، كما أن صاحبها ليس من رجال الأدب والفكر إذ هو من رجالات الجيش.

والحق أننا لا نعرف عن هذا الرجل الشيئ الكثير، وغاية ما يمكن أن نذكره أنه من مواليد القلعة الكبرى بجهة الساحل، سافر إلى الهند الصينية في أوائل هذا القرن ضمن البعثة العسكرية الفرنسية[1]، وقد سجّل ملاحظاته عن هذه الرحلة منذ خروجه من مدينة سوسة حتى وصوله إلى ميناء هاينونغ بفيتنام. أما القسم الثاني فقد خصّصه للحديث عن الناحية الاجتماعية بهذا البلد.

[1] توّجت هذه الرحلة بحصول الضابط علي الشتيوي بوسام الشرف مكافأة له على حزمه وإخلاصه في الخدمة العسكرية، الحاضرة، 3/جانفي 1905م.

وسنتتبع مراحل هذه الرحلة، ونحاول في آخر الأمر تقييمها وإبراز فوائدها من الناحية الاجتماعية والثقافية.

أسباب الرحلة:

كتبت جريدة الحاضرة- التي نشرت هذه الرحلة-[1] تمهيداً بيّنت فيه أسباب هذه الرحلة فقالت: "لا يخفى ما للدول الإفرنجية من السعي المستمر في تقوية نفوذها السياسي وتوسيع نطاقها التجاري بالممالك المتأخرة في مضمار الترقيات العصرية سواء في ذلك الممالك الإسلامية وغيرها، ومن المعلوم أيضاً أن تلك الدول بعد أن وضعت يد السلطة أو الحماية على كثير من الأقطار بآسيا وإفريقيا التفتت إلى بلاد الصين فرأت قطراً فسيحاً وخلقاً عظيماً قضى تأخرهم الصناعي باستجلاب البضائع الإفرنجية ليتسنّى بذلك للدول أن تتخذ بها منافذ لرواج تجارتها".

وحسب الحاضرة فإن دولة الصين مع كثرة رعاياها واتساع ممالكها من أضعف الدول لمحافظتها على التراتيب الحربية العتيقة والأسلحة التي أخنى عليها الدهر، وعدم الأخذ بأسباب الاستعداد على مقتضى الوقت والحال. وإزاء هذا الاختلال والضعف أخذت الروسيا تنقص الصين من أطرافها الشمالية، وجاورتها فرنسا من جهة الطونكان، وانقلترا من جهة الهند، واستحوذت الدول الأوربية على الموانئ والثغور الصينية، أرسلت مجموعة من الرهبان على اختلاف مذاهبهم لنشر الديانة المسيحية فاعتنقها بضعة آلاف، فتذرعت الدول الأوربية بحمايتهم من بني جلدتهم الذين كوّنوا جمعيات سرية للتخلص في آن واحد من استبداد حكومتهم ومن وطأة التداخلات الأجنبية. وظهرت بوارق تلك الثورة في الفتك بالصينيين المتنصرين وبالرهبان القسيسين، ثم تعرضوا لرعايا الدول الأوربية فحاصروا السفراء في منازلهم ومن بينهم ستيفون بيشون (المقيم العام الفرنسي بتونس بعد ذلك) ثم قتلوا سفير ألمانيا، ولما تبيّن للدول أن هذه الحركة موجهة ضد نفوذها، عولت على غزو الصين والانتقام من الثائرين فجهزت جيشاً بعثت به إلى الصين قوامه مائة ألف جندي دخلوا عنوة

[1] نشرت على صفحات الحاضرة ابتداءً من العدد 683، الصادر في 11/فيفري 1902م حتى العدد 696، 13/ماي 1902م، في تسع صفحات.

مدينة بيكين واستولوا على بقية المدن. ونكّلت هذه الجيوش بأهالي الصين تنكيلاً تناول المجرم والبرئ.

وكانت فرنسا أثناء تلك الحوادث قد حشدت عساكرها من أقرب النقط المجاورة للصين ثم اضطرت إلى تعويض ما نقص من تلك الحامية بطوائف من عساكرها بتونس والجزائر فكان من جملتهم طابور من الآي الترايور الرابع الضارب بالمملكة التونسية، وأغلب هؤلاء الجند من المسلمين تحت أمرة ضباط من الفرنسيين. أما المسلمون فلا يتجاوزون رتبة الملازم ومن هؤلاء صاحبنا علي الشتيوي.

ويبدو أنه كان طلعة يجب الإسفار وركوب الأخطار، يقول في مقدمة رحلته: "كنت من المشتاقين من التونسيين إلى استطلاع غرائب الأخبار واستكشاف عجائب الآثار والوقوف على أخبار سكان الشرق عموماً وخصوصاً المسلمين ساكني تلك الأقطار حتى سنحت فرصة إرسال نجدة من عساكر الترايور إلى بلاد الهند الصيني فحرّكتني الأشواق وأملت الانخراط في سلك المسافرين إلى تلك الآفاق".

بداية الرحلة:

"وفي العاشر من نوفمبر 1901م ركبنا متن الفابور الحربي (كشار) بعد أن اختبر قائد العساكر أحوال الضباط الأنفار"، وكان ذلك من ميناء سوسة "فلما تحركت الدارعة باسم الله مجراها ومرساها أطلقت المدافع إيذاناً بالرحيل وتنويهاً بهذا السفر الجليل فبقيت الأنظار شاخصة إلى معاهد الديار إلى أن غاب الأفق عن الأبصار".

ولما توارت السواحل التونسية شعر الجنود بغصة في القلب وحسرة في النفس على مفارقة الوطن الحبيب. وكان محمد ابن الخوجة قد أحسّ قبل ذلك بهذا الشعور عند سفره إلى باريس، فقال على لسان بعض الأدباء التونسيين:

يا شاطئ المرسة السلا م عليك يا نزهة العيون

وبعد أربعة أيام وصل الشتيوي وصحبه إلى بورسعيد.

بورسعيد:

لفت انتباه الشتيوي آذان الصبح بصوته الرخيم وتلاوة القرآن، فأخذ ذلك بمجامع قلبه، فصعد مع رفيق له الصومعة لما اعتراه من الخشوع، ورأى دين الإسلام قائماً والناس مقبلين على الصلاة، ودخل فصلّى صلاة الفجر في الجامع الأكبر.

أما سكان بورسعيد فهم أناس أتوا من كل فج عميق يتكلمون جميع اللغات لاسيما الإنقليزبة والعربية، وصناعتهم في الغالب التجارة، وبضائعها من غرائب مصنوعات الترك ومصر تباع بأثمان زهيدة، وأحياء المدينة نظيفة إلا أحياء الأهالي فوسخة، وغالب السكان المسلمين تكثر فيهم الفاقة إلا بعض الذوات من أرباب الخطط الإدارية والشرعية، وأسواقها دافقة بالنساء المصريات اللواتي ينتظرن عملاً يأتينه بحسب مقدرتهن.

ومرسى بورسعيد فسيح كثير الحركة والنشاط ترسو به البواخر الحربية والتجارية، وعلى الأرصفة جبال من الفحم الحجري. وقد زار الشتيوي باخرة عسكرية عثمانية متوجهة إلى اليمن، فتذاكر مع بعض رجالها، ورأى من حسن التنظيم وكمال التهذيب في هذه الباخرة الحربية ما سرّه. ولما عاد إلى باخرته التقى بقنصل فرنسا بالمكان، وهو رجل يحسن اللسان العربي، ذكر له أنه أقام بالقطر التونسي خمس عشرة سنة، وذكر له أسماء عائلات تونسية يعرفها الرجلان. وفي ترعة السويس ألقى جندي تونسي بنفسه في البحر، ولما وصل إلى البر، ودّع أصدقاءه بالإشارة. وتعجب الشتيوي من هذه البواخر الراسية في البحيرة المالحة، وسمّاها بالدواهي العظمى فخامة وجسامة تتحوّل في دياجير الظلمات، وكان لها شواظ من الأنوار الكهربائية تنيرها من كل جانب.

ولم يستطع الشتيوي النزول إلى مدينة السويس لضيق الوقت، وفي البحر الأحمر الذي استمرت السفينة فيه يومين واجههم بيت الله الحرام فيمّموه بقلوبهم وقرأوا ما تيسّر من القرآن الكريم، ولم يحدث في هذين اليومين "إلا موت جندي أدرج في أكفانه وهي خيشة من قماش الغراير، يحملها أربعة من العساكر يرمونها في قعر البحر مثقلاً برزة من حديد وهو منظر تنفطر له الأكباد ويرق له القلب الجماد".

وقبل الوصول إلى كولومبو مات نفران من الجنود، فأما الأول فقد دفن في جزيرة بريم[1]، وأما الثاني فقد ألقي في البحر طعاماً للحيتان الجائعة.

كولومبو:

وصلت السفينة بعد عشرين يوماً من انطلاقها إلى كولومبو، وهو ميناء آسيوي تابع لحكم الإنقليز، تركن إليه البواخر الأوربية. وصادفت الشتيوي وهو في شوارع كولومبو عربات صغيرة أعدّها الأهالي لنقل الركاب يجرّها أفراد من فقرائهم مكشوفو الرؤوس قد أرسلوا شعورهم وشدّوها بمشط، لا تستر عورتهم إلا خرقة قماش، وهم أهل قوة وصبر على المكاره.

وكولومبو أشبه بمدينة أوربية إلا بعض أحياء يسكنها الأهالي باقية على اعوجاج طرقاتها والأحياء الأوربية تشتمل على منازل منمقة وحدائق غناء ومبانٍ شاهقة. وهي مركز تجاري هامّ، وقد لاحظ الشتيوي أن أسعار العيش منخفضة بهذه البلاد، وإن كانت أرفع من أمثالها بالديار التونسية- كما يقول- وغالب سكانها من أغنياء المسلمين الهنود يتجرون في منسوجات الحرير والجواهر، ولهم تمسك قوي بالإسلام دين الأهالي ولذلك تكثر فيها الجوامع؛ ولكن لا توجد بها زوايا- وقد كانت منتشرة بالإيالة التونسية- وجميع أهاليها سنيون، وقد صلّى الشتيوي وصحبه صلاة الجمعة بجامعها الأكبر، وفي هذا الوقت تعطل جميع الأعمال[2]، يقول: "فلما دخلنا الجامع التفت إلينا الناس باغين ناطقة بالفرح والسرور، ولما تمت الصلاة أقبل علينا أولئك الإخوان وحيّونا بالسلام فرحّبوا بنا واحتفلوا بنا احتفال الكرام وأظهروا سرورهم من ملاقاتنا، وكان قد اجتمع لصلاة الجمعة نحو ستتة آلاف نفس فسألونا هل نحسن القراءة والكتابة بالعربية فسردنا لهم بعض آيات من القرآن العظيم كانت باعثة على زيادة فرحهم فسألناهم عن جبل السرنديب مهبط آدم أبي البشر؛ فأخبرونا بموقعه وأعلمونا بساعة نزوله من السماء يوم الجمعة بعد غروب الشمس، وقالوا لنا إنه في كل وقت تنبعث من أرجاء ذلك الجبل رائحة ذكية يضوع نشرها في الآفاق، وفي الغالب تنزل الرحمة ويكثر المطر، ثم صافحونا وسار

---

[1] جزيرة تابعة لعدن

[2] عملاً بالآية الكريمة "يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع"، سورة الجمعة: 9

بنا بعضهم لمشاهدة بعض الدكاكين والناس تزدحم حولنا وهؤلاء القوم من مسلمي الهنود يبالغون في إكرام الضيف وتعظيمه ويتجاهرون بذلك أقل من عرب إفريقيا فدعونا للضيافة وشرب المبردات فشكرنا سعيهم واعتذرنا".

وزار الشتيوي المعالم الدينية البوذية في هذه المدينة، وهي هياكل متقنة البناء مزخرفة بألوان الزينة. وبها أصنام بوذة[1] وبقية آلهتهم. وكان جميع البوذيين ينظرون إلى هؤلاء الجنود شزراً، ولم يفوهوا ببنت شفة، ولم يذكر الشتيوي سبب احتقار البوذيين لهم. ولعل أتباع بوذا، وهم يمثلون الرحمة والأخوة بين بني الإنسان يمقتون المحاربين، والحرب تنتشر الدمار وتكون سبباً للبغضاء بين البشر.

ولما توغلت السفينة في عرض المحيط أظلتها غمامة من ظلمات الليل فأزعجهم قعقعة الزوابع حتى قلّ سير الباخرة، واستعدّ من فيها لتحمّل أهوالها وخالوا أنفسهم على وشك الهلاك فكان الخطب جللاً، ولما انقشعت تلك الزوبعة عادت لسيرها في لجة البحر.

سنغافورة:

هي حسب الشتيوي مدينة عظيمة تكتنفها الغياض والبساتين النضرة. ولم يتمكن هو وصحبه من الوصول إليها إلا بعد عناء طويل لوعورة مضايق ترعتها، ويعود جمالها إلى حسن موقعها، ويأتيها السيّاح والتجّار من كل فج عميق. وقد طاف الشتيوي في المدينة مع رفقائه على عربات صغيرة يجرّها حمّالون قالوا إنهم من أتباع علي بن أبي طالب، فطلبوا من بعض الحمّالين أن يسيروا بهم إلى ضريحه للتيمن ببركاته فتبيّن أنهم من أتباع شيخ هندي تاجر يحسن العربية فأحسن وفادتهم بمنزله الرحيب، وهذا الإكرام سنة متبعة وعادة جارية عند كرام مسلمي الهند.

ولما صلّى الجمعة تجوّل الشتيوي في مناكب المدينة وأسواقها، فكانت عامرة بدكاكين الصينيين والهنود الذين يرسلون شعورهم فوق أكتافهم، ويأكلون الطعام بعيدان، وغالب مؤونتهم من الخضر والسمك ولحم الخنزير وبعد أن تفسح

[1] من حكماء الهند، أسّس الديانة البوذية. عاش في القرن السادس قبل المسيح.

الجماعة في حديقة الحيوانات الكائنة بهذه المدينة عادوا إلى المركب. ودخلوا خليج الطونكان في 11/ ديسمبر من نفس السنة فساروا فيه يومي 11 و13 منه.

وفي مساء 15/ ديسمبر ركب الجنود في قوارب تجارية سارت بهم في النهر الأحمر، وهو نهر رحيب تكتنف جوانبه الأشجار العالية والنباتات الكثيرة. ثم وصلوا إلى مكان عساكر الترايور، ودخلوا المنازل المعدة لهم وكان فراش العساكر من التين ونزول الضباط باوتيلات" وذلك بثغر هايفونغ.

هايفونغ:

تجوّل الشتيوي في المدينة ذات الشوارع المنتظمة والطرقات الفسيحة والبناءات الأنيقة، فكانت بحق جامعة لمعدات الحضارة من كهرباء، وكل ما يحتاج المتحضر في مدينة عصرية.

أما أسواقها فكثيرة وعامرة تغلب عليها العفونة لكثرة ما يجمع من الأسماك التي هي قوام عيش أهلها، وغالبهم من الأفرنج والأهالي والصينيين، وفيهم بعض من مسلمي الهند، وغالب تجارتها بيد الصينيين- يهود الشرق كما يقول الشتيوي-

ويتعاطى الأهالي الحرف الوطنية، أما دكاكينهم فليست بذات بال وأكثرهم من الخدمة والمستخدمين في الأعمال الوضيعة والأشغال الشاقة بأجرة تختلف في اليوم بين 25 و40 صانتيماً ومساجينهم مكبّلون في الأغلال مثقلون يشتغلون بالمدينة ويعاملون أقسى المعاملات. وغالب سكان هذه المدينة يحسنون التكلم باللغة الفرنسية.

وفي 19/ ديسمبر خرج الجنود آسفين لمفارقة تلك المناظر البديعة، والغياض ذات الرياحين الرفيعة، جنات تجري من تحتها الأنهار. ووصلوا إلى هانوي.

هانوي وفيتري:

"هي حاضرة عامرة تحاكي هايفونغ في التقدم، تجارتها رابحة وصناعتها ناجحة، يأهلها الأناميون والصينيون والعيش بها رخيص".

وقد عثر الشتيوي في هذه المدينة على رجلين من تونس، أحدهما يدعى محمد بن سليمان والآخر يسمّى ساسي بن ساسي في عسكر الترايور استوطنا هانوي وتزوّجا من هذه المدينة.

أما فيتري فهي بلدة تقع في خليج الطونكان، فتحها سنة 1885م الكومندان بيرنجي، وانتقل الجنود بعد ذلك للقيام بتمرينات في أدغال فيتنام وجبالها لمدة عشرة أيام، واجتازوا بعض المدن والقرى مثل (فوادفوي) و(دونغ لو) ذات المناخ الردئ. وقد رحّب الأهالي بهم ترحيباً حاراً، ولاقوا منهم كل رعاية وإكرام. وفي هذه الأثناء مات أحد التونسيين فغسل وصلّي عليه ودفن في إقليم الطونكان.

وقد خصّص الشتيوي الجزء الثاني من هذه الرحلة للحديث عن عادات السكان وتقاليدهم. يقول "ومن غريب العوائد التي شاهدتها في فيتنام أن المرأة الواحدة تتزوّج بثلاثة رجال بثمن بخس، قد لا يتجاوز الاثني عشر ريالاً أي أنها تعقد على ثلاثة رجال ولا تمكّن نفسها إلا من واحد، وتنكث العهد مع غيره، فتتفصى منه بالفرار" وهو سفاح محض حسب الشتيوي. وكثيراً ما تفضي هذه الحالة للخصام والشتم والموبقات، ويكثر ذلك فيمن يرغب من العسكر.

"وأهالي الطونكان قصار القامة، ولكنهم متناسبو الأعضاء، يختالون ويتبرجون في مشيهم تغلب عليهم الرقة والرخاوة، يغلب على لونهم الاصفرار، شعورهم سود طويلة، يرسلها الرجال والنساء، وغالب الرجال لا ذقن ولا شارب لهم إلا المسنون منهم، يضفرون شعورهم عكفاً يشدونها على قفاهم بعمامة سوداء منتظمة".

أما النساء فيضفرن شعورهم ضفائر يلففنها على رؤوسهن بذيل ملون وإن كن حزينات يتخذن لذلك ذيلاً أبيض وغطاء الرأس قبعة كالمظلة في شكل منجل وغطاء رؤوس الرجال في شكل قمع يوضع على العمامة من قصب الهند، ولا فرق بين لبس المرأة ولبس الرجل وهو عبارة عن سروال واسع وستره من قماش، ومن النساء من يتخذن الفستان والحصارة. وغالب الأهالي حفاة ومنهم من ينتعل بمست أو قبقاب، ويغلب على أعينهم السواد.

ويتحدث علي الشتيوي عن التجارة بإقليم الطونكان التي يقوم بها الصينيون فزاحموا الأوربيين كما يزاحم الأهالي اليهود بالجزائر وتونس، وهم أقوياء البنية يرسلون شعورهم إلى مناكبهم أو يحلقون رؤوسهم إلا ذؤابة يضفرونها بخيط من حرير. ومنهم الملبار يتجرون في المنسوجات والأقمشة أو

يستخدمون حراساً عند الأفرنج وغطاء رؤوسهم أشبه ما يكون بالطربوش المصري. ودينهم الوثنية.

وبعد أن يتعرض إلى أعياد سكان فيتنام وأفراحهم ومعابدهم وأكبر آلهتهم "بوذا" وكيف يبالغون في نقش أصنامهم وزخرفتها، يذكر الأعمال التي يقوم بها الرجال والنساء على السواء، وعن الحياة الزوجية يقول الشتيوي: "وفي الغالب ترجع الزوجة للزوج ما أخذته منه من مال ومصاغ --- ومن عاداتهم التزوّج بعدة نساء كل على حسب ثروته، ولكن الحكم للمرأة الأولى، وقد يتزوج الواحد بعشر نساء يعينّه على التجارة، وأمّ الأولاد هي التي لها السيطرة على الأولاد وبقية الزوجات. وينتقل الإرث إلى الذكور دون الإناث، إلا إذا سمح الذكر بذلك. ومن العار أن تطلب المرأة هذا الإرث مع إخوتها[1].

أما إذا مات من الأهالي أحدٌ فالعادة في الجنائز عندهم أن يحمل الميت بتابوت على نعش مكسو بالحرير، وعلى جسد الميت فنجانان وطبق يمثل الطعام الذي على الميت لبوذا في الآخرة. وقد يغالون في نقشه وجعل أطرافه على شكل سمكة، ويدرجون في الكفن صحفاً متضمنة اسم الميت ووظائفه، ويحمل النعش أربعة من الحمّالين وراءهم اثنان من حاملي الرايات في موكب حافل بعزف المزامير وقرع الطبول، ويحملون أيضاً صندوقاً به جميع القربات لمعبودهم بوذا تضيئ عليه الشموع.

ويتحدث الشتيوي عن ولاة الجهات الذين يتولون جمع الجباية، فكل والٍ مستقل بعمله مسئول عنه، ولذلك يكثر فيهم النهب والارتشاء، وإلى جانب ذلك توجد مجالس عسكرية وعدلية، فالعدلية تحكم بالسجن والعقوبات البدئية كالسياط والعصا، إلا إذا أفدى المحكوم نفسه بأداء مبلغ من المال للعامل أو لرئيس المجلس أو قدّم هدية للأعضاء بحسب العقوبة وثروة الفرد وحدّ الزنا عندهم القتل[2] وإلقاء الزاني في اليم، وفي حد القصاص يقطع رأس القاتل، وحدّ السرقة الجلد، وتكثر في حكامهم الرشوة، ويفضل الأهالي المجالس الإفاقية على حكم الوالي.

أما المدن الكبرى مثل هانوي وهايفونغ وتوران فنظر الأهالي للمحاكم الفرنسية المنتظمة. وتوجد ثلاث جهات من الطونكان خاضعة لزعماء لصوص الماء.

---

[1] يشبه عادات الإرث بالبلاد التونسية.
[2] على غرار أحكام الشريعة الإسلامية.

وقد عاهدوا حكومة الحماية على الأمن بشرط أن يستقلوا بأخذ الجباية على تلك الجهات لأنفسهم.

ويقول الشتيوي عن أحكام الطلاق في بلاد فيتنام: "إذا حدث ما يوجب الطلاق بين الرجل والمرأة، يبحث حاكم البلاد عن أصل الخلاف، فإذا كان العيب من المرأة أسقطت صداقها وأولادها ومكاسبها للرجل، وإذا كان الرجل على الباطل تأخذ منه المرأة بعض الصداق وبناتها، وتترك له الذكور.

وكثيراً ما تفرّ المرأة إذا أحست بسخط الزوج عليها. ويحرّر رسم الطلاق شيخ البلد فيمضي فيه كل من الزوجين. وإذا ثبت الإثم على المرأة فإنها توثق كتافاً ويحلق نصف رأسها وتحزم بمحزمة يرسم عليها لفظ خائنة، ولا يتزوج بها أحد بعد ذلك فتنخرط في سلك النساء المتعكرات[1].

وقبل خطبة البنت يسأل الزوج عن مقدرتها للخدمة والتكسب لينتفع بها، ثم يرسل عجوزاً لخطبتها بدون أن يعلم بذلك أهله، ولا أهلها، فإذا رضيت أخبر بذلك أهله فيسعون في الزواج لدى أهلها، وفي اليوم المعيّن يقع عقد النكاح على يد شيخ البلدة، فيمضي فيه أهل العروسين، ويحتفل بهذا العقد نقباء المعابد. وهؤلاء النقباء لا يأكلون لحماً ولا سمكاً، وإنما يقتاتون من الخضر ولا يتزوّجون. ويقدّم لهم الأهالي القوت، فيأخذون من مأكلهم حصة لمعابدهم، ويرجعون الباقي لصاحبه، ويصومون في غرة كل شهر وفي الخامس عشر منه، وفي ذلك اليوم يعكفون على الدعاء والعبادة، ولهم مواسم دينية ومزارات يبممونها مقدسة عندهم يقضون بها ثلاثة أيام في الأكل والشرب والزيارة تقرباً إلى بوذا كجبل طام مهبط هذا الحكيم عندهم للأرض.

هذا أهمّ ما ورد في هذه الرحلة. ومن المعلوم أن كثيراً من التونسيين قد أخذوا إلى الهند الصينية، ومات الكثير منهم، ولم يرجع إلى الوطن إلا من أطال الله عمره وهذا القليل الذي عاد، لم يسجل أحد منهم ملاحظاته ومشاهداته عن بلاد الهند الصينية كما فعل صاحبنا الشتيوي.

والمتأمل في الرحلة الصينية يلاحظ أن صاحبها اهتمّ بالمظاهر الطبيعية من أنهار وغابات ومناخ. ثم وصف المدن التي زارها من حيث تخطيطها

[1] يعني المومسات

المساري وانتظام شوارعها. ولا ينسى الحديث عن الأحياء الأوربية من حيث اتساقها ونظافتها، ثم يتعرض إلى أحياء الأهالي فيبرز وساختها وضيقها. ويهتم بأسواق المدينة ونشاطها الاقتصادي.

أما العنصر الثالث الذي اهتم به الشتيوي فيتعلق بالحديث عن المعالم الدينية والأثرية سواء كانت إسلامية أو غيرها. ويشعر القارئ من خلال هذا الوصف بتدفق مشاعره وإحساسه الديني.

وبعد ذلك يتعرض إلى عناصر السكان من حيث أجسامهم ولغتهم ولباسهم ومعيشتهم ونشاطهم الاجتماعي وعوائدهم في الزواج وغيره ونظام الحكم لديهم، لم يبيّن العنصر السكاني الطاغي (وهم من الأروبيين) سياسياً واقتصادياً.

ولا ينسى الشتيوي- وهو في قلب فيتنام بين أزيز الرصاص والأخطار المحدقة به من كل جانب- وطنه وأهله، حتى لكان هذه الرحلة مقارنة بين ما يعانيه سكان فيتنام من دمار وتخريب، وبين ما يعانيه وطنه من عدوان وقهر، فكل من البلدين تحت راية العلم المثلث أو ما يسمّى بالحماية الفرنسية.

وقد كانت معركة (ديان بيان فو) سنة 1954م التي انهزم فيها الفرنسيون نهاية لآلام التونسيين وأحزانهم.

والخلاصة أن هذه الرحلة التي كتبها ضابط في الجند لم تكن جيدة من حيث الصياغة الفنية، ولا نعتقد أنها في مستوى الرحلات التي كتبت بعدها بنصف قرن، ونعني بذلك الصين الحديثة للطاهر قيقة ورياح الشرق لمحمود المعموري.

بيد أنها تعبر عن اهتمامات ضابط تونسي وشواغله، وما لفت انتباهه في البلدان التي زارها في أول هذا القرن، فسجّل ملاحظاته ومشاهداته بصورة عفوية وتلقائية ونشرها في صحيفة أسبوعية لإمتاع قرائها بنادر العادات وغريب التقاليد وطرافة السلوك البشري، ولعلها تلقي أضواء على الحياة الاجتماعية والسياسية في فيتنام في أوائل هذا القرن من وجهة نظر ضابط تونسي مثقف.

تدشين الموقع الألكتروني لـ"اتحاد أساتذة وعلماء اللغة العربية لعموم الهند"

- أ. د. محمد نعمان خان

تم تدشين الموقع الألكتروني لـ"اتحاد أساتذة وعلماء اللغة العربية لعموم الهند" يوم الاثنين (8/يوليو 2013م) الماضي في حفل رائع أقيم بفروغ أردو بهافانا، جاسولا، نيو دلهي على يد مدير المجلس الوطني لترويج اللغة الأردية الدكتور خواجه إكرام الدين، وترأس هذا الحفل البروفيسور أختر الواسع الحائز على جائزة "فدم شري" القيّمة. قام بإدارة برنامج الحفل أمين الاتحاد المشارك، الدكتور نعيم الحسن.

بدأ الحفل بتلاوة آيات من القرآن الكريم، تشرّف بها الدكتور محمد أكرم، وبعد ذلك تمّ تكريم الضيفين الكريمين البروفسور أختر الواسع والدكتور خواجه إكرام الدين بباقات الزهور التي قدّمها كلٌّ من نائب رئيس الاتحاد الدكتور ولي أختر الندوي وأمين صندوقه الدكتور فوزان أحمد. ثم ألقى رئيس الاتحاد البروفسور محمد نعمان خان كلمته الترحيبية التي رحّب فيها بجميع الحضور مسلّطاً الضوء على الدوافع التي كانت وراء إنشاء مثل هذا الاتحاد، وقال فيما قال مشيراً إلى فعاليات الاتحاد ووضع اللغة العربية في الهند إنه على الرغم من الاهتمام المتزايد لدى الدارسين باللغة العربية بعد استقلال الهند سنة 1947م، وصدور الجرائد والمجلات العربية ونشر الكتب العربية بعدد لا بأس به إلا أننا نشعر وخاصة في الفترة الأخيرة بقلة اعتناء الحكومة الهندية بهذه اللغة واعتبارها لغة أجنبية مع أنّ لها جذوراً ثقافية ودينية مترسخة في ثرى الهند وهي منتشرة في جميع أنحاء الهند، ويبلغ عدد الذين سجّلوا اللغة العربية كلغتهم الأمّ في الهند 51723 شخصاً حسب الإحصاء الرسمي الهندي لسنة 2001م.

وفي هذا السياق أعرب عن شديد أسفه على أن اللغة العربية باعتبارها لغة أجنبية قد أخرجت مع اللغة الفارسية ومع بعض اللغات الأجنبية من مقررات امتحانات لجنة الخدمات العامة المتحدة، وهي جهة رسمية لتوظيف كبار الموظفين الحكوميين في الهند، و ليس بخافٍ على أحد أن اللغتين الفارسية والعربية لا يمكن عدّهما من اللغات الأجنبية لمكانتهما الخاصة في بلاد الهند. وقال إن اتحاد الأساتذة لفي سعيه المستمر للتواصل الدائم مع الحكومة الهندية ويبذل قصارى جهده في سبيل إعادة اللغتين في مقررات امتحانات اللجنة المتحدة المذكورة. وأردف قائلاً إن الاتحاد يخطّط لفتح مراكز تعليم اللغة العربية حالياً في أنحاء مختلفة من مدينة دهلي وذلك لترويج لغة الضاد بين عامة الناس. كما أعلن الرئيس أن الاتحاد سوف يصدر مجلة ألكترونية شهرية لطلبة اللغة العربية.

وبعد ذلك، قام الأمين العام للاتحاد الدكتور سيد حسنين أختر بتعريف الاتحاد بمختلف فعالياته ونشاطاته خاصة اتصال الاتحاد بالجهات الرسمية الهندية لملء الوظائف الشاغرة لأساتذة اللغة العربية في مختلف الجامعات والكليات والمدارس الحكومية. أما أمين الاتحاد المشارك الدكتور رضوان الرحمن فقد ذكر بالتفصيل ميزات الموقع وأهميته وكيف يعمل هذا الموقع فوضح أن الاتحاد يوفّر لجميع أعضائه اسم الدخول وكلمة المرور ليستفيدوا من الموقع بجميع خدماته.

ثم قام الدكتور خواجه إكرام الدين بتدشين الموقع بالنقر على أيقونة صفحته الرئيسة. وقال في كلمته إن المجلس الوطني لترويج اللغة الأردية على استعداد تام للعمل مع الاتحاد ومساعدته في أعماله الأكاديمية، كما وافق المدير المحترم على منح الاتحاد الموادّ الخاصة بالعربية من مكتبة المجلس الرقمية لتحميلها على موقع الاتحاد.

وأشاد البروفيسور أختر الواسع بجهود القائمين على الاتحاد لاتخاذهم هذه المبادرة العظيمة بإنشاء هذا الموقع وجعل الاتحاد منظمة عالمية باستخدام التكنولوجيا الحديثة، واستغرب اعتبار اللغة العربية من اللغات الكلاسيكية في الهند في حين يبلغ عدد الناطقين بها عدة ملايين نسمة فى العالم إلى جانب كونها

لغة رسمية لعدد كبير من البلدان. وأعلن في النهاية بمشورة من مدير المجلس بأنه يمكن للاتحاد أن يعقد مؤتمراً لثلاثة أيام بالتعاون مع المجلس الوطني لترويج اللغة الأردية. وأخيراً قدّم نائب رئيس الاتحاد البروفسور حبيب الله خان جزيل الشكر للحضور من العلماء والأساتذة والباحثين والطلبة والموظفين ورجال الصحافة والإعلام.

وقد حضر هذا الحفلَ المبارك عددٌ كبيرٌ من الأساتذة والباحثين والطلبة من مختلف الجامعات الهندية خاصة من الجامعة الملية الإسلامية، وجامعة جواهر لعل نهرو، وجامعة دلهي، وجامعة الله آباد، وجامعة علي كره الإسلامية، وجامعة بابا غلام شاه بادشاه براجوري (ولاية جامو وكشمير)، وكثير من محبّي اللغة العربية.

الغيـــــــــرة

- محمد أيوب الإصلاحي

إن ليالي الشتاء لا تقدّر شدتها فكل شيئ يجمد مثل الثلج حين تغرب الشمس فيرتعد كل من يرزق الحياة فالبعض يستدفئ بالنار بينما البعض يلجأ إلى الألحفة والبطانيات المدفئة فمن لا يشعر بالبرد في ذلك الوقت حتى يتخذ الناس العديد من الأسباب لصيانة بهائمهم الداجنة عن البرد فلا تمضي ثانية من ثواني الليل إلا وهم يتفكّرون في هذا الأمر إلا أن شَرْفُوْ قد نسي تماماً ولم لا ينسى وهو قد كان فار غضبه فكان سخطه قد تجاوز الحد وكان هو يغلى من داخله ويقرض على أسنانه كأنه جالس على النار الموقدة وهو كان آنذاك قد حرم التفكير فكان يصدر الأمر بعد الأمر وإن بقي أمر لا يمتثل به فكان غضبه يفور شديداً بل أشدّ من ذي قبل.

وكان شرفو أكبر دكانيّ في قريته وكان يخدمه محسن البالغ من عمره عشر سنوات. كان محسن صغير السن إلى الآن فكان صغر السن يوجب عدم نضجه في الوعي وزدْ على ذلك كونه من العشيرة الفقيرة فهو لم يكن يعرف تقاليد البيوت الغنية وأساليبها ولطافة أمزجة الأغنياء فهو كان يمتثل بكل أمر من شرفو وزوجه فكان يقضي ليله ونهاره في خدمتهما، فكان يتناول الغذاء لدى شرفو الذي كان يوفّر له الملابس تارة بعد أخرى. كان أبوه فقيراً بائساً فكان يأخذ الغلات وحاجيات بيته من دكان شرفو. إنه لم يمتلك شيئاً فهو كان يعمل لدى أحد طول النهار ومن ثم يكتسب ما يطعم عياله مرة في اليوم، فوق ذلك أنه كان عديداً أولاده ففي هذه الحالة لم يقدر على تسديد ما كان يستقرضه.

وكان محسن ربما ينام في بيت شرفو ولكنه في بعض الأحايين يزور والديه فيبيت لديهما ثم يرجع إلى دار شرفو في الصباح المبكّر ولكنه لم يكن يرضى عن أن يعود اليوم، ولما سئل عن الباعث فلم يردّ إلا أنه واصل صبّ الدموع وكان يعرض عن أن يحور إليهما جواباً. ففصلت أمّ محسن وقالت: "هذا عقاب ذلك الفقر الذي قد قدّر لنا". "لا تجدْ فإني ذاهب إلى الأخ الفاضل شرفو فأسئله

عن السبب" قال هذا والد محسن معزّياً أمّه ثم أحيط به من البلايا لما بلّغ شرفو ما حدث مع محسن فكان يكلّم مع خاطر: لو لم آته يا للسلام، ولم أسأله عن هذا فإنه قال لشرفو بأسلوب ملؤه تكريم للمخاطب: "ماذا قصّرت في خدمتك إذ تعاقبني هكذا فإن هتكت عزتك فلتعذّبني ما شئت بل لا تمطر عليّ هذه الأشتام. نعم، يا مولاي شرفو! إني أقسم بأني لا أسئلك شيئاً منذ اليوم ولكن ولدي محسن!

"اخرج من هنا يا خليع! ولا تترك ولدك في داري ولن تنزلا في بيتي منذ اليوم وسدّد كلّ ما استقرضتني من دكاني ولا أمهلك شيئاً، وكان شرفو غضبان للغاية. "أمهلني شيئاً" قال له والد محسن.

"كلا، وإلا ---" اشتدت لهجة شرفو فقام والد محسن من داره وبلغ كوخه بخطوات بطيئة للغاية وقصّ على زوجته كل ما حدث فقامت أمّ محسن الغيورة إلى جارتها وقصّت عليها ما حدث فغلب قلبها الرحمة عليها وأعطتها المبلغ الواجب عليها ولم تتأمّل شيئاً ولا اهتمّت فأسرعت أمّ محسن إلى بيتها وفوّضت هذا المبلغ إلى والده وأمرته بأن يذهب إليه الآن ويدفع المبلغ إليه فإنا سنصبر على بلايا الفقر والفاقة ولكن لن نصبر على هتك عزتنا فبلغ والد محسن دار شرفو بعواطف ملؤها الهمّ والحسرة وسدّد القرض الذي أخذه منه. لما شهد شرفو هذه الحالة البديعة ركب الحيرة فكان هو يزعم أن ضغط القرض سيؤثر في هذه الحالة أيّ تأثير ولا يترك والده إلا عبداً حاضراً طول حياته فلم يكن ذهنه مستعداً لمقابلة هذه البدعة فلما رأى شرفو هذا قال له ارجعْ إليّ كافة الملابس التي وهبتها لك ولعيالك ففزع والد محسن تماماً وقال له: "مولاي! إنه يلبسها ويواري بها جسده وفوق ذلك أنها قد أصبحت كدرة وخلقة". "لا، كلا، ارجعها إليّ فوراً" أمره شرفو. وهذا الحديث زاد والد محسن غماً على غمّ وطلب من زوجته كل ما كان يلبسه محسن من الثياب ففطنت الزوجة ففوّضت إليه ملابسه كلها بالية كانت أو كدرة ولم تتأمل شيئاً فأخذها والد محسن وأسرع بها إلى دار شرفو وطرحها أمام شرفو فقام شرفو بامتحان كافة الملابس وقال وهو غاضب: "هيا، أين تلك الملابس التي أهداها إليك سَيْفُوْ بعدما رجع من ماليزيا؟". "عفواً يا مولاي! لا أرجعها إليكم فإنها قد وهبها الأخ الفاضل سيفو إلى محسن وذلك لأنه قد رجع بعدما اكتسب من الأموال". "إني لا أسمع شيئاً،

ارجعها إليّ وإلا فلا أترككم أحياءً فكان أبو محسن يرتعد ولم يكن يجمع همته للتوجه نحو داره فإن تلك الملابس كانت على جسد محسن فكيف له أن ينزعها من على جسده ولكنه بلغ داره وهو يتلفظ الصعداء وقصّ على زوجته ما حدث وأمر به شرفو فقامت أمّ محسن عادية وقالت لمحسن: "ولدي! اخلع ثيابك". "لم يا أمّاه!". "سأخبرك الحين". "ولكني لا أجد ملابس أخرى؟". "سأتيك بما يعادلها" فخلع محسن ثيابه وألبسه أمّه قطعة من خمارها الأبيض الخلق ثم قالت لزوجها: "ارجع بها إليه والحمد لله على أنه لم يبق على جسد ولدي علامة الرقة هذه الأخيرة قالت هذا وكادت عيناه أن تجودا فإن اليوم كان يوم العيد وكانت أولاد الجيران يلبسون ثياباً غالية جديدة وكانوا يتبخترون بينما المحسن كان جسداً ميتاً للحسرة واليأس.

ترجمة من الأردوية: د. أورنك زيب الأعظمي

الهدية بالميلاد

- أوهينري

لم يكن مبلغه إلا دولاراً وخمسين سينتاً وقد اقتناه طول الشهر، ولعل ديلا قد أحصت مجموعة هذه العملات المرة العاشرة ولكنها لم تكن إلا دولاراً وخمسين سينتاً، وكان الغد عيد ميلاد المسيح عيد المسرّات، عيد تبادل الهدايا، عيد التلاقي والتضاحك والتلاعب وأما بالنسبة لها فلم يكن هذا إلا يوم الحزن والهمّ فإنها لم تسطع بشراء هذه كلها بهذه العملات المعدودات من الفضة.

إنها جعلت تتصعّد كالمعتاد على فراشها البالي الكدر لأنها لم يقدّر لها سوى ذلك، في شقة قديمة لم يدفع كرائها منذ أشهر عديدة وأما الأثاث فلم يكن سوى كومة من القاذورات وكان الباب الكبير يعلّق بجانبه صندوق للبريد وقد علّقت عليه لوحة اسمي ربّ البيت وزوج ديلا السيد جيمزينغ. إن هذه اللوحة الجميلة كانت تذكّر ماضي جيمز الزاهر حينما كان هو مديراً مساعداً لشركة كبيرة.

وقد جعلت تصعّدات ديلا تزول شيئاً فشيئاً فهي غسلت وجهها ويديها لتستعيد نشاطها وقامت بجانب الشبّاك وكانت الظلمة تحيط بالخارج شيئاً فشيئاً وكانت لوحات الدكاكين تتلألأ. كانت الدكاكين مزيّنة بالسرج والأزهار بمناسبة الميلاد وكان الناس يتهافتون على الدكاكين وكانوا يشترون أنواعاً من الهدايا فالأمهات كنّ يشترن الحلاوي لأولادهنّ كما كان الأزواج يشترونها لزوجاتهم، ولعل هذا كله كان يتمّ للتعبير عن سرورهم.

ولكنها لم تمتلك إلا دولارين ونصف دولار أي مأة وخمسين سينتاً التي لن يمكن لها أن تشتري بها شيئاً --- لا شيئ وهي قد قضت ساعات متفكّرة في ماذا تهديه إلى جيمز هذا الميلاد، هل يكون ذلك شيئاً جميلاً للغاية أو شيئاً حبيباً للغاية يثبت ذكرًى لحبهما ولا ينساه جيمز للأبد ولكن حلمه هذا لم يتحقق مثل الدولار الواحد والنصف الذي كان منشوراً أمامها. ابتعدت ديلا عن النافذة وقامت أمام المرآة ثم فاجأ خاطرها سؤال: إنها أخذت أشعارها الجميلة الزهراء اللينة الحريرية وشاهدها بعينيها. إنهما لم يمتلكا إلا شيئين يمكن الافتخار بهما؛

أشعار ديلا الطويلة الحريرية التي كانت تمسح كعبيها وساعة جدّ جيمز التي خلفها فقد كانت ملكة مزيّنة بالجواهر والألماس متخلفة من ديلا لجمال أشعارها، وإن وجد ملك إيراني ساعة جيمز الجميلة لتاقت نفسه للحصول عليها.

أرسلت ديلا أشعارها التي أقبضت عليها بيديها وهي انتشرت على جسدها مثل عباء الأسقف المطلّة على قدميه. إنها كانت تعمل لها عمل العباء للأسقف، فهي كانت تغطّي من ورائها فقرها وحرمانها وهي كانت تمشي خيلاء أمام جاراتها ولو أنها كانت تفقد نقداً أو عرضاً.

إنها رأتها في المرآة مرة أخرى ولعل فكرة بيعها سبّبت سيلان قطرتين من أعينها التي أسلمتهما للسجادة البالية. ماذا لأشعاري إنها ستنمو مرة أخرى وأما لمحات السرور فهي لا تزور إلا بين الفينة والفينة. إنها تفكّرت في هل هي لا تستطيع بأن تضحّي هذا القدر من الأضحية للسير مع لمحات السرور هذه ولإرضاء جيمز زوجها؟ فعزمت ديلا على أنها ستبيع أشعارها للإهداء إلى جيمز فأسرعت إلى سترتها فارتدتها وقلنسوتها وأغلقت الباب من ورائها ثم خرجت ولا يعلم متى وصلت إلى قاطعي الأشعار مخترقة سيل الأضواء.

ولما خرجت ديلا من ذلك الدكان فوجدت أشعارها مقطوعة بأسلوب حسن وكانت هي تمتلك سبع عملات ورقية لدولار واحد والآن كانت هي قادرة على أن تهدي شيئاً إلى جيمز مثلما كانت هي تحلمه منذ شهور. إنها مسحت أشعارها الطويلة بيديها ولكن لم تجد إلا المقطوعة من أشعارها فكانت أشعارها الحريرية الجميلة الطويلة ولكنها في صورة دولارات يمكن بها أن تشتري هدية لزوجها بمناسبة الميلاد.

إنها تفكّرت في أن جيمز سيغمره السرور حينما يستلم هدية بالصدفة. إنها جنّ جنونها وهي ضغطتها بجانبها وجعلت ترقص.

كانت خطوات ديلا تتخطى بسرعة نحو شارع غنغ حيث تقع دكاكين واسعة ذات أسباب وأثاثات جميلة غالية. وكانت هي تلك الدكاكين التي كانت تستحيي منها وتذبذب في دخولها ولكنها الآن كانت تمتلك ثمانية دولارات ونصف

دولار في حقيبتها والآن لم يكن أيّ خوف عليها، إنها كانت تشعر كأنها أميرة كبيرة خرجت للتنزه.

لم تكن ديلا تفصل عما ينبغي لها أن تشتري لجيمز فقد كان كل شيئ هنا جميلاً وغالياً إلا أنها لم تظفر بشيئ يجمل بجيمز ويصلح له.

ومتقدمة من شارع غنغ إلى المتنزه القديم توقفت لمحاتها فجأة على ساعة موضوعة في خزانة العرض ولكن لم تكن ساعة موضوعة في خزانة العرض تضاهي بساعة جيمز جمالاً وقيمة ولكن شريط ساعة جيمز قد أصبح قديماً بالياً للغاية ولذا فهو كان يتمنّى أن يكون لساعته شريط جديد فتوقفت لمحات ديلا على شريط جميل فحكمت على أنها ستهدي هذا الشريط إلى جيمز بهذه المناسبة السعيدة.

فلما خرجت ديلا من دكان الساعات فلم تكن بيدها إلا علبة صغيرة وما بقي من خمسين سينتاً في حقيبتها.

وجدت ديلا جيمز منتظراً بها خارج بيته لأنه لم يكن لقفله إلا مفتاح واحد كانت تمتلكه ديلا. تقدّم جيمز نحو ديلا مسرعاً حينما رآها لكي يضغطها بجنبه ولكن يديها المرتفعتين قد توقّفتا مرتفعتين لأنه كان ينظر إلى ديلا بعينين لم يكن فيهما سخط ولا حيرة ولا رضًى ولا تعبير عن أيّ سرور ومع ذلك كانت عيناه تلمعان أيّ لمعان.

"ماذا فعلت يا ديلا! قطعت أشعارك؟ لماذا فعلت هذا؟ لم ولم؟؟" سألها جيمز ممزّقاً حجاب الصمت.

"حبيبي جيمز! كلّ ما فعلته قمت به لأجل رضاك وعندما تعثر على السبب من ورائه يسكت عنك الغضب" ردّت عليه ديلا فاتحة البابَ.

"هل قطعت أشعارك؟" سألها جيمز مرة أخرى كأن عينيه لا توقنان بما رآه.

"جيمز الحبيب!" قالت له ديلا بصوت أعلى من ذي قبل "إن قطعت أشعاري فأيّ ضرر فيه فهل لست تلك ديلا التي كانت تحبّك والتي ترضى عن أن تضحّي بنفسها لذاك. إني قطعت هذه الأشعار لمجرد أني كنت في حاجة ملحة

إلى النقود للإهداء إليك بمناسبة الميلاد وماذا لأشعاري إنها ستنمو كما كانت حتى الميلاد القادم".

ولكن جيمز كان يحدق النظر إلى ديلا وهو صامت لا يتكلم كأن الجانّ قد مسّه أو آذاه الإنسان.

أيا جيمز! بفضلك الزم السكوت، غدًا عيد الميلاد فهل لا تحيّيني بالميلاد؟ أنت قائم حتى الآن كما كنت من قبل --- تقدّم واضغطني بجانبك، قد جئت بهدية غالية لك".

كأن جيمز قد صحا فجأة فتقدّم وضغط ديلا بجانبه وجرت من عينيه دمعتان وانجذبتا في أشعار ديلا --- دمعتان للحب.

فأخرج جيمز علبة من جيبه ووضعها على الطاولة.

"انظري فقد جئت بهدية غالية لك" قال هذا وفتح العلبة ووضعها على الطاولة --- أمشاط متنوّعة ملوّنة منتشرة على الطاولة فقد كانت ديلا تتمنّى منذ سنوات أن تمتلك زمرة من الأمشاط الجميلة فكلما رأت هذه الأمشاط موضوعة في خزانة العرض في دكان بشارع غنغ صبرت على بؤسها والآن وهي لم تكن في حاجة إليها --- والآن وهي لم تتق نفسها في الحصول عليها فهي كانت لها. إنها قد حصلت عليها ولكنها لم تكن في حاجة إليها وهي ليست مفيدة لها.

فرأت ديلا أن الهمّ لا يفيدها فقد كان ما قدّر والآن قد جاءت نوبته لكي تري هديتها التي جاءت بها لزوجها ففتحت العلبة ووضعت هذا الشريط الأزهر اللامع على كفها ثم قدّمته إلى جيمز مفتخرة. "جيمز! هذا جميل أم لا؟" سألته بشوق تامّ "ستعرف على الوقت بساعتك مائة مرة على الأقل لكي يرى الناس ساعتك الجميلة وشريطها الجذّاب. هاتني ساعتك كي أراها وجمالها بهذا الشريط".

لم يعمل جيمز على ما قالت له ديلا وبالرغم من ذلك اضطجع على الفراش. "اسمعي يا ديلا! قومي بهذه الهدايا وضعيها في الخزانة. إنها غالية إلى حدّ لا تجمل بنا نحن الفقراء فلن نستخدمها لو أردنا استخدامها فإني قد بعت ساعتي لكي أهدي الأمشاط إليك وأما أنت فقد بعت أشعارك للإهداء إليّ --- هل رأيت ماذا فعل بنا القدر فهل رضيت عن هزء القدر هذا؟".

فضحك الاثنان من هذه النكتة حتى بدت نواجذهما فنسيا همومهما وغمومهما. إنهما حصلا على مسرة لا تحصل للناس بتقديم هدية قيمتها مآت ألف فقد أهدى بعضهما إلى البعض حبّاً خالصاً طاهراً.

ترجمة من الأردوية: د. أورنك زيب الأعظمي

الشيخ ذو الفقار علي الديوبندي:

فاكهـــــة الهند

إن كنت تبغـــــــي أطيب اللذات ... فعليك صاحِ بأنبه الثمـــــرات

في حسن مرأى، في نباهـة سيرة، ... في لطف ذات، في سموّ صفات

يا حسن حمرتها وخضرتها وصفر ... تها على الأشجار في الروضات

وترى ثمـــــاراً علّقت في غصنها ... مختوم راح في أكفّ سقـــــاة

لم يختلف كمثالها الأثمـــــار في ... الألـــــوان والأذواق والهيئات

هذا، ولا تحسبه صنفاً واحـــــداً ... بل جملة الأصنـــاف مختلفات

سبحان من بالفضـــل فضّلها على ... أشهى مذوقـــات ومشمومات

بالجامعية فاقت الأثمـــــــار كا ... لإنسان فاق جميـــــع حيوانات

جل القدير الفرد من في ثمـــــرة ... بالصنع يجمع سائر الثمـــرات

وإذا تجلّى في الغصـــــون رأيته ... داني الصفات بعيـد موصوفات

لله درّ بهائهـــــــا ووفائهـــــا ... من غصنها تنفكّ بالعبـــــرات

للمرء فيه منتهى حاجـــــــــاته ... تغنيـــــه عن ماء وعن أقوات

وإذا دعاك الله صـــــــاح فواته ... وتمتعن به قبيـــــــل فوات

فإذا انقضت أيامه كالبـــــرق لا ... يجديك حينئذ سوى الحســرات

لا غرو إن قصـــرت مداها إنّ أيا ... م الســـــرور تمرّ كالساعات

يا صاح ما هذا الجمـــود فقمْ بنا ... نخرج إلى الأنهـــار والدوحات

فالغيـــــم تبكي مثل صبّ هائم ... والبـــرق يضحك نحو مبتسمات

والورق يصفق باتفـــاق غصونها ... والطيـــر يسجع باختلاف لغات

أو ما ترى الماء المبـــارك كيف أ ... نبت سائر الأزهـــــار والحبّات
فدع التنسّك ســـــــــاعة بخلاعة ... نقضـــــي فرائض هذه الأوقات
ونلهو ونترامى الثمـــــار وجوهها ... وقشورها ببدائع الحـــــركات
نفري شرور الدهـــــر عنا يومنا ... بترنم يحيي العظـــــام رفات
ولئن يلمك اللائمـــــــون فقل لهم: ... الاضطرار يبيح محظـــورات

د. أورنك زيب الأعظمي:

البيرياني الذي أهدته إليه إحدى تلميذاته

هلمّوا تســـمعوا عن بيرياني، ... فقيـد النِدّ في هذا الزمـــــان
طعـامٌ لا يضـــــاهي به طعـامٌ ... لذيذ أكله، صعب البيـــــان
يفوح المسكَ حين الكشف حتى ... تحيـــــطُ رياحُه كلَّ المكانِ
لذيذ الأكل، سهـلُ الهضم حتى ... صحيـــحٌ مأكلُ ذات الأوانِ
وإنْ طار الهواءُ إلى الســـماء ... بجـــزء منه متروك الصِنان[1]
فيلتصـــــــق الملائكُ بالأمينِ ... ينادون مزيدَ البيـــــرياني
وذاك فإنه ليس بطعـــــــــم ... رخيص غيرَ معدود الأداني
أعـدّته يدا خير فتـــــــــاة ... أقبّـــــلْ إنْ تجئْ كلَّ البُنـانِ
فتـــــاة يصعب التعبـير عنها ... جليلٌ روحُها، دِقٌّ[2] الكِيانِ[3]
فتـــــــاة علّل رؤياها قلبيْ ... فتاة تسبق خيرَ الحســـــان

---

[1] جمعُ صِنَ: سلّة
[2] دِقٌّ: دقيقٌ
[3] الكِيان: الخليقة

فتـــــاة أعجبتْ قلبي وعقلي ... وليت مكانها يدنـــو مكاني
فتـــاة ترتدي حســـناً وتأزر ... وثمَّ تصحبُ رحب الجنـــان
فتـــاة عنـــدما تولي اهتمـاماً ... فيقصر ثأوَها معنى الحنـــان
إلهي: لا تقصّر من حيـــاة ... وعادات لها شتى المعـــاني
وربّيْ: لا تباعـــــدْ بيننا، لا ... وإيّـايَ وإيّاهـــــــا فدانِ[1]
ووفّقنا مزيدَ الخيـــر منها ... وترادَ الطعـام البيـــرياني

[1] دانِ: قاربْ

المساهمون في هذا العدد

1. أوهينري، كاتب أجنبي للقصص القصيرة
2. البروفيسور ظفر الإسلام الإصلاحي، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره، أوترابراديش، الهند
3. البروفيسور محمد نعمان خان، رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة دلهي، الهند
4. جاويد أحمد پال، باحث قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، الهند
5. الدكتور أورنك زيب الأعظمي، مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغات العربية والفارسية والأردوية والدراسات الإسلامية، باشا-بافانا، فيسفا-باراتي، شانتينيكيتان، بنغال الغربية، الهند
6. الدكتور ماجد محمد عبده الدلالعه، أستاذ مساعد، قسم الشريعة، كلية القانون، الجامعة الأمريكية في الإمارات، دبي، الإمارت العربية المتحدة
7. الشيخ أمين أحسن الإصلاحي من علماء الهند والباكستان المشهورين، تلمذ للإمام عبد الحميد الفراهي وعمل كمدير تحرير مساعد لجريدة "مدينة" كما عمل في مجلتي "غنجة" (Ghunchah: النورة) و"ستش" (Sach: الصدق) لمدة سنتين وكذا درّس في مدرسة الإصلاح. ساهم الشيخ في تأسيس الدائرة الحميدية وأصدر مجلة "الإصلاح" الشهرية. وعندما نادى العلامة المودودي بجماعته لحقه في 1958م مرتحلاً إلى الباكستان ثم تركه في 1959م وأصدر مجلة شهرية باسم "ميثاق" تركها بعد مدة وأصدر مجلة شهرية أخرى باسم "تدبر" قائماً بتأسيس "إداره تدبر قرآن" (معهد التدبر في الفرآن) الذي أصبح فيما بعد "إداره تدبر قرآن وحديث" في 1980م. من أهمّ مؤلفاته "تفسير تدبر قرآن" و"حقيقة توحيد وشرك" و"حقيقة نماز" (حقيقة الصلاة) و"تزكية نفس" (تزكية النفس) و"إسلامي رياست" (تصور الدولة الإسلامية). كان عالماً كبيراً أنفق كافة أوقاته في التحرير والخطابة

8. الشيخ بدر جمال الإصلاحي، أستاذ اللغة العربية وآدابها، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، ولاية أوترابراديش، الهند
9. الشيخ ذو الفقار علي الديوبندي (م1319ه)، كاتب وشاعر هندي للعربية، من أعماله الرائعة "التعليقات على سبع المعلقات" و"شرح ديوان الحماسة" و"شرح ديوان المتنبي" و"شرح قصيد البردة". قصائده العربية تشتمل على المدح والوصف والتهنئة والحكمة.
10. الشيخ ضياء الدين الإصلاحي (ت 2008م)، كاتب ومترجم هندي كبير، له مساهمات جليلة في مجال العلاقات الهندية-العربية من أبرزها "هندوستان عربوں کی نظر میں" (في مجلدين بالأردوية)
11. الشيخ محمد أيوب الإصلاحي، كاتب هندي للقصص القصيرة ومدير تحرير مجلة "نظام القرآن" الفصلية، له مجموعة كتاباته باسم "متاعِ قلم".
12. علي العريبي، كاتب تونسي كبير
13. مارية أجمل، باحثة قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة لكناؤ، أوترابراديش، الهند